

سم الله الرحمن الرحيم

جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب ـ قسم التاريخ



مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي

(41_132هـ/ 661_750م)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي

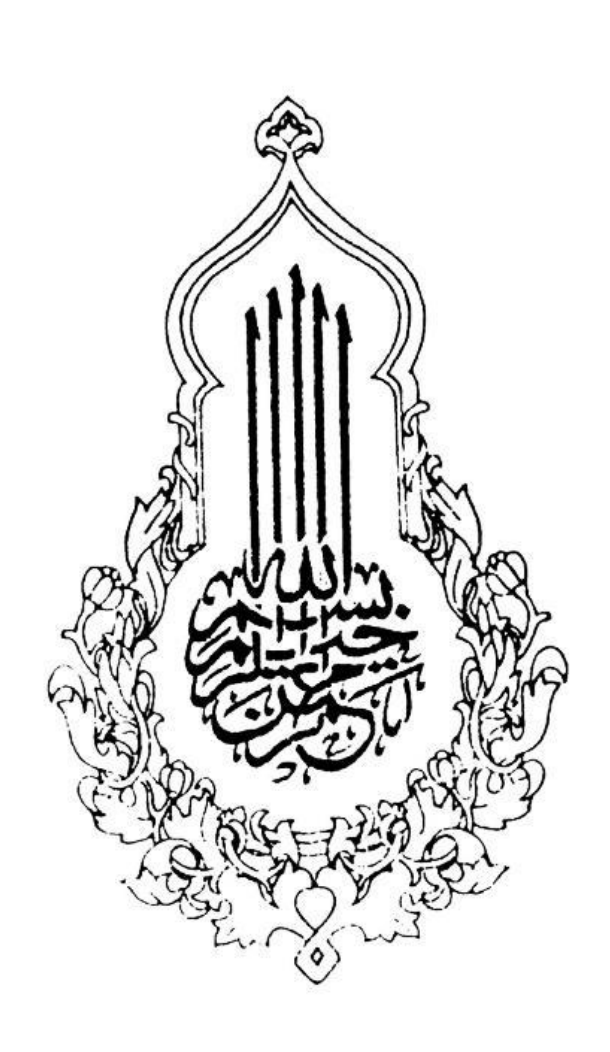
إعداد الطالب:

أبوبكر علي مصطفى جلال الدين

إشراف الأستاذ الدكتور:

الشيخ الأمين محمد عوض الله

(1442هـ/ 2021م)



بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

صدق الله العظيم. سورة البقرة الآية 127.

الإهداء

إلى أمي وأبي ... احتراماً و إجلالاً وتقديراً

إلى القناديل التي أنارت دربي ... أخوتي

إلى أهلي وحاميتي الأقربون

إلى كل من وقف بجانبي وساعدني وأعانني ولو بدعاء

إليهم جميعاً أهدي جهدي

شكر وتقدير

الشكر الدائم لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد

ثم الشكر موصول إلى أسرة جامعة وادي النيل ونخص بالشكر إدارة كلية التربية قسم التاريخ رئيساً وأساتذة، والشكر إلى إدارة جامعة النيلين كلية الدراسات العليا وكلية الآداب قسم التاريخ والأساتذة الأجلاء بالقسم، والشكر إلى إدارة جامعة شندي ونخص بالشكر أسرة كلية التربية قسم التاريخ رئيساً وأساتذة، والشكر إلى إدارة مركز البحوث الإسلامية بإستانبول، كما أخص بالشكر إدارة مكتبة جامعة صباح الدين زعيم بإستانبول.

خالص الشكر والامتنان للاستاذ الدكتور المشرف/ **الشيخ الأمين محمد عوض الله** ، ثم الشكر والتقدير لجميع الأساتذه والأخوة والزملاء الذين ساهموا معى بمجهوداتهم ومقدراتهم وشجعوني على هذا العمل، ويجزي الله تعالى الجميع خير الجزاء.

مستخلص البحث

جاءت هذه الأطروحة لتسليط الضوءعلى مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي. تنبع أهمية هذا البحث من خلال أهمية الفترة الزمنية التي يتناولها من تاريخ العمارة الإسلامية الأموية لاسيما القسم المدني منها، حيث بدأت العمارة الإسلامية بشكلٍ بسيط خالٍ من التكلف والزينة في العصر النبوي وفترة الخلافة الراشدة، حتى جاء الأمويون فتأثروا بالحضارات والدولة المجاورة لهم، فبدأ العرب يألفون الحياة المدنية بالرغم من حبهم للحياة البدوية، وذلك بعد ما ترسخت دعائم دولتهم وتوسعت رقعتها فبدأت مظاهر الترف والثراء تظهر لدى الأمويين في تجديد وبناء المدن وتخطيط الخطط السكنية والسكك والأسواق وبناء المرافق العامة والخاصة بها من قصور ودور ومساجد وحمامات وبيمارستانات وغيرها، فخلقوا بذلك نظاماً جديداً في نظم العمران والبناء عُرف بطراز العمارة الإسلامية وهو عبارة عن مزيج بين طراز العمارة البيزنطية والساسانية القديمة، وظل هذا الطراز من المعمار الإسلامي يتطور بمرور الزمن ولم ينحصر على موضع نشأته بمقر الدولة الأموية بالشام بل شاع وامتد إلى العراق والحجاز ومصر والمغرب ووصل حتى الأندلس.

يهدف هذا البحث إلى الدراسة الوافية والتحليلية لمظاهر تلك العمارة المدنية التي قامت في العصر الأموي، والتعرف على مفهوم العمارة والمدينة في الإسلام ومكونات وأقسام المدينة الإسلامية، وضوابط وأسس البناء في الإسلام، إضافة إلى أثر هذه العمارة في تغيير حياة العرب من البداوة إلى التمدن وكذلك حياة الخلفاء من التقشف والزهد إلى الترف والبزخ.وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي في تحرير هذه الأطروحة وهي تتألف من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع والملاحق. وخلص البحث إلى عدد من النتائج أهمها: إن العمارة المدنية التى خلفها الأمويون تُعد إرثاً حضارياً عظيماً، يدل على مدى التقدم الحضاري والمعماري والمدني والاجتماعي لدى المسلمين فمازالت شواهد هذا التقدم من المدن والمساجد والقصور والحمامات قائمة حتى يومنا هذا حاملةً اسم العمارة الإسلامية الأموية، ومن أهم توصيات البحث: على الباحثين فى مجال التاريخ الاسلامي التطرق إلى الجوانب الأخرى من مظاهر العمارة الإسلامية لاسيما العمارة الدينية والعسكرية فى مختلف العصور الإسلامية، وعمل دراسات أعمق فيها.

Abstract

This study is written to shed light on the aspects of civil architecture in the Umayyad era. This study is importants due to the importance of the period of time that deals with the history of the Umayyad Islamic architecture, especially the civil part of it, Islamic architecture began in a simple manner free from sophistication and decoration during the Prophet’s era and the period of the Rashidun Caliphate, until the Umayyads came and were influenced by the civilizations and neighboring state . Arabs began to adjust themselves to Civilian life despite their love for desert life, after the foundations of their state became entrenched and expanded, so manifestations of luxury and wealth began to appear among the Umayyads in renewing and building cities, planning housing plans, railways, markets, building public and private facilities to them, including palaces, homes, mosques, baths, bathhouses, etc., so they created a new system in Urban and building systems were known for the Islamic architecture style, which is a mixture between the Byzantine and ancient Sasanian architecture, and this style of Islamic architecture continued to develop with the passage of time and was not limited to its place of origin in the headquarters of the Umayyad state in the Syria, but spread up to Iraq, Hejaz, Egypt, Morocco, and reached Andalusia.

This study aims to comprehensively and analytically study the manifestations of civil architecture that was established in the Umayyad era, and to identify the concept of architecture of city in Islam and the components of Islamic civilization, and the Regulations and foundations of building in Islam, in addition to the effect of this architecture in changing the lives of Arabs from nomadism to urbanism as well as the life of The caliphs from austerity and asceticism to luxury and exuberance. The researcher used the historical, analytical and descriptive method in this study, which consists of an introduction, four chapters, a conclusion, and a list of sources, references and appendices. The study came out with a number of results: The most important of which are: The civil architecture left by the Umayyads is considered as great cultural legacy, indicating the extent of civilizational, architectural, civil and social progress among Muslims. Cities, mosques, palaces and baths are clear Evidence of the Andalus progress that still exists to this day bearing the name of Umayyad Islamic architecture, the most important recommendations of the study : Researchers in the field of Islamic history should address other aspects of Islamic architecture, especially religious and military architecture, in the various Islamic eras, and find deeper studies in it.

الفهرس

المقدمة

انتقلت الخلافة إلى الأمويين في عام (41هـ/660م) الذي عُرف بعام الجماعة وذلك بتنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان الذي تربع على سُدَّة الحكم والخلافة لمدة لا تقل عن عشرين عاماً، ومن أولى أعماله نقل مركز الخلافة من الكوفة إلى دمشق التي جعل منها حاضرة للدولة الأموية ومقراً للخلافة، وقد اتسعت رقعة الدولة الإسلامية إبان العصر الأموي نتيجة لحركة الفتوحات الإسلامية فشملت بلاد ماوراء النهر وماجاورها وامتدت حتى حدود الصين شرقاً وبلاد المغرب والأندلس غرباً، مما أدى إلى احتكاك العرب بغيرهم من الشعوب ذات الحضارات العريقة، فاستفادوا من نظمهم الإدارية والعسكرية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، وبذلك يعتبر العصر الأموي بداية لعملية تكوين الحضارة الإسلامية بصورة مكتملة، خاصة أن الأمويين قد اهتموا بكل ماهو متعلق بدفع عجلة التنمية والعمران في دولتهم العربية الناشئة فشجعوا على طلب العلم والمعرفة وعملوا على تطوير الزراعة والصناعة والتجارة والعمران.

تتميز سيرة الأمويين بشغفهم بالعمارة والبنيان فبلغت العمارة الإسلامية إبان فترة خلافتهم مستوى رفيعاً، فبعد أن وطد بنو أمية دعائم دولتهم وسيطروا على الطرق والأسواق التجارية بالإضافة إلى الجبايات وموارد الاقطاعات الكبيرة التي درت على خزائن الدولة الأموال الغزيرة ، فاغتنت الدولة وظهرت معالم الرخاء والثراء حيث قام الخلفاء وعمالهم بتجديد وتشييد الكثير من المدن والمساجد الجامعة والقناطر والسدود والقصور التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا شاهداً على أصالة وعراقة فن العمارة الإسلامية الأموية، ودليلاً على الرقي الاجتماعي وعلو المستوى الحضاري والرخاء الاقتصادي والترف الذي تمتعت به البلدان الإسلامية إبان العصر الأموي.

ومن أهم مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي بناء البيمارستانات حيث كان للأمويين قصب السبق في تشييدها بدمشق أولاً ثم نقلها إلى بقيت الأمصار الإسلامية ثانياً، بالإضافة إلى عمارة القصور التي تحمل سمة العظمة والفخامة التي تجلت في تزيين جدرانها وبواباتها الشاهقة بالزخارف واللوحات الملونة وأرضيتها المبلطة والمرصعة بالفسيفساء التي لم يعرفها المسلمون من قبل، حيث لم يهتم النبي ﷺ ولا الخلفاء الراشدون ببناء القصور ولا حتى زخرفة المساجد بل كانت البساطة السمة الطاغية على العمارة الإسلامية حين ذلك، حتى جاء الأمويون فتأثروا بالفرس والروم والقبط في فخامة طراز عمائرهم فجعلوا من ذلك مزيجاً عُرف بعد ذلك بطراز العمارة الإسلامية، وكذلك في تخطيط وبناء المدن وتوزيع الخطط وبناء دور الإمارة والمساجد الجامعة وتنسيق الأسواق والسكك والطرقات، ذلك مما جعل العرب يألفون الحياة المدنية بدلاً عن البداوة والحياة القبلية.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة هذه الدراسة حول مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي، ومحاولة الكشف عن أهم العوامل التي ساعدت الأمويين على القيام بهذه النهضة العمرانية العظيمة التي برز من خلالها الطراز الخاص بالعمارة الإسلامية، وبيان أثر الحضارات المجاورة في تكوين هذا الطراز، بالإضافة إلى توضيح فوائد بناء المدن الجديدة و إعادة تعمير المدن القديمة وأثره في ترقية وتطوير المجتمع العربي الإسلامي من القبلية إلى المدنية.

أهمية البحث:

بيان مدى التغيرات التي حلت على الدولة الإسلامية بعد تولي بني أمية شؤون الخلافة والحكم وما تميزت به عن الفترات السابقة واللاحقة لها من الناحية العمرانية بالمشرق والمغرب الإسلامي، ودورها في مدنية القبائل العربية وإلحاقهم بركب الحضارة والمدنية آنذاك.

أهداف البحث:

- التعرف على مفهوم العمارة والمدنية في الإسلام.
- التعرف على مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي ومدى التزامها بضوابط الشريعة الإسلامية في العمران والبناء.
- التعرف على الطرق المتبعة في تخطيط وتشييد المدن في العصر الأموي.
- الوقوف على مظاهر البذخ والترف في عمارة القصور الأموية وأثره في إضعاف الدولة.

منهج البحث:

المنهج التاريخي التحليلي الوصفي.

الحدود الزمانية والمكانية :

- الحدود الزمانية: 41هـ ــ 132هـ .
- الحدود المكانية: الحدود الجغرافية والإدارية للدولة الأموية.
- الحدود الموضوعية: مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي.

الدراسات السابقة :

- خالدة عبدالله عبدالمجيد: العمارة الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية في مصر 358هـ ـ 567هـ ، 969م ـ 1171م ، رسالة ماجستير، غير منشورة ، جامعة أم درمان الإسلامية، 2002م.ويحتوي البحث على تمهيد وأربعة فصول وهي كالآتي: التمهيد: تحصين القاهرة وبناء الحصون والأسوار، الفصل الأول:الجيش البري والأسطول ـ الآت الحرب والحصار ـ الإشراف الإداري . الفصل الثاني: العمارة الدينية المساجد، الأزهر الشريف ـ مسجد الحاكم ـ الأضرحة ـ القباب . الفصل الثالث: العمارة المدنية ، مدينة القاهرة ، الحارات ، البساتين ، الأسواق ، القصور، الحمامات ، دار الحكمة ، دور العلم. الفصل الرابع: تزيين العمارة بالخط العربي ، الزخارف النباتية ، النحت ، الفسيفساء. وتعد هذه الدارسة التى تنحصر في مجال العمارة الإسلامية بصفة عامة في إقليم مصر الإسلامية في ظل حكم الفواطم شاملةلجوانب العمارة الحربية والدينية والمدنية وهذه الأخيرة التى تتعلق بموضوعنا المطروح للدراسة والبحث في تخطيط وبناء المدن الإسلامية في العصر الأموي.
- عوض الله محمد أحمد عوض الله: العمارة الإسلامية في العصر العباسي الأول في بلاد العراق 132هـ ـ 232هـ ، 750م . 847م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، 1996م. يحتوي البحث على أربعة فصول الفصل الأول: العمارة الدينية ، المساجد التي شيدت في العصر العباسي الأول. الفصل الثاني: العمارة المدنية ، المدن والأسواق والقصور والدور الصحية والحمامات. الفصل الثالث: العمارة الحربية ، الأسوار والخنادق والأبراج والقلاع. الفصل الرابع: زينة العمارة في الخط العربي والزخارف وفن النحت والتصوير.وتشتمل هذه الدراسة على جميع النواحي المعمارية في العصر العباسي الذي يصف لنا أمجاد الأسلام في عهده الأول و النهضة العمرانية التى قام بها العباسيون وتعد دراستنا إن شاء الله توطئة لهذه الفترة الاسلامية وفنونها المعمارية في بناء وتخطيط المدن الإسلامية.
- الصادق عبدالرسول مهدي يعقوب: مظهر الحضارة الإسلامية في العراق في العصر السلجوقي في الفترة من 447هـ ـ 552هـ ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة، جامعة النيلين، 2002م. ويحتوي البحث على: تمهيد : قيام الدولة السلجوقية ، الفصل الأول:الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. الفصل الثاني: المظاهر السياسية ، السلطنة ، الحجابة. الفصل الثالث: المظاهر الإدارية ، الدواوين. الفصل الرابع: المظاهر الاجتماعية ، طبقات المجتمع. الفصل الخامس: المظاهر الاقتصادية. الفصل السادس: العلوم الشرعية والإنسانية. الفصل السابع: العلوم التطبيقية.

فهذه الدراسة فهي تشمل ضُروباً عديدة في النواحي الحضارية والإدارية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية، وتتفق مع موضوع دراستنا إن شاء الله في النواحي الحضارية و بالعمارة الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي السلجوقي.

- **تحليل بعض المصادر:**

لقد اعتمدت الأطروحة على مجموعة من المصادر التاريخية المهمة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: تاريخ الأمم والملوك: لمولفه محمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ)، ويعد هذا الكتاب ذروة التأليف التاريخي عند المسلمين العرب في القرون الثلاث الأولى للهجرة، فهو من أوثق مصادر التاريخ العربي الإسلامي، وقد قسم إلى قسمين، الأول: تناول أخبار الأمم قبل الإسلام بدءاً من سيدنا آدم عليه السلام مروراً بسِيرِ الأنبياء وتاريخ العرب حتى قبيل عصر البعثة النبوية ، وقد جاءت الحوادث في هذا القسم على أساس المواضيع وليس الحوليات، أما القسم الثاني: فقد تناول التاريخ الإسلامي بدءاً بنزول الوحي وحتى سنة 302هـ، ويشتمل على أحداث العصر النبوي والراشدي والأموي والعباسي، وقد استفاد الباحث من هذا المصدر فى إعداد جميع فصول البحث.

- البداية والنهاية، لابن كثير (ت. 774هـ).

وهو من أهم مصادر التاريخ الإسلامي، حيث يشتمل الكتاب على سرد تاريخي لحقبات زمنية متتالية منذ بدء الخليقة تناول قصص الأنبياء حتى البعثة المحمدية، ثم أحداث التاريخ الإسلامي إبان العهد النبوي ثم الخلافة الراشدة والعصر الأموي ثم العباسي حتى قبيل وفاة المؤلف بقليل (767هـ/ 1365م)، وقد اتبع المؤلف في سرد الأحداث طريقة الحوليات، واستفاد الباحث من هذا المصدر كثيراً في فصول البحث جميعها لا سيما الربط بين مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي وبين الخلفاء ورجال الدولة والأحداث السياسية والاجتماعية المعاصرة حينئذ.

- تاريخ دمشق، لابن عساكر(ت. 571هـ).

وهو كتاب ضخم يتألف من ثمانين مجلداً، يختص بتاريخ مدينة دمشق من جميع النواحي السياسية والإجتماعية والحضارية والجغرافية، كما ترجم لعدد كبير من أعلام العرب والمسلمين، حيث كانت مدينة دمشق قبلة المسلمين ومصدر القرار ومحجة وفود الجماعات والرجالات من الجزيرة والعراق وبلاد ماوراء النهرين ومصر وإفريقية والمغرب، يشد إليها الرحال بما زخرت به من المدارس وحلقات العلم في كل فن وعلم.

أما كتب الرحالات والجغرافية وكتب التراجم فمنها:

- معجم البلدان، لياقوت الحموي (ت.626هـ).

ويُعد هذا الكتاب من أهم الموسوعات الجغرافية التي ظهرت في القرن السادس الهجري ، حيث ذكر فيه الحموي صفة الأرض وما فيها من الجبال والبحار والأنهار، ثم تناول أسماء ومواضع الأقاليم والبلدان والمدن والقرى، مضبوطةً بالشكل مرتبةً أبجدياً على الحروف الهجائية، كما أورد تفاسيراً لتسمياتها وأصلها وتحديد موقعها بدقة، بالإضافة إلى لمحة موجزة عن البلد ومن بناها وتاريخ بناءها وفتحها وخططها وآثارها، وأبرز الأحداث التاريخية التي مرت بها حتى عصر المؤلف.

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي (ت.380هـ).

وهو من أهم الكتب الجغرافية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، وقد ذكر المقدسي في كتابه هذا الأقاليم الإسلامية ومافيها من البحار والأنهار والبحيرات، كما وصف أمصارها ومراكزها المشهورة، ومنازلها المسكونة وطرقها وسككها المستعملة، وطبائعها الجغرافية والعمرانية والبشرية، وقد قسم المؤلف هذه الأقاليم وفقاً لخط سيره أثناء ترحاله بين البلدان التي زارها، فجعلها ست أقاليم وهي إقليم العراق وإقليم أقور وإقليم الشام وإقليم جزيرة العرب وإقليم مصر وإقليم المغرب، يضم كل إقليم عدداً من المدن والأمصار.

- سير أعلام النبلاء، للذهبي(748هـ).

يُعد هذا الكتاب من أهم المصادر في تراجم أعلام المسلمين، وقد رتب المؤلف كتابه على طبقات، فجعله في أربعين طبقة تقريباً، ابتدأها من عصر الصحابة وحتى عصره، ولم يقتصر على فرع معين من الإعلام بل نوع في تراجمه حيث شملت طبقات الخلفاء والملوك والسلاطين والقضاة والوزراء والعلماء وغيرهم، على امتداد رقعة البلدان الإسلامية آنذاك.

هيكل البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة وهي عبارة لمحة قصيرة عن قيام الدولة الأموية ورقعتها الجغرافية وأهم المظاهر الحضارية التى تميز بها العصر الأموي خصوصاً العمرانية منها، وقد قام البحث بتقسيم هذه الأطروحة إلى أربعة فصول وهي كالآتي: الفصل الأول بعنوان مفهوم المدنية والعمارة في الإسلام، وهو يتألف من مبحثين الأول تناول مفهوم المدينة في الإسلام ونشأتها منذ العهد النبوي ومراحل تطورها مروراً بفترة الخلافة الراشدة وانتهاءاً بالعصر الأموي، أما المبحث الثاني فقد تناول مفهوم العمارة في الإسلام من الكتاب والسنة ومشروعية العمارة والبناء والضوابط الشرعية الخاصة وفق الشريعة الإسلامية، أما الفصل الثاني فهو بعنوان تجديد وبناء المدن بالشام وشمال إفريقيا إبان العصر الأموي، وجاء على مبحثين الأول تناول تجديد وبناء المدن بالشام وهي دمشق وحلب ورصافة هشام والرملة، أما الثاني فتناول تجديد وبناء المدن في شمال إفريقيا وهي الفسطاط وحلوان والقيروان وتونس، ثم الفصل الثالث وهو بعنوان تجديد وبناء المدن في العراق وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي، ويتألف أيضاً من مبحثين الأول يتاول تجديد وبناء بالعراق وهي مدينة البصرة والكوفة وواسط والموصل، أما الثاني فيتناول تجديد وبناء مدن بلاد ماوراء

النهر وهي بخارى وقزوين والديبل وشيراز وجرجان وأسد أباذ و المنصورة والمحفوظة، أما الفصل الرابع والأخير فهو بعنوان تجديد وبناء المرافق المدنية الخاصة والعامة في العصر الأموي، ويتألف من مبحثين، الأول تناول عمارة البيمارستانات والحمامات، والثاني تناول تجديد وبناء القصور، بالإضافة إلى الخاتمة والنتائج والتوصيات والملاحق، ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم المدينة في الإسلام

المدينة في اللغة: يرجع أصل كلمة مدينة في اللغة العربية إلى مَدَنَ ومَدَنَ بالمكان أي أقام به، ومدن المدائن أي مصرها.[1] كما يقول البعض بأن المدينة هي الحصن على أن يبنى هذا الحصن على أُصطُمة[2] من الأرض، وبذلك فإن كل قطعة من الأرض يبنى على أُصطُمتها حصن تعد مدينة، وأن المدينة تعادل الأمة من حيث المقومات بمدلولاتها الاجتماعية والجغرافية.[3]

وقال آخرون: إن كلمة مدينة مشتقة من أصل دين والمقصود بها دين الملك، ودنته تعني ملكته وهو دَيِّنٌ مملوك، ويرجع أصل كلمة دين إلى اللغة الآرامية أو العبرية ويقصدبها العدالة.[4]ويقال إن كلمة دين من أصل سامي وتعني مدينة وتعرف عند الأكديين والأشوريين بالدين والقانون، وأن بيت الدين هو مقر الحكم، وكلمة المدائن في اللغة العبرية هي من إحدى المصطلحات القانونية. وأما في اللغة الآرامية كلمة مدينة مأخوذه من لفظة مدينتا وتعنى مكان ومقر القضاء.[5] ويتبين من خلال هذه الدلائل اللغوية بأن لفظة مدينة يرجع أصلها لكلمة دين والمراد بها الملك والتملك،كما يتضح من فهم العرب ودرايتهم بالعلاقة الجدلية بين المدينة والقانون والقضاء، وكما تدل لفظة مدينة على التقدم الحضاري والثقافي والاجتماعي.[6]

المدينة في الإصطلاح: وهي أي مكان محدد من الأرض يجتمع فيه الناس من مختلف الأجناس وتكون نسبة تجمعهم كثيفة، كما أنه مستقر ينشغل فيه أكثرية الناس بأنماط إنتاجية بخلاف الأنماط الرعوية والزراعية، فبذلك تكون المدينة هي رقعة حضارية خاصة بالأفراد المتمدنين المتحضرين من المجتمع.[7]

---

[1] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري: لسان العرب،ط3، ج14، دار صادر، بيروت، 1987م، ص84.

[2] أُصطُمه: أو الأسُطمة وهي معظم الشئ ومجتمعه وأوسطه. المصدر نفسه، ج9، ص184.

[3] الفيروز أبادي، أبوطاهر مجدالدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط8 ، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 2005م، ص270.

[4] الجوهري، أبونصر إسماعيل بن حماد الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط4،ج6،دار العلم للملايين،بيروت،1987م، ص201.

[5] حجازي، محمود: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت)، ص126.

[6] ناجي، عبدالجبار: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،2001م، ص17.

[7] نفسه: ص 57 _ 58.

وبالنسبة لظهور المدن تعد الفترة مابين الألف السادس والخامس قبل الميلاد هي الشاهدة على البواكير الأولى لظهور الأماكن العمرانية ذات الخصائص المدنية، وذلك نتيجة لقيام بعض التحولات التي ساعدت على قيام هذه المحلات المدنية والحضارية، وأهمها معرفة الكتابة والإحصاء والتقويم وقيام السلطات المركزية، فنتج عن ذلك تطور اجتماعي واقتصادي وسياسي وحضاري فكري، فكانت تلك هي بداية لقيام المدن الكبرى.[1]

المدينة عند العرب قبل الإسلام: استخدم العرب الكثير من المصطلحات للدلالة على الظواهر الحضارية والمدنية وذلك نسبة لثراء اللغة العربية وفصاحة أهلها وبلاغتهم في وصف الأشياء، ومن الألفاظ المستخدمة عند العرب للدلالة على المدن كلمة المصر[2] والقصبة[3] والبلدة[4] والكورة[5] والمدرة[6] والقرية[7]، كما استعملوا للإشارة لما يحيط بالمدن من أمكان كلمة الريف والضيعة[8] والربض[9]

---

[1] إسماعيل، أحمد علي: دراسات في جغرافية المدن، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص39.

[2] المصر: تعني الحد أو الحاجز، ومصر الدار حدودها، ويقال مصر الأمصار أي: مدن البلاد. والمصر الجامع هو البلد الذي عظمت فيه العمارة وتوفرت به السلطة القضائية والتنفيذية. ابن منظور: لسان العرب، ج14،ص84.

[3] القصبة : هي جوف الصحن ووسطه الذي يبنى فيها البناء، والقصبة مركز البلد ومدينته العظمى، وقصبة السواد يعني مدينتها. نفسه: ج12، ص132.

[4] البلدة : هي اسم يطلق عموماً على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء، وكذلك يستخدم بمعنى المكان المختط المحدود والمتأنس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه. وإطلاقه على المدينة باعتبار أنها قطعة من الأرض محدودة ومسكونة.المصطفوي، حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج1، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، 1393هـ، ص353.

[5] الكورة: جمعها كور، وهي المدينة والصقع. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج13، ص131.

[6] المدرة: هي من أصل مدر وتعني قطع الطين اليابس، أو العلك الذي لا رمل فيه، ويقال للحاضرة أو المدينة مدرة لأنها مبنية من الطين المدر خلاف البادية، ويقال أهل المدر أو بنو مدراء للحضر وأهل الوبر للبدو.ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج14،ص39.

[7] القرية: يقال القارية للحاضرة الجامعة والبادية لمقر البدو، والقرية هي المصر الجامع، وجمعها قرى وهي المساكن والضياع المجتمعة، وقد تطلق كلمة القرية على المدن في بعض الأحيان.نفسه: ج12،ص92.

[8] الضيعة: هي مال الرجل من النخل والكرم والأرض المغلة،وكذلك يراد بها العقارات والمنازل. ويقول العرب ضيعة الرجل أي أي حرفته ومعاشه. نفسه: ج9،ص77.

[9] الربض: هو ما حول المدينة من الأراضي، ويعد تابعاً من توابعها وليس جزءاً من كتلتها السكنية، وإنما خارج أسوارها، وذلك وذلك من سمات فيضان السكان عن المدن الكبرى.نفسه: ج6، ص81.

والضاحية[1] وغيرها، وكثرة المصطلحات الدالة على المدنية وماحولها من بقاع وعمق الحاجة إلى التعبير عنها بطرق مختلفة، دليل على استبحار العرب في مفهوم المدينة والتمدن.[2]

كان العرب قبل الإسلام على قسمين: بدو وحضر، وقد عاش البدو في نظام الوحدة الصغيرة التي يربط بينها الدم والعشيرة وهي القبيلة، كما استطاع الحضر أن يكونوا ممالك لها ملوك ونظم سياسية فتباينت هذه الممالك من حيث القوة والضعف، وتمركزت مناطق الحضر في بلاد العرب قبل الإسلام في المناطق الجنوبية باليمن حيث قامت ممالك سبأ ومعين وحمير، و في شمال بلاد العرب حيث قامت ممالك الأنباط وتدمر[3] والغساسنة.[4] ومن أهم المدن التى اتخذت كحواضر لهذه الممالك القديمة مدينة دمون[5] وقرناو[6] وقرناو[6] وإرم[7] ومأرب[8]وريدان[1] والحيرة[2]والبتراء[3]، ونستدل على عظمة هذه المدن من القرآن الكريم

---

[1] الضاحية: الضاحي من الشيء هو القسم البارز منه، وضاحية البلد الناحية الظاهرة منه والخارجة عن أسواره، والضاحية تكون على مسافة من المدينة ومساكنها. البغدادي، عبدالقادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،ط4، ج2،مكتبة الخانجي، القاهرة،1997م، ص258.

[2] مصطفى، شاكر: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني،ج1، دار طلاس للدارسات والنشر والترجمة، دمشق، 1988م، ص328.

[3] هي مدينة قديمة مشهورة في برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، وقيل إنها سميت على اسم تدمر بنت حسان بن أذينة أذينة من العماليق، وهي من عجائب الأبنية موضوعة على الأعمدة والرخام، وزعم أنها مما بنته الجن لسيدنا سليمان عليه السلام. المقدسي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3،مكتبة مدبولي للنشر،القاهرة، 1991م، ص65.

[4] محمود، محمود عرفة: العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، مكتبة عين شمس للدراسات والبحوث، القاهرة، 1965م، ص113 _120.

[5] هي مدينة تقع نواحى الجبال الشرقية مما يلى حضرموت، وقد اتخذها الكنديون حاضرةً لهم. ياقوت الحموي، أبوشهاب الدين عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، ط2، ج2، دار صادر،بيروت، 1995م،ص472.

[6] يقال قرنة أو قرنا وهي مدينة قديمة باليمن في منطقة الجوف شرقي صنعاء، وهي عاصمة دولة معين التى قامت مابين 1300_ 630ق.م. علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، ج3، دار الساقي،بيروت،2001م، ص73.

[7] إرم ذات العماد والمراد بها ذات المُلك، وهي إرم سيدنا هود عليه السلام، وهي بلدة باليمن بين صنعاء وحضرموت. الزبيدي، المرتضى محمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ط2، ج31، وزارة الإرشاد والأنباء،الكويت، 1965، ص206.

[8] وهي بلاد الأزد باليمن، وهي مدينة تقع بين حضرموت وصنعاء، وبينها وبين صنعاء أربعة أيام، وبها سد مأرب الصرح المعماري العظيم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص35.

الكريم بقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[4]وأيضا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[5]وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَاد ﴾.[6]

المدينة في الإسلام: المدينة هي أرقى إنجاز توصلت إليه البشرية منذ بدء الخليقة، فهي نبراس الحضارة ومركز الإشعاع الفكري الإسلامي القويم، والمدينة الإسلامية هي المكان الحضاري الذي يتم فيه التفاعل بين الناس وفق قيم ومبادئ مقدسة نابعة عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يحترمها جميع أفراد المجتمع. وقد نشأت المدينة الإسلامية وفق الدستور والنهج الذي وضعه النبي-ﷺ للمدينة- الإسلامية بعد الهجرة النبوية الشريفة، وقد اتبع المسلمون ذلك النهج في تأسيس المدن والأمصار بعد حركة الفتوحات الإسلامية،[7] وبناءاً على ذلك فإن المدينة هي نظام إجتماعي وإقتصادي وسياسي متكامل، كما أنها عمل فنى وأداة للاتصال بين المجتمعات،[8] لذا فالمدينة الإسلامية ليست مجرد ظاهرة جغرافية أو تاريخية فحسب، بل هي

---

[1] وهي عاصمة دولة حمير 115ق.م _ 535م، تقع بجنوبي صنعاء وقد اشتهرت فيما بعد باسم ظفار وهي التى حلت محل مأرب عاصمة سبأ وقرناو عاصمة معين. نافع،محمد مبروك: عصر ماقبل الإسلام، ط2، مؤسسة هنداوي للنشر،القاهرة، 2017م، ص75.

[2] وهي مدينة قديمة بالعراق على مقربة من نهر الفرات وأنقاض بابل، وتقع على بعد ثلاثة أميال جنوبي الكوفة، ويقال أن أول من أسسها الملك الكلداني نبوخذ نصر562_604ق.م، ثم اتخذها المناذرة عاصمة لهم قُبيل الإسلام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص201.

[3] وهي عاصمة الأبناط وقاعدة ملكهم بنوها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد بجنوبي الأردن، والبتراء لفظة يونانية معناها الصخرة، ويقابلها في العبرية سلع وفي العربية الرقيم، وتعرف اليوم بوادي موسى، ومازال آثار قصورها وفن عمارتها باقية حتى اليوم وتبدو أنها منحوتة في الصخور وكأنها حجر واحد. حمور، عرفان محمد: مواسم العرب، ج1، دار الكتب العالمية،بيروت، 1971م، ص163.

[4] سورة سبأ: الآية 15

[5] سورة سبأ: الآية 18.

[6] سورة الفجر: الآيات 7 _ 8.

[7] صبري، ميادة عبدالملك محمد: تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية "مدينة دمشق القديمة نموذج حضري لقمة التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي"، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد11، 2012م، ص3.

[8] نيكيتا، اليسيف: التخطيط المادي، مقالة من حلقة التدارس التى عقدت بمركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية جامعة كمبرج، المملكة المتحدة، تحت عنوان "المدينة الإسلامية"،ترجمة أحمد تعلب، أشرف على النشر منظمة اليونسكو،1983م،ص15.

ظاهرة دينية اتسمت بتعبير وتنظيم مكاني حسب ما جاء في التشريع الإسلامي إذ امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية[1]، حيث تعد المدينة الإسلامية انعكاساً لنظام عقائدي سياسي وإجتماعي ثقافي، ينتج عن التفاعل الحضاري للإنسان مع بيئته الحضرية وفق المفاهيم والمبادئ الإسلامية.[2]

المدينة في القرآن الكريم: يمدنا القرآن الكريم بآيات عديدة حول موضوع تحديد معنى المدينة ومعاييرها، فللقرآن الكريم أهمية كبيرة في دراسة الوضعية التمدنية عند المسلمين، ومن بين الآيات الكريمة التى وردت فيها كلمة المدينة قوله تعالى:﴿قالَ فِرعَونُ آمَنتُم بِهِ قَبلَ أَن آذَنَ لَكُم إِنَّ هذا لَمَكرٌ مَكَرتُموهُ فِي المَدينَةِ لِتُخرِجوا مِنها أَهلَها فَسَوفَ تَعلَمونَ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿ وَجاءَ أَهلُ المَدينَةِ يَستَبشِرونَ ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾[5] قال تعالى:﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[6]، والمراد هنا بالمدينة مدينة رسول الله(ﷺ)،[7]وقوله تعالى:﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾[8] صدق الله العظيم. ويستنتج من خلال هذه الآيات بأن المدينة في الإسلام هي المكان المحدد الذي تجتمع فيه جمهرة من الناس ليس معظم نشاطهم الزراعة، به سلطة سياسية تقيم العدل بين الناس، وذلك دون تحديد واضح للحجم السكاني أو القوة السلطانية.[9]وقوله تعالى:﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[10] كذلك قال تعالى:﴿ وَأَمَّا الجِدارُ فَكانَ لِغُلامَينِ يَتيمَينِ فِي المَدينَةِ وَكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما وَكانَ أَبوهُما صالِحًا فَأَرادَ رَبُّكَ أَن

---

(1) رفعت، الجادرجي: التراث ضرورة، مجلة اتحاد المهندسيين العرب، العدد37، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المهندسيين العرب، بغداد،1985م، ص23.

(2) صبري: مرجع سابق، ص3.

(3) سورة الأعراف: الآية 123.

(4) سورة الحجر : الآية 67.

(5) سورة الأعراف: الآية 111.

(6) سورة المنافقون: الآية 8.

(7) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج1، دار الكتب العلمية،بيروت،1415هـ، 309.

(8) سورة يس: الآية 20.

(9) مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص68.

(10) سورة الكهف: الآية 77.

يَبلُغا أَشُدَّهُما وَيَستَخرِجا كَنزَهُما رَحمَةً مِن رَبِّكَ وَما فَعَلتُهُ عَن أَمري ذلِكَ تَأويلُ ما لَم تَسطِع عَلَيهِ صَبرًا﴾[1].
والمدينة هي القرية المذكورة فيما سبق، وقد كانت العرب تسمي المدينة بالقرية.[2]
وبذلك فقد ورد مدلول المدينة في القرآن الكريم بعدة ألفاظ تحمل المعنى نفسه منها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[4] صدق الله العظيم، وقد ورد في تفسير هذه الآية على لسان ابن عباس رضى الله عنه أن المراد بالقرتيين مكة والطائف.[5] كما أن هنالك العديد من الآيات قد ورد فيها لفظ القرية التى تحمل صفات وخصائص المدينة، مثل المدن الساحلية التى تكون عليها المرافئ والموانئ البحرية، قال تعالى: ﴿ وَاسأَلهُم عَنِ القَريَةِ الَّتي كانَت حاضِرَةَ البَحرِ إِذ يَعدونَ فِي السَّبتِ إِذ تَأتيهِم حيتانُهُم يَومَ سَبتِهِم شُرَّعًا وَيَومَ لا يَسبِتونَ لا تَأتيهِم كَذلِكَ نَبلوهُم بِما كانوا يَفسُقونَ﴾[6].
وقد ورد على لسان بعض المفسرين أن القرية المذكورة المراد بها مدين[7]وقيل أيلة[8] أو مقنا[9]،[10] وهنا استعمل لفظ القرية وكأنها الحاضرة ويبرز بجلاء كونها مدينة وأنها حاضرة البحر بمعنى المدينة المرفأ التى تردها السفن وبها الموانئ.[11] قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنَّةً يَأتيها رِزقُها رَغَدًا مِن

[1] سورة الكهف: الآية 82.
[2] الماتريدي، أبومنصور محمد بن محمد بن محمود: تفسير الماتريدي، ج7، دار الكتب العالمية، بيروت، 2005م، ص198.
[3] سورة الزخرف: الآية 23.
[4] سورة الزخرف: الآية 31.
[5] الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي: جامع البيان في تأويل القرآن " تفسير الطبري"، ج21، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ص 592.
[6] سورة الأعراف: الآية 163.
[7] هى قرية على بحر القلزم محاذية لتبوك، بها البئر التى استقى منها سيدنا موسى لسائمة الشيخ الكبير، وقيل أن مدين اسم قبيلة ويظن أنهم من نسل مديان بن إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورا، وتمتد أرضهم جبال مؤاب "الكرك" شمالاً إلى سيناء غرباً، وكانوا يتاجرون بين مصر والشام. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص77.
[8] هي قرية قرب أيلة صالحهم النبي ﷺ، على ربع عروكهم، والعروك حيث يصطاد عليه.البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص 71.
[9] بلد معروفة على ساحل البحر آخر الحجاز وأول الشام، وتعرف اليوم بالعقبة. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج1، دار الكتب العلمية،بيروت، د.ت، ص19.
[10] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: النكت والعيون " تفسير الماوردي"، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م ص 271.
[11] ناجي: مرجع سابق، ص64.

كُلِّ مَكانٍ فَكَفَرَت بِأَنعُمِ اللَّهِ فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الجوعِ وَالخَوفِ بِما كانوا يَصنَعونَ ﴾[1]. ويقول بعض أهل التفسير أن المراد بالقرية هنا مكه لأنها مدينةٌ قارّةٌ بأهلها، فهم لا يحتاجون إلى النَّجْع، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها يأتيهم رزقهم رغداً من كل مكان، كما يقول البعض الآخر بأنها المدينة المنورة[2]، فكلا الحالتين تؤكد أن كلمة القرية مراد بها المدينة سواءً كانت مكة المكرمة أو المدينة المنورة. وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾[3]، والمراد بالقرية هنا مكة[4]، قال تعالى:﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[5]، وهذه القرية هي أنطاكية أنطاكية من قول جميع المفسرين.[6] وبذلك نستنتج من خلال هذه الآيات الكريمات أن مدلول كلمة قرية قد استخدم للإشارة إلى العديد من المراكز الواقعة بشبه جزيرة العرب وماحولها، والتي تتوفر فيها صفات وخصائص المدن بالرغم من أن بعضها كانت مدن صغيرة مقارنة بالمراكز الحضارية التى يُطلق عليها تعبير مدينة خارج بلاد العرب.

المدينة في الحديث الشريف: كما وردت كلمة المدينة في القرآن الكريم بصريح العبارة أو بألفاظ أخرى تحمل المعنى نفسه ، كذلك وردت في الحديث النبوي الشريف بصيغ متعددة تحمل نفس المدلول، فعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبي(ﷺ) قال:(إن إبراهيم حرم مكة وإنني حرمت المدينة مثلما حرم إبراهيم مكة، لاينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولايتخلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد) أخرجه البخاري[7]. والمراد هنا هنا بكلمة المدينة مدينة رسول الله ﷺ ، وذلك بعدما بدل النبي (ﷺ) اسمها من يثرب[8] إلى المدينة، وقد نهى النبي (ﷺ) بعد ذلك تسميتها بيثرب، فعن ابن شبه أن ابن عباس رضى الله عنه قال: أن النبي(ﷺ) قال:(من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله) أخرجه البخاري.[9] وفيما ذكره أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي(

---

[1] سورة النحل: الآية 112.

[2] الطبري: جامع البيان، مصدر سابق، ج 17، ص309.

[3] سورة محمد: الآية 13.

[4] الماوردي: النكت والعيون، مصدر سابق، ج5، ص 296.

[5] سورة يس: الآية 13.

[6] الماوردي: النكت والعيون، مصدر سابق،ج5، ص10.

[7] الإمام البخاري، أبوعبداللهمحمد بن إسماعيل العجفى: صحيح البخاري، دار ابن كثير للنشر، دمشق، 2002م، ص450.

[8] يثرب: من ثرب يثرب ثرباً، وثربه في اللغة تعنى لامه وذمه على ذنب، والتثريب هو الفساد والإتلاف، كما قال تعالى: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم...)، لذلك بدل النبي (ﷺ) اسمها بالمدينة أو طيبة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص160.

[9] الإمام البخاري: مصدر سابق، ص451.

ﷺ) قال:(أُمِرتُ بقَريَةٍ تَأكُلُ القُرَى يَقُولُونَ يَثرِب وهيَ المدينَةُ تَنفِي النّاسَ كَمَا يَنفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيد) أخرجه مسلم.[1] ومن خلال هذا الحديث يتضح لنا أن كلمة القرى قد تستخدم للدلالة على المدن، وكذلك في حديث مالك بن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقول: لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما زعرتها، فقد قال رسول الله عليه وسلم:(مابين لابتيها[2] حرام) أخرجة مسلم.[3] وأيضا قال أبوداؤود: حدثث عن ابن وهب عن جرير بن حازم عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ﷺ):(يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم[4] سلاح[5]) أخرجه أبو داؤود[6]. داؤود[6].

كذلك ورد لفظ المدينة في الحديث النبوي للدلالة على المدينة المنورة تحديداً، وأيضا ورد للدلالة على المدن بصورة عامة، فعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:(فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، من خير مدائن الشام) أخرجه أبوداؤود.[7]وعن أبي سكينة رجل من المحررين عن رجل من أصحاب النبي(ﷺ) قال: لما أمر النبي(ﷺ) بحفرالخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي(ﷺ) وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وضرب وقال:(تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله (ﷺ) برقة ثم ضرب الثانية وقال تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر فبرق برقة يراها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم فندر الثلث الباقي وبرق برقة وخرج رسول الله (ﷺ) وأخذ رداءه وجلس قال

---

[1] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج،ج9، دار إحياء التراث العربي،بيروت،1392ه، ص509.

[2] اللابتان هم الحرتان، و المراد بها حرتا المدينة المنورة(واقم والوبرة) واللابة أو الحرة هي الأرض التي ألبست الحجار السود الجرداء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق،ج4، ص438.

[3] الإمام مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح الإمام مسلم، ج2، دار طبية، الرياض، 2006م، ص620.

[4] مسالح جمع مسلحة وهم القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسُموا مسلحة لانهم ذوي سلاح. إبن حاتم، أبومحمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي: العلل لإبن إبى حاتم، ج3، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1427ه، ص382.

[5] سلاح: هو موضع أسفل من خيبر. البكري، أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي: ج3، دار عالم الكتب، بيروت،1403ه، ص744.

[6] أبوداؤود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبى داؤود، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، ج2، دار الرسالة العالمية، دمشق،2009م، ص210.

[7] نفسه، ص209.

سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة قال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم): يا سلمان رأيت ذلك قال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال: فإني حين ضربت الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني فقال: له من حضره من أصحابه يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بأيدينا بلادهم قال: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت إلي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني قال: يا رسول الله ادع الله يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم فدعا رسول الله (ﷺ) ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني فقال: رسول الله (ﷺ) عند ذلك دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم)أخرجه النسائي.[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي(ﷺ) قال:(سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله! قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها، قال ثور (أحد رواة الحديث): لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون) أخرجه النووي، ويقول العلماء في شرح هذا الحديث أن المدينة التى يدل عليها سياق الحديث هي مدينة القسطنطينية.[2] وقد ورد على متون الأحاديث والسنة النبوية الشريفة، استخدام كلمة المدينة التى كانت تقوم بوظيفة الحصن، كما أنه قد مُيز في هذه الأحاديث بين المدينة الحصن والقلعة وهي التى تمثل جزءاً من المدينة، كما يروى الإمام أحمد في المسند عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه في إحدى المغازي انتهى إلى حصنٍ أو مدينة، فقال لأصحابه: دعوني أدعوهم كما رأيت رسول الله (ﷺ) يدعوهم، فجاءهم فقال: إنما كنتُ رجلاً مثلكم، فهداني الله عز وجل للإسلام، فإن أسلمتم فلكم مالنا وعليكم ماعلينا، وإن أبيتم فأدوا الجزية وأنتم صاغرون، وإن أبيتم نابذناكم على سواء، أي أعلنا الحرب عليكم على بينة بيننا وبينكم، ثم تلا:﴿وَإِمّا تَخافَنَّ مِن قَومٍ خِيانَةً فَانبِذ إِلَيهِم عَلى سَواءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخائِنينَ ﴾[3] ويفعل ذلك بهم ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الرابع، غدا الناس

---

[1] الإمام النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي: صحيح النسائي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ج2، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، 1419هـ، ص389.

[2] النووي: مصدر سابق ،ج18، ص43.

[3] سورة الأنفال: الآية 58.

إليها ففتحوها بعون الله) أخرجه الترمذي.[1] كما روى عن أبى سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(يفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس، كما قال تعالى: ﴿ ...وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[2] فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم ...) أخرجه الإمام أحمد.[3]

كما أنه قد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة تعبير البلد والمصر بمدلول المدينة، فعن أبى أيوب الأنصاري رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول:(ستفتح عليكم الأمصار وستكون جنود مجندة، تُقطع عليكم فيها بعوث فيكره الرجل منكم البعث فيها فيتخلص من قومه ثم يتصفح القبائل يعرض نفسه عليهم يقول من أكفيه بعث كذا من أكفيه بعث كذا ألا وذلك الأجير إلى آخر قطرة من دمه) أخرجه أبوداود.[4]وكذلك قد وردت كلمة قرية في الأحاديث النبوية الشريفة بمعنى المدينة، فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال:(أخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة) أخرجه الترمذي.[5] وكذلك فعن عبادة بن نسي قال:(كان رجل بالشام يقال له معدان وكان أبو الدرداء يقرئه القرآن ففقده أبو الدرداء فلقيه يوما وهو بدابق فقال له أبو الدرداء يا معدان ما فعل القرآن الذي كان معك كيف أنت والقرآن اليوم قال: قد علم الله منه فأحسن قال: يا معدان أفي مدينة تسكن اليوم أو في قرية قال: لا بل في قرية قريبة من المدينة قال: مهلاً ويحك يا معدان، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " ما من خمسة أبيات لايؤذن فيهم بالصلاة وتقام فيهم الصلوات إلا استحوذ عليهم الشيطان ان الذئب يأخذ الشاة، فعليك بالمدائن ويحك يا معدان).أخرجه الامام أحمد.[6]

كما روى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سُئل رسول الله (ﷺ) عن اللقطة؟ فقال:(ما كان في

---

[1] الإمام الترمذي، أبى عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك: سنن الترمذي، ط2، ج1، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، 2015م، ص292.

[2] سورة الأنبياء: الآية 96.

[3] القرطبى، مكي بن أبي طالب القيسى: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص367.

[4] ابى داود: السنن، مصدر سابق، ج2، ص162.

[5] الإمام الترمذي: مصدر سابق، ص879

[6] ابن حنبل، الإمام أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج11، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001م، ص573.

طريق مأتي أو قرية عامرة فعرفها سنه، فإن جاء صاحبها و إلا فلك، ومالم يكن في طريق مأتي ولاقرية عامرة ففيه وفي الركاز الخمس) أخرجه النسائي.[1]

المدينة عند الفقهاء: الفَقِه في اللغة، يدل على إدراك الشيء والعلم به، وفقه الشئ أى علمه وفطنه، وكل علم بشيء فهو فقه، ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه، وأفقهتُك الشيء، إذا بينتُه لك.[2] أما في الاصطلاح فهو معرفة أحكام الله تعالى في المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، من الكتاب والسنة، ومانصبه الشارع لمعرفة الأدلة فإذا استُخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.[3]

وقد شمل باب الأصول والأحكام في الفقه على مافي حياة المدن وأدقها على السواء ضمن إطار الشريعة، وكذلك وقف الفقهاء على المعايير والخصائص التى يجب توفرها في المدينة الإسلامية أولها عقد وإقامة الصلاة الجامعة يوم الجمعة، وذلك لأنها الصلاة الجامعة التى تقام في المسجد الجامع بكل مدينة، فضلاً عن إعتبار أن للمسجد الجامع خصوصية تمدنية وفقاً للمفهوم الإسلامي، ولذلك يرى بعض الفقهاء بأن هذه الصلاة الجامعة لايمكن إقامتها في أي مكان دونما تحديد، إذ لا يجوز إقامتها إلا في الأمصار،[4] ويستدلون ويستدلون على ذلك بحديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله(ﷺ) قال:(لاجمعة ولا تشريق ولافطر وأضحى إلا في مصرٍ جامع) رواه عبدالزراق وابن شيبة وصححه ابن حزم.[5] ولأن النبي(ﷺ) كان يقيم الجمعة في المدينة وماروي عنه أنه أقامها في القرى التى حولها، وأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فتحوا البلدان ولم ينصبوا المنابر إلا في الأمصار، ولهذا لاتؤدى الجمعة في البراري، وأما إذا

---

[1] ابن الملقن، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في شرح الكبير، ج5، تحقيق مصطفى أبو الغيط وآخرون، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 2006م، ص26.

[2] ابن فارس، أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة، ج4، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، ص242.

[3] ابن خلدون، أبوزيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي الحضرمي: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص563.

[4] ناجي: مرجع سابق، ص67.

[5] الأعظمي، محمد ضياء الرحمن: المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي،ج2، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2001م، ص193.

لم يوجد في القرية الجامع المذكور وينقص أهلها عن الأربعين لم تجب الجمعة عليهم لأنهم غير متوطنين في محل الجمعة والجامعة.[1]

والمصر الجامع هو كل موضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم فيه الحدود،[2] وكذلك هو البلد الكبيرة التى بها الأسواق وفيها والٍ يقدر على إنصاف المظلوم من الظالم، ويرجع إليه الناس في الحوادث، والمصر الجامع أعظم من القرية وهو المكان الذي تجتمع فيه العمارة والمعاملات.[3] وبناءاً على ذلك فإن من شروط المدينة عند بعض الفقهاء، ضرورة إجتماع المنازل والناس بها، وضرورة أن يقطن أو يقيم في هذا الموطن من تنعقد بهم صلاة الجمعة، وضرورة أن لايظعن أو لا يرحل من هذا الموطن هؤلاء الناس صيفاً أو شتاء، وهذا يدل على توافق مفهوم اللغويين العرب والتحديد الفقهي للحاضرة والمدينة. وكذلك يعد الإمام أبوحنيفة المصر هو المكان الذي يتوفر فيه قاض ينفذ الأحكام ويقيم فيه السلطان الحدود.[4] وأيضا من خصائص المدينة عند الفقهاء القدرة البشرية والكثافة السكانية والتطور العمراني.[5]

أهمية المدن: للمدن مكانة متميزه في تاريخ الحضارة الانسانية وتطورها، فإن استقرار عدد كبير من السكان بها ينمي بينهم علاقات ثابتة، ويؤدي إلى ظهور مؤسسات اجتماعية و اقتصادية وإدارية تنظم الحياة فيها بما يحقق الأمن والطمأنينة وييسر النمو الاقتصادي والفكري والحضاري، وبذلك تتسم بالاستقرار الذي يميزها عن حياة الفلاحين من أهل القرى والأرياف و عن البدو من أهل البوادي، وقد ظلت المدن منذ بدايات نشوئها الموئل المكين لازدهار ونمو الحضارة الإنسانية التي يكون القسط الأكبر من دراساتها ما يتصل بالمدن ولا تتوضح معالمه وأسسه وتطوراته إلا بمعرفة ما كان قائما في هذه المدن.[6]

تتميز المدن بتجمع عدد كبير من الناس للعيش الدائم معاً في مكان واحد سعياً وراء تحقيق حاجاتهم المادية التي تؤمن لهم مسكنهم و مأكلهم وملبسهم والمتطلبات الحياتية الأخرى التي تزداد أو تنقص تبعاً لطموحات

---

[1] ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد الدمشقي الحنبلي: المُغنى، ط2، ج2، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي وآخرون، دار عالم الكتب، بيروت، 1992م، ص361.

[2] الزيلعي، أبومحمد جمال الدين عبدالله بن يوسف الحنفي: نصب الراية لأحاديث الهداية، ج2، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان للطاباعة والنشر، بيروت، 1997م، ص227.

[3] ابن غانم، أحمد بن غانم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي: الفواكة الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، ج1، دار الفكر، 1995م، ص305.

[4] الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد ، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص103.

[5] ناجي: مرجع سابق، ص71.70.

[6] العلي، صالح أحمد: خطط البصرة ومنطقتها،مطبعة، المجمع العلمي العراقي، 1968م، ص5.

السكان و أهوائهم و أذواقهم ومدى توفر الإمكانات المادية لتحقيقها، فإن المدن بحياتها المزدهرة أكثرملاءمة لأن تكون مراكز إدارة البلاد التي تقع فيها، سواء أقامت الدول مراكزها في مكان قائم أو أوجدته، فإن المركز يصبح أكثر هيمنة على الريف والمناطق القديمة، فالمدينة تأخذ بعض ما في الريف ولكنها أكثر تقدماً من حيث نمو الحركة الحضارية والعمرانية وتوسع آفاقها وطغيانها على أهل البدو والريف الذين تتسم حياتهم بالتفرق والعزله.[1]

ومنذ عهد الخلافة الراشدة وما بعدها، لم يكن الغرض من إنفاذ الخلفاء للجيوش الإسلامية التوسع والقيام بمجرد غزو مؤقت من أجل الحصول على غنائم مادية مؤقتة، وإنما كان الهدف القيام بفتح منظم غرضه نشر الدين وتوسيع رقعة الدولة واستقرار حكم الإسلام، ولتحقيق ذلك كان لابد من اتخاذ قواعد ثابتةلهذا الجيش.[2] وقد تم إتخاذ هذه القواعد منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان ذلك بعد أن توالت الانتصارات الإسلامية وازدادت حركة الفتوح، فأمر الفاروق رضي الله عنه بتأسيس الأمصار ليستقر بها المقاتلة وعوائلهم وتكون قواعد للإدارة ولتحركات الجيوش الإسلامية ومع أن الغالبية لسكان هذه الامصار هم من المقاتلة إلا أن الغرض الأساس من تأسيسها هو تأمين الاستقرار وتثبيت النظم الإدارية وتسيير الحياة المدنية وفق الشريعة الإسلامية. [3]لذلك فقد اشترط الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بناء هذه الأمصار والمدن الجديدة قائلا: (لا تتخذوا بيني وبينكم ماء) أي أن لا يكون هنالك حاجز مائي بينها وبين مقر الخلافة، كما اشترط أن يكون المناخ جافا يلائم الإبل، فالأمصار ليست قواعد عسكرية فحسب بل هي قواعد رئيسة دائمة يسود فيها تنظيم واسع يجمع بين السمة العسكرية والمدنية. كما أن هذه الأمصار كانت مراكزاً لأمراء الجيوش المقيمة بها وهم الذين يقومون بحماية وتوسيع حدود الدولة في مناطق الأمصار والثغور، بالإضافة إلى قيامهم بالشؤون الإدارية بما يتعلق بالأقاليم المفتوحة في تلك الأنحاء وبقيت السلطة العليا في الإدارة ترجع للخليفة فهو المسؤول الرسمي من تعيين الولاة فى هذه الأمصار ومتابعة أحوالهم وأحوال كافة الأقاليم والأمصار الإسلامية. [4]

نشأة المدينة الإسلامية: تعد المدن الإسلامية من أهم مراكز الحضارة التى أشار إليها القرآن الكريم ووصفها بالقرى فأطلق على مكة المكرمة أم القرى بالرغم من أنها ذات تكوين عمراني مشتت فتقسيماتها السكنية

---

[1] العلي، صالح أحمد وآخرون: المدينة والحياة المدنية،ج1، مكتبة بغداد للنشر، بغداد، 1988م، ص5_6.

[2] نفسه: ج2، ص33.

[3] نفسه، ج2، ص5.

[4] نفسه: ج1،، ص33_34.

والإدارية مقسمة تقسيماً قبلياً، وليس بها مؤسسات إدارية مدنية لتنظيم الحياة، بل إن حق التصرف في جميع الشؤون المحلية يخضع لسيد القبيلة.[1]

وقد بدأت نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول(ﷺ) إليها والتي حولتها إلى مدينة بمفهوم حضاري واضح، انسحب على تسميتها فأصبحت تسمى المدينة أو طيبة كما سماها النبي(ﷺ) ومنع عن تسميتها بيثرب، فبعد الهجرة النبوية الشريفة حدث تغيير واضح سعى الرسول(ﷺ) إلى تحقيقه أساسه الدعوة الى الإسلام، ذلك الدين الذي على ضوء قيمه وتعاليمه بدأت عملية تهيئة المجتمع الإسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماماً مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك تدريجياً إلى تكامل المراكز الحضارية الإسلامية.[2]

وقد سعى رسول الله (ﷺ) من أول وهلة إلى تحقيق أمرين هما: بناء المسجد لتجمع الناس وملتقاهم، وتذويب العصبية القبلية والقضاء عليها وذلك بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود، وذلك بمقتضى الوثيقة التي وضعها النبي(ﷺ) لإدارة المجتمع المدني الجديد بالمدينة النبوية الشريفة.[3]

ومن حيث الطبيعة الجغرافية فقد تميزت المدينة النبوية بتحصنها الطبيعي ضد الغزاة، فكانت حرة الوبرة مطبقةً عليها من الناحية الغربية، وحرة واقم من الناحية الشرقية، ومن الجنوب فهي محاطة بالأشجار والنخيل والزروع الكثيفة والبساتين المتداخلة التي يصعب على الأفراد المرور من خلالها بسهولة، أما الناحية الشمالية فهي الطرف الوحيد المكشوف من أطراف المدينة وقد تم حفر الخندق لتأمين هذه المنطقة.[4] وقد تميزت المدينة بخصوبة تربتها ووفرة مياهها كما تتوفر بها الأسواق والآطام [5] وقد كثرت عند اليهود. ومن المنشآت الخاصة بالقبائل تلك السقائف التي كانت بمثابة ديوان القبيلة، كسقيفة بني ساعده وبني الريان،

---

[1] الشهري، علي بن سعيد: الفراغ التقليدي للأسواق في المدن العربية القديمة وتأثير تطورهاعلى شكل المدينة المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، د.ت، ص49.

[2] عثمان، محمد عبدالستار: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م، ص45.

[3] الحداد: مرجع سابق، ص58.

[4] جلال الدين، أبوبكر علي مصطفى: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمدينة المنورة في العهد النبوي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادآب_ جامعة النيلين، 2017م، ص9_10.

[5] الآطام: مفردها أطم، وهي حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بحِجارَةٍ، وقِيلَ: هو كلُّ بَيْتٍ مُرَبَّعٍ مُسَطَّحٍ، وهى نوع من الحصون التى عرفها أهل الحجاز، وقد أكثر يهود المدينة من بنائها والتحصن بها. ابن سيدة، أبوالحسن علي بن إسماعيل المرسى: المحكم والمحيط المعظم، ج9، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب، بيروت، 2000م، ص210 .

وكانت لليهود بيوت المدارس وهى أشبه بالمساجد عند المسلمين من حيث وظائفها الدينية السياسية والاجتماعية. [1]

كانت تهيئة المجتمع المدني الإسلامي الجديد أحد المهام الرئيسة في التشكيل المادي الحضاري للمدينة بعد الهجرة النبوية الشريفة، فقد تبنى صلى الله عليهوسلم منهجاً ربانياً لتوحيد المجتمع الإسلامي، وخط في ذلك تنظيماً يعتمد على التكتلات والتركيب الاجتماعي للأفراد،فعمد إلى تجميع مجموعات من البطون والقبائل المتقاربة في محيط عمراني واحد مكونين مجاورة سكنية عُرفت بالخطة. ومما استجد على يد النبي ﷺ عملية توزيع استخدامات الأراضي وتوطين الناس بالمدينة، وبذلك كانت بداية العمل الإنشائي للتكوينات المعمارية الجديدة بالمدينة، نواتها المسجد النبوي الشريف الذي أُنشئت من حوله منازل للمهاجرين الموزعين في أحياء الأنصار .[2]

ولقد كان العمل الذي قام به النبي ﷺ لتطوير وتمصير يثرب سنة يقتدي به منشؤوا المدن الإسلامية بعد ذلك. كما أصبحت الأعمال التى حددها ﷺ في المدينة شروطاً أساسية لإنشاء المدن في الإسلام.[3] فقد كان تأسيس المدينة النبوية الشريفة طِبقاً للتصور الإسلامي للمدينة العالمية، مركزها ومحورها في الغالب هو المسجد الذي يخطب به الحاكم ويوجه الأمة ويرعى مصالحها، وحوله تنتشر الأسواق والمنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية والمؤسسات الخدمية والإدارية للدولة.[4]

وحين تكاثر الناس بالمدينة واستفحل البناء اهتم النبي ﷺ بصيانة الطرق العامة وتأمينها، كما حددت بعض المواضع لقضاء الحاجه عُرفت بالمناصع، وأيضا حُددت مواضع آخرى للذبح على أطراف سوق المدينة.[5]

وقد سن النبي ﷺ سُنة التحصين للمدن الإسلامية، وذلك بعد أن أمر بحفر الخندق على المناطق السهلية شمال المدينة عندما تكالبت عليهم الأحزاب مع قريش في العام الخامس من الهجرة، وهنا نجد دلالة واضحة على التمدن وانصهار القبلية التي كانت تسيطر على المجتمع اليثربي قبل الهجرة النبوية، فقد كانت لكل عشيرة أو جماعة سكنية آطام يحتمون بها في أيام الحروب، فجاءﷺ وجمع كلمتهم ووحد صفوفهم بعد

---

[1] الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، ط2، ج3، تحقيق أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ص218.

[2] السامرائي، خليل وثائر حامد محمد: المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عهد النبوة، الموصل، 1984م،ص16.

[3] الحداد: مرجع سابق، ص58.

[4] عوض، محمد مؤنس: في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار العالم العربي، القاهرة، 2011م، ص365.

[5] السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج2، دار دار الكتب العملية، بيروت، 1419، ص 732 _ 735.

تخطيط المدينة على المنهاج الإسلامي القويم.[1]وقد شجع النبي ﷺ على زيادة العمران واستصلاح الأراضي الزراعية، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها) أخرجه البخاري.[2] بذلك أضحت المدينة المنورة أنموذجاً للمدائن الإسلامية بمؤسساتها الإدارية والسياسية والاقتصادية والعمرانية.[3]

تصنيف المدن عند المسلمين: أسس المسلمون الكثير من المدن الإسلامية الجديدة، وقد صنفت هذه المدن تبعاً لوظائفها والأهداف التى أنشئت من أجلها فمنها ما بدأ على هيئة معسكرات حربية، ثم تطورت حتى أصبحت مدناً تحمل جميع صفات المدينة الإسلامية، مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان، ومنها ما اتخذ لأغراض إدارية كواسط ، ومنها ما أنشئ كعواصم أو حواضر للدول والممالك الإسلامية كبغداد والقاهرة وفأس، ومنها ما كانت في بدايتها مناطق ارتكاز تحصينية للدفاع وبمرور الزمن غلب عليها الطابع المدني وتحولت إلى مدن كالرباط، ومنها ما نشأ مرتبطاً بعوامل دينية كالنجف وكربلاء والكاظمية وغيرها.[4]وبذلك جاء تصنيف المدن الإسلامية كالتالي:

المدينة المصر: وهي المدينة التي تجمع إليها الدواوين وبها مقر السلطان ومركز السلطات السياسية، كما أنها تمتاز باتساع مساحتها وكثافتها السكانية مقارنة بغيرها من المدن.[5] وقد جعل المقدسي[6]هذه الأمصار الأمصار سبعة عشر مصراً في العالم الإسلامي على رأسها الفسطاط التى وصفها بأنها قد حوت مقر السلطان وجمع الدواوين، وأنها تفصل بين المغرب و ديار العرب، واتساع بقعتها وكثرة سكانها وأسواقها وحماتها واحتوائها العلماء والمشايخ.[7]

المدينة القصبة: والقصبة قد تكون مدينة صغيرة أو كبيرة، ولكنها مركز السلطان ومحل إقامته، وتتميز بوجود المسجد الجامع والمنبر بها و يكون لها سور، كما تتميز بالرخاء الإقتصادي ووفرة المياه مثل الأنبار

---

(1) مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص308.

(2) ابن حجر: فتح الباري، مصدر سابق، ج5، ص22.

(3) مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص311.

(4) صبري: مرجع سابق، ص4.

(5) مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص121.

(6) أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء ،المعروف بالبشاري المقدسي، ولد بالقدس عام 336هـ، وهو رحالة جغرافي مشهور ، تعاطي التجارة، فتجشم أسفارا هيأت له المعرفة بخواص أحوال البلاد، ثم انقطع لتتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام، وصنف كتابه المشهور" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم".الزركلي: مصدر سابق،ج5،ص312.

(7) المقدسي: مصدر سابق، ص197.

وسجلماسة وشيراز.[1] وتعد مدينة زبيد باليمن كما وصفها المقدسي بأنها قصبة تهامة وإحدى أمصارها لأنها مستقر ملوك اليمن فهي بلد جليل حسن البنيان يسمونها بغداد اليمن، وبها التُجار و كِبار العلماء والأدباء، مفيدة لمن دخلها مباركة على من سكنها آبارها حلوة وحماماتها نظيفة، عليها حصن من الطين لذلك أُطلق عليها اسم قصبة تهامة.[2]

المدينة الحصن[3]: وهي تقوم عادة على المناطق غير الآمنه، وقد أُطلق تعبير المدينة المحصنة على العديد العديد من المدن التي تحتوي على قلاع[4]وتحيط بها الأسوار،مثل مدينة تورز[5] في إفريقيا، وأيضاً من المدن المدن المحصنة مدينة اصطخر ومدينة طليطلة التى وصفت بحصانتها ومناعتها وكثرت الجبال المحيطة بها من جوانب عدة.[6]

المدن العسكرية: وهي المدن التى أُنشئت على مخيمات أُقميت لأغراض عسكرية، كمدينة الفسطاط التى بُنيت بالقرب من حصن بابليون الروماني القديم عند فسطاط الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضى الله عنه عندما فتح مصر في عام 21هـ، أو في مواقع منعزلة نسبياً عن المستقرات المنافسة مثل البصرة والكوفة في العراق والقيروان بتونس، فإن هذه المدن العسكرية قد نمت وحافظت على عمرانها وأصبحت مأهولة بالسكان إلى يومنا هذا حيث تحولت هذه المعسكرات بسرعة إلى مراكز حضرية وكانت من ضمن العوامل التى ساعدت في عمليات الفتوحات وتثبيت دعائم الدولة الإسلامية.[7]

---

[1] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص121 _122.

[2] المقدسي: مصدر سابق، ص71_80.

[3] الحصن: هو كل مكان حصين لايتوصل إلى مافي جوفه، أو المكان الذي لايُقدرعليه لارتفاعه والجمع حصون، وحصن القرية أو المدينة تحصيناً بنى حولها يحصنها من سور أو خندق أو نحوه. ابن منظور: لسان العرب، سابق، ج4، ص145.

[4] القلاع: هي المكان المحصن الممتنع في جبل، وجمعها قلاع أو قلع. والفرق بين القلاع والحصون هو أن الحصن مبنى عسكري ضخم وليست للسكن، وقد بنيت بهدف الدفاع عن الأقاليم والثغور الحدودية. أما القلاع فهي مساكن ضخمة ومحصنة بجدران قوية للحماية من الهجمات الخارجية.نفسه: ج12، ص17

[5] وهي مدينة عليها سور مبنى بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيره وحولها أرباض واسعة وهي مدينة حصينة ولها أربعة أبواب، كثيرة النخل والبساتين وهي أكثر بلاد إفريقيا ثمراً وشرابها من ثلاثة أنهار. الإصطخري، أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004م، ص39.

[6] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص265.

[7] صبري: مرجع سابق، ص5.

المدن الأميرية أو الملكية: نشأت هذه المدن نتيجة ازدياد النفوذ والقوى السياسية التى يُنشئها الحكام لكي تعبر عن السلطة السيادية للدولة، وذلك بتأسيس عاصمة جديدة خاصة بها مقر السلطان وحاشيته،[1] كما فعل أبوجعفر المنصور عندما شيد مدينة بغداد، والمعزلد ين الله الفاطمي عندما شيد مدينة القاهرة، وقبلهم الحجاج بن يوسف الثقفي الذي اتخذ من مدينة واسط داراً لإمارته ومقراً لسلطانه وحاشيته بالعراق.[2]وغالباً ما تكون هذه المدن مسورة ذات رقعة محددة ، وتقوم في معزل عن المدينة التي يسكنها الشعب، مثل رقادة [3]فهي خارج القيروان وهي أبنية كانت معسكر آل الأغلب عليها عدة حيطان، ومقامهم بها إلى أن استحدث عبيد الله المهدي [4]مدينة المهدية على شطر البحر فأقام بها وانتقل عن رقادة وهي منطقة مسورة بالجبال والبحر.[5]وكذلك مدينة القطائع وهي أبنية خارج مصر، بناها أحمد بن طولون [6] تكون زياده على ميل أقطعها لجنوده فسميت بالقطائع.[7]وقد كثر إنشاء هذا النوع من المدن داخل الدويلات الإسلامية التى قامت إبان العصر العباسي.

المدينة الفُرضة: وهي المدن يمكن تسميتها بالمدن التجارية أو بمدن المرافئ والموانئ، وذلك وفقاً لأوصاف الجغرافيين العرب لهذا الصنف من المدن التى تتميز بإطلالتها على البحر وتجارتها المتصله عبره.[8]ومنها

---

[1] الهذلول، صالح بن علي: المدينة العربية الإسلامية أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 1431هـ، ص19.

[2] مؤنس: مرجع سابق، ص56.

[3] رُقاده: بلدة بإفريقية بينها وبين القيروان أربعة أميال، وهي كبيرة ذات بساتين لم يكن بإفريقية أطيب هواء منها ولا أرق نسيما، بناها إبراهيم الثاني الأغلبي عام 264هـ/ 787م. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق بن شمائل القطبعي الحنبلي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ص624.

[4] هو أبومحمد عبيدالله المهدي ويدعى نسبه للإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر الذي ينتهي إلى سيدنا الحسين بن علي بن إبي طالب رضى الله عنهم أجمعين، ولد بالشام بقرية سُلمية عام 259هـ،هو مؤسس الدولة الشيعية العبيدية بشمال إفريقيا، توفي عام 322هـ بالمهدية في تونس. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز: سير أعلام النبلاء،ط3،ج15، تخقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص141.

[5] الإصطخري: مصدر سابق، ص40.

[6]وهو الأمير التركي أبو العباس أحمد بن طولون، والي العباسيين على مصر ومؤسس الدولة الطولونية بها، ولد بسر من رأى رأى عام 224هـ/ وتوفي 270هـ. ابن تغري بردي، أبوالمحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج3، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، 1973م، ص1.

[7] الإصطخري: مصدر سابق، ص40.

[8] ناجي: مرجع سابق، ص87.

مدينة عدن على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن لاماء بها ولا مرعى، وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة يوم، ولكن رغم ذلك فهي مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليها لأجل ذلك. وأيضا مدينة صحار في عمان فقد وُصفت بأنها قصبة عُمان فهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب وهي أعمر مدينة بِعُمان وأكثرها مالاً وبها المتاجر والأسواق الكثيره، وبها مقام كبار التجار،[1]ومن الخصائص والصفات التى تتميز بها هذه المدن توفر الفنادق ووجود الفنارات على السواحل ووفرت الحمامات بها.[2]

المدن المقدسة ومدن المراقد: تُعبر المدن المقدسه تعبيراً صادقاً عن جوهر الإسلام وتعاليمه ومفاهيمه الرصينة، وقد تمثلت في هذه المدن جميع خصائص المدينة الإسلامية من خلال تخطيطها الذي ينسجم مع مبادئ الدين الإسلامي وقيمه وترجمة ذلك في هيكل عمراني مميز عن بقية المدن، فالدين الإسلامي بجوهره وتشريعاته جاء عاملاً مشجعاً للحياة الحضارية والاستيطان البشري المستقر،[3] فكانت مكة المكرمة أولى المدن الإسلامية من حيث القداسة، حيث قامت هذه المدينة الدينية بوادي غير ذي زرع عند بيت الله الحرام،[4] وتأتي بعدها المدينة النبوية الشريفة فهي دار الهجرة وبها المسجد النبوي الشريف ومسجد قباء أول مسجد أُسس على التقوى وفيها نزل الوحي وفيها قبضت روحه الطاهره وبها قُبر سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم.ومن ثم تأتي مدينة بيت المقدس وهي المدينة التى أسسها سام بن نوح عليه السلام،حيث كانت في ابتداء الزمان صحراء بين أودية وجبال خالية لا بناء ولا عمارة فيها، ثم عُرفت بأُورشليم أو إيليا وتعني بيت الله، ويقال أن أول من بنى بها المسجد الأقصى هم الملائكه، وقيل سيدنا آدم عليه السلام، وقيل ابنه شيث أو سام بن نوح وقد اختُلف في ذلك.[5]وقد بيَّن ﷺ فضل هذه المدن وفضل مساجدها في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى) متفق عليه.[6]وهذا ما يدل على فضل هذه المدن بأن كرمها الله تعالى بهذه المساجد العتيقة. فإن المدن الدينية تنشأ في الأغلب حول نواة صغيرة وهي في الأصل مسجد أو مكان مقدس أو ضريح، وهذه النواة تكون أول مظهر لنشأة المدينة، فعندها تولد التجارة والصناعة وعندها يُنشأ

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص93.

[2] ناجي: مرجع سابق، ص88.

[3] صبري: مرجع سابق، ص6.

[4] الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م،ص159.

[5] الهروي، أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة،ج5، تحقيق محمد عوض مرعب، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ص208.

[6] ابن حجر: فتح الباري، مصدر سابق، ج3، ص63.

السوق وتنمو أوجه النشاط المدني الأخرى ويتزايد عدد سكانها تدريجياً، وينحصر النشاط المدني داخل هذا الإطار الديني الرئيسي،[1] وقدكثرت مدن المراقد عند الشيعة في العراق و إيران ومنها مدينة الكاظمية و كربلاء و مشهد وقم وغيرها.[2]

المدينة العامة: وهي المدينة التي تستمد عناصر أهميتها من إنتاجها الزراعي أو الحِرفي أو التجاري بصورة عامة، ومعظم المدن الإسلامية كانت على هذه الصفة. وقد تغلب صفة على أُخرى حسب الموقع الجغرافي للمدينة، فإن كانت على ملتقى طُرق غالب عليها طابع التجارة، وإن وقعت في رساتيق خصبة كان الغالب عليها الطابع الزراعي وما يتصل به، على أن جميعها تتمتع بالمناخ المعتدل لوقوع معظمها في المناطق المعتدلة وتتمتع بشئ كثير أو قليل من الثقافة خاصة الثقافة الدينية، ومعظم المدن التي وصفها الجغرافيون العرب تندرج تحت هذه الصِفة.[3]

تصنيف المُدن على حسب حداثتها وقِدمها: فرق الجغرافيون العرب بين المدن المحدثة والمدن القديمة السابقة للإسلام، فكانوا يُسمون المدن القديمة بالمدن الأولية أو الدهرية، ومنها مكة والطائف ودمشق، أما المدن المستحدثة فهي المدن التى بناها المسلمون لأسباب مختلفة،[4]مثل مدينة شيراز التي أسسها المسلمون واتخذوا منها معسكراً لجيوشهم عند فتح إصطخر،ثم جُعلت معسكراً لبلاد فارس عموم، وبُنيت المدينة وهي نحو فرسخ[5]في السعة وليس عليها سور وهي مشتبكة البناء وكثيره الأهل، بها دواوين فارس وعمالها وولاة الحرب فيها.[6]وكذلك قام العباسيون باستحداث المدن مثلما فعل الأمويون، فقد بنى المنصور مدينة بغداد وكمخ والمهدية، كما بنى المعتصم مدينة سامراء بالعراق.[7]

المدن التوائم: أشار الجغرافيون العرب إلى هذه المدن وميزوها عن بقيت المدن، فكانت واسط مدينة مبنية على جانبي دجلة من شرقيه وغربيه والنصفان متقابلان بينها جسر يعبر عليه من أراد أحد الجانبين إلى الآخر، وفي كل جانب مسجد جامع وهي مدينة محدثه في الإسلام، أحدثها الحجاج بن يوسف الثقفي.[8]

---

[1] الموسوي: مرجع سابق، ص159.

[2] غنيمة، يوسف رزق الله: مدن العراق، مطبعة العراق، بغداد، 1928م، ص169.

[3] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص129.

[4] نفسه: ج1، ص129_130.

[5] فرسخ: هي كلمة من أصل فارسي، والفرسخ في اللغة هو السكون، وهو مقياس للطول يقدر بثلاثة أميال، وسمي بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج11، ص155.

[6] الإصطخري: مصدر سابق، ص75.

[7] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص124. 125.

[8] ابن حوقل: مصدر سابق، ص214.

وكذلك مدينة بغداد التي بنيت على جانبي دجلة دار السلام في غربي النهر أو جانب باب الطاق مع الكرخ والجانب الشرقي يُعرف بجانب الرصاف أو عسكر المهدي. ومن أكبر المدن بأرض الجزيرة الرقتان وهما الرقة والرافقة مدينتان متلاصقتان في كل واحدة منهما مسجد جامع وهما شرقي الفرات كثيرتا الأشجار والمياه خصيبتا الأرض. وغير ذلك من المدن المتلاصقة على رقعة البلاد الإسلامية.[1]

المدن المُجهضة: وهي المدن التى لم تكتمل أو التي لم يكتب لها البقاء فهي مدن تبدأ بالظهور ثم تختفى حسب رغبة السلاطين، وقد أهمل الجغرافيون الكثير منها وذكرها المؤرخون منها مدينة الجابية التى بدأت كالبصرة والكوفة معسكراً للجيوش الإسلامية، ثم اضمحلت حيث اتخذها الأمويون عاصمة لدولتهم ومكاناً لإقامتهم. وكذلك قنسرين التى لم تستطع أن تحل محل حلب القريبة منها فظلت مدينة صغيرة وصارت حلب هي القصبة ودار السلطان وبها المسجد الجامع وسُدة الحكم. [2] وكذلك مدينة سامراء التى صارت عاصمة الخلافة الإسلامية، لكنها أصبحت من المدن المُجهضة لأنها لم تدم سوى 50 عاماً تقريباً، ثم صارت صحراء هُجرت قُصورها ومبانيها. وهنالك العديد من مشاريع المدن التي قامت فترة من الزمان ثم انهارت ولكن معظمها كانت مدناً صغيرة أو حصون على مناطق الثغور.[3]

توابع المدن: وهي المناطق المحيطة بالمدن والملاصقة لها وهي التي تُعرف بالرِبض أو الحاضر أو الضاحية، كالظواهر كما في مكة المكرمة أو الغوطة كما في دمشق، وكل هذه من متممات المدن وتوابعها. أما الربض فيقصد به مدنياً كل ما يخرج عن الكتلة السكانية الرئيسة للمدينة، وكثيراً ما يكون خارج أسوارها إذا كانت مسورة، ولكنه مرتبط بالمدينة عمراناً وعملاً، فالأرباض تكبر وتصغر على حسب المدينة التى تحيط بها،[4]أما الحاضر فهو خلاف البادي والحاضر هو المقيم في القرى والمدن والبادئ هو الذي يقيم في البادية البادية والحاضر هو الحي العظيم أو القوم، [5]وهو أكثر عمراناً من الربض، ويقال أن الحاضر في قنسرين هي قرية كالمدينة تقابل قنسرين وكذلك الحاضر السليماني أو حاضر السليمانية الذي يقابل مدينة حلب وهو محلة عظيمة كالمدينة بين بنائها وسور المدينة رمية سهم، أما الظواهر فهي عبارة عن قرى صغيرة فى

---

[1] الاصطخري: مصدر سابق، ص75.

[2] مصطفى: مرجع سابق، ج1،ص134. 136.

[3] نفسه: ص135_ 137.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5،ص60.

[5] نفسه: ج2، ص206.

ظواهر المدن، وهي ما خرج عن المدن فى الفيافي والفحوص وظواهر مكة هم الذين ينزلون خارج الشعب وأكرمها قريش البطحاء.[1]

المدينة في كتب التاريخ البلدانية: اهتمت كتب التاريخ بالتواريخ العامة والأحداث الكبرى في الإسلام خصوصاً في الجوانب السياسية والعسكرية من فتوحات وحروب داخلية وما إليها، وبعد ذلك تطرقت لتواريخ المدن وعمارة الأمصار، وكان أوائلها ما اتصل بالمصرين العربيين الكبيرين البصرة والكوفة، ثم ظهرت بعض التواريخ الأخرى.[2]ولقد كانت في البدء كتب التراجم والمؤلفات البلدانية هي التي عُنيت بدراسة الأقاليم والأماكن، ومن ثم ظهرت المدن ومرافقها ومساجدها وقصورها وشوارعها والأزقة فهي شواهد على الاهتمام التمدني وعلى التنبه لأهميته والتأليف فيه. ولا تكاد توجد مدينة كبرى في العالم الاسلامي إلا ولها مؤرخيها وواصفي تاريخها وخططها و أحيائها وطراز عمارتها، ومن أشهرهم الخطيب البغدادي [3]صاحب تاريخ بغداد الذي صار نموذجاً يحتذى به في كتابة تواريخ المدن في الإسلام فقد قدم من خلاله تاريخ بناء مدينة بغداد وخططها ومساجدها وشوارعها و حماماتها، وتطور الأحياء حولها، ثم جاء من بعده أيضا ابن النجار[4] وابن الفوطي[5]مدونين لتاريخ مدينة بغداد لأنها كانت في ذلك الزمان سرة الدنيا فبلغ عدد المؤلفات في تاريخ مدينة مدينة بغداد أكثر من 283 مجلداً في ما بين القرنين الثالث والسابع الهجري.[6]

تُعدُّ مدينتا الكوفة والبصرة المصرين الثقافيين والتجاريين في العهد الراشدي والأموي، فهما ثغري الإسلام في ذلك الزمان ومراكز العلم والمعرفة والسياسة ومنهما تُدار أقاليم المشرق الإسلامي. وقد اهتمت كتب التاريخ

---

[1] الأندلسي، أبوحيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان: البحر المحيط في التفسير،ج2، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 2010م، ص537.

[2] مصطفي: مرجع سابق،ج1 ، ص39.

[3] هو أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، ولد في عام 392هـ بقرية غزية بالقرب من الحجاز، ونشأ ببغداد وتوفي بها عام 463هـ، وهو من كبار الحُفاظ والمؤرخين، له مصنفات كثيرة تبلغ ستة وخمسون مصنفا، ومن أشهر مؤلفاته تاريخ بغداد والفوائد المنتخبة. الزركلي: مرجع سابق، ج1، ص172.

[4] هو أبوعبدالله محب الدين محمد بن محمود بن حسن هبة الله البغدادي، الإمام الحافظ البارع محدث العراق مؤرخ عصره، ولد سنة 578هـ ببغداد وتوفي بها سنة 643هـ، ومن أشهر مؤلفاته كنز الإمام في السنن والأحكام و نزهة القرى في ذكر أم القرى. الذهبي: مصدر سابق، ج23، ص 131.

[5] هو أبوالفضل كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد بن محمد الصابوني، ولد ببغداد سنة 642هـ وتوفى بها سنة 732هـ. وهو مؤرخ مؤرخ يُعد من الفلاسفة، من أهم مؤلفاته تلقيح الأفهام ومجمع الآداب في معجم الأسماء والألقاب. البعلبكي، منير: معجم أعلام المورد، دار العلم للملابين، بيروت،1992م، ص33.

[6] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص40.

بتوضيح عمارة هذه المدن وتفاصيلها أنماط الحياة المدنية بها ومن أهم المؤرخين الذين دونوا تاريخ البصرة ابن شبه[1]صاحب كتاب أخبار البصرة، وأما الكوفة يعد ابن فضال[2]هو من أوائل المؤرخين الذين عنوا بتدوين تاريخيها.[3]

تعد المدن الأموية اللبنة الأولي في تجلي الطراز العربي الإسلامي في بناء عمارة المدن الإسلامية وأهمها واسط والقيروان والرملة والرصافة، وقد اهتمت كتب التاريخ بوصف هذه المدن وبيان مدى التقدم المعماري والمدني الذي وصل إليه المسلمون إبان العصر الأموي.[4] ومن أهم المؤرخين الذين دونوا تاريخ تلك المدن بحشل[5]صاحب تاريخ واسط، ومن خلال هذه اللمحة التاريخية حول البلدان نكشف عن جانب في مسيرة الفكر التمدني خلال العصور الإسلامية وجانب من عمقه وعراقته وقدمه في الإسلام و تأثيره في مفهوم معنى الحضارة، و لقد كان العرب المسلمون إبان العصر الأموي أكثر ارتباطاً بالحياة والعيش بالمدن، حيث كانوا يفتخرون بالانتساب إليها ودراسة تاريخها، ولهذا كتبوا العديد من الكتب فيها ونلاحظ أنهم في كتب التراجم لا يصفون الرجال إلا بإلحاقهم ونسبهم إلى أسماء بلدانهم ومدنهم مثل البغدادي والنيسابوري والمقدسي وغيرهم خصوصاً في القرن الثاني الهجري.[6]

المدينة عند الجغرافيين: اعتنى المسلمون بتأليف الكتب الجغرافية، فقد كانت المدن لديهم بمثابه الركائز التي تستند إليها تلك المؤلفات حتى أن الكثيرين يعدون ما كتبه العرب من الكتب الجغرافية كتباً في جغرافية المدن بقدرما هي الجغرافية الاقليمية. فهم يهتمون بالمظاهر الحضارية ومراكز السلطة السياسية ومحاور الجباية ونقاط الدفاع والحروب ومنابر الدين والتجمع السكاني ومحطات القوافل، وكل ذلك يجتمع في المدن. وإن معظم الكتب الجغرافية الأولى كتبت بغرض تحديد الضرائب وواردات الدولة أو بغرض التعرف على طرق

---

[1] هو أبوزيد عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، شاعر وراوية ومؤرخ وحافظ للحديث، ولد بالبصرة سنة 173هـ، ثم انتقل إلى بغداد وتوفي بسامراء سنة 262هـ، من أهم مؤلفاته أخبار المدينة وتاريخ البصرة والنسب. الذهبي: مصدر سابق، ج12، ص370.

[2] هو أبومحمد الحسن بن علي بن فضال التيمي الكوفي، من مصنفي الإمامية، من أهل الكوفة ولد بها حوالي عام 203هـ وتوفي بها عام 270هـ، ومن أشهر مؤلفاته الرد على الغالية و النوادر والتفسير. الشيرازي، أبوإسحاق إبراهيم بن علي: طبقات الفقهاء، ج3، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد، بيروت،1970م، ص386.

[3] مصطفى: مرجع سابق،ج1، ص40.

[4] زعرور، إبراهيم وعلي أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1995م، ص227. ص227.

[5] هو أبوالحسن أسلم بن سهل بن سلم بن زياد الواسطي الرزاز. الحافظ العالم المحدث الصدوق، توفي سنة 292هـ، ومن أشهر مؤلفاته تاريخ واسط. الذهبي: مصدر سابق، ج13، ص553.

[6] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص46.

الحج السالكة إلى مكة والمدينة ولكنه سرعان ما صارت الكتب الجغرافية تكتب لذاتها واقتضت الإرتباط بالتحدث على المدن.[1]

وقد اهتم الجغرافيون المسلمون بدراسة المدن الإسلامية والأفكار التي صِيغت حول مكانة المدن وتخطيطها الحضري وتحليلها وتصنيفها حسب حجمها فقسموها إلى مدن كبيرة ومتوسطة ومدن صغيرة، كما صنفها اليعقوبي[2]على أساس الحضر والريف ولم يكتف بذلك بل وضع تصنيفاً آخر هو تصنيف القِدم والحداثة، فهنالك ما اسماه بالمدن القديمة وهي المدن التي كانت قائمة قبل ظهور الإسلام مثل ملطية[3]، وسمى الصنف الآخر بالمدن الإسلامية ويقصد بها المدن التي أسسها العرب المسلمون خلال العصور الإسلامية المتتالية التي تزامنت مع حركة الفتوحات الإسلامية.[4]

وكذلك قد اعتمد اليعقوبي في تصنيفه للمدن على تحديد المستوى التمدني والحضاري للمدينة، إذ كان حجم المسافة وكثافة السكان وتعدد الأجناس ومستوى العمارة والنشاط الاقتصادي لاسيما الصناعة والتجارة هي المعايير التى يبنى عليها تصور المستوى الحضاري للمدن. استناداً على ذلك جاء تصنيف المدن على النحو التالي:

المدينة العُظمى: وهي المدينة التي يتمركز فيها الحكم والإدارة والتي يسكنها الملك أو السلطان فضلاً عن سعة حجمها وكثافة سكانها وتنوع اقتصادها، وهي التي يُحمل إليها واردات الأقاليم والمدن التي ترتبط بها ادارياً أمثال مدينة بلخ [5]وطُبنة [6]، بذلك يكون اليعقوبي قد اتفق مع العديد من البلدانيين في مفهومه للمدينة للمدينة العُظمى.

---

[1] نفسه: ج1، ص46_47.

[2] هو أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، مؤرخ جغرافي كثير الأسفار من أهل بغداد، عاش في العصر العباسي تحت ظل الدولة الظاهرية، ومن أهم مؤلفاته التاريخ الكبير ـ البلدان ـ جغرافية الإمبراطورية البيزنطية، توفي في عام 284هـ. الزركلي: مصدر سابق، ج1، ص95.

[3] هي بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم بلاد الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص92.

[4] السامرائي، إيمان: مفهوم المدينة وتصنيفها عند اليعقوبي من خلال كتاب البلدان، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، العدد الخامس، المجلد3،2016م، ص221_222.

[5] هي مدينة مشهورة بخراسان من أجل مدن فارس وأكثرها غلة وأوسعها خيراً، أول من بناها الملك لهراسف وقيل الإسكندر هو من بناها أولاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1،ص479.

[6] هي بلدة في أطراف إفريقيا مما يلي المغرب على ضفة الزاب، وهي التى ينزل بها الولاة وبها أخلاط من العرب والبربر والأفارقة والروم. نفسه: ج4،ص23.

المدينة جليلة: وهي المدينة الكبيرة التي هي أقل شأناً من المدينة العُظمى والتي تخضع لها إدارياً وسياسياً، وغالباً ما ينزل بها العمال والولاة وتتمتع بسعة المساحة والعمران واختلاف الأجناس البشرية المستوطنة فيها، وتسيطر على الريف مثل مدينة دينور.[1] وقد ذكر الجغرافيون خصائص عديدة يجب توفرها في المكان حتى يطلق عليه لفظ المصر أو القصبة وهي أن يحل بالمكان السلطان الأعظم، وأن تجمع إليه الدواوين وتقلد منه الأعمال وتضاف إليه مدن الأقاليم، مثل الرملة قصبة فلسطين، أما بخصوص الخصائص المتبقية التي ركز عليها الجغرافيون فتعد أيضا تعبيراً واضحاً عن فكرة استغلال المدينة أو الحكم الذاتي وتعبيراً عن بنيتها الاقتصادية.[2]

المدينة عند الخرائطيين: الخرائط هي عبارة عن أداة تعبيرية ولغة رمزية وحصيلة لكافة ماتم إدماجه في صورة شمولية للمجال، كما أنها عبارة عن رسم تخطيطي يمثل سطح الأرض بشكل عام أو جزء منها حيث يتم فيها توضيح الحجم النسبي وموقع الجزء بناء على استخدام مقياس رسم معين للتصغير، ذلك بما يساهم في توضيح الأنشطة البشرية والظواهر الطبيعية المتعددة لتلك المنطقة.[3]وقد كان العرب يسمونها بالصور أو الرسم وقد أثبتت الدراسات الجغرافية أن معظم الكتب الجغرافية العربية لا تخلو من الخرائط التي يبرز فيها الاهتمام بالمدن وتحديد مواقعها من الأرض بجانب ذكر الأقاليم، وبعضهم كان يستخدم الرموز والحروف للدلالة على وظيفة المدن أو حجمها السكاني ومن هؤلاء الاصطخري [4]و ابن حوقل [5]، فهم من أوائل الذين الذين قاموا برسم خريطة للعالم الإسلامي موضحين عليها أسماء المدن والأقاليم، مستخدمين الحروف والرموز للدلالة على وظيفة هذه المدن وحجمها السكاني.[6]

---

[1] هي مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين وهمذان وشهرازور. نفسه: ج2،ص545.

[2] المقدسي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1991م، ص193.

[3] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص64 . 65.

[4] هو أبوإسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الكرخي الإصطخري، رحالة وجغرافي مشهور من أهل إصطخر بإيران، عاش في القرن العاشر الميلادي، من أشهر مؤلفاته صور الأقاليم والمسالك والممالك. الزركلي: مصدر سابق، ج1،ص61.

[5] هو أبوالقاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، رحالة من أهل نصيبين، اتخذ من التجارة مهنة له، وقضى ثلاثين عاماً من حياته في الترحال بين البلدان، عاش في القرن العاشر الميلادي وكان معاصراً للإصطخري والتقى به. بابتي، عززيزة فوال: موسوعة أعلام العرب والمسلمين والعالميين، ج1، دار العالمية للكتب، بيروت، 2000م، ص43.

[6] الإمام، محمد فاروق أحمد: معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، دار المأمون للنشر، الأردن . عمان، 2008م، ص111.

وقد رسم المسلمون صوراً لبعض المدن خصوصاً مكة المكرمة مفصلين موقعها وخططها وما في ظاهرها، منها ما رسمه ابن المجاور[1] في كتابه تاريخ المستبصر، كما حاول بعض الخرائطيين والجغرافيين في أواخر العهد المملوكي إخراج صورة مجسمة للمدينة المنورة، وأيضا كما فعل المعلم حسن بن الصياد المهندس الذي صور للسلطان الغوري سنة 916م صورة بالجبص لمدينة الاسكندرية وأبوابها وهيئتها والمنارة الموجودة فيها.[2]

المبحث الثاني

مفهوم العمارة في الإسلام

العمارة في اللغة: والعمارة في اللغة مأخوذة من الفعل عمَرَ يَعمُر ويَعمِر، عَمْرًا وعَمارةً و عُمُورٌ، عُمْرَانٌ، فهو عامر، والمفعول معمور، والعُمْرُ اسم لمدة عِمارة المدن بالحياة، وهو دون البقاء[3]. هو وضع شيء على شيء يراد به الثبوت، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[4]. وعَمره الله أي أبقاه، وعمر نفسه قدر، والعمرى: ماتجعله للرجل من طول عمرك أو عمره،[5] فعن جابر

---

[1] يوسف بن يعقوب بن المجاور، مؤرخ وعالم بالحديث، من أهل دمشق عاش في القرنين 14م _ 15م، من أهم مؤلفاته تاريخ المستبصر. الزركلي: مصدر سابق، ج8،ص258.

[2] ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص196.

[3] الزبيدي، أبوالفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني: تاج العروس في جواهر القاموس،ج13، بيروت، دار الهداية، د.ت، ص123.

[4] سورة فاطر، الآية 11.

[5] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج4، ص602_604.

رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال:(لا تعمروا ولا ترقبوا، فمن أعمر شيئاً أو رقبها فهو له ولورثته من بعده) أخرجه النسائي.[1]

وجاء في لسان العرب لفظ عمارة بمعنى مايعمر به المكان، والعمارة بكسر العين أو بفتحها تعني عدد من الناس، أي ما فوق البطن من القبيلة، حيث يقال: شعب، قبيلة، عمارة، بطن، فخذ،[2] وقال الأخفش بن شهاب: لكل أناس من معد عمارة عروض إليها يلجئون وجانب.[3]والعمارة هي الحي العظيم تنفرد بضعنها وإقامتها ونجعتها، وجمعها عمائر، ومنها قول جرير:

يجوس عمارة ويكف أخرى لنا حتى بجوازها دليل.[4]

وكذلك العمارة هي مبنى كبير فيه جملة من المساكن في طوابق متعددة، وهي مصدر للفعل عمر أي سكن أو أقام بالمكان أو البيت و جعله عامراً،[5] قال تعالى: ﴿إِنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَم يَخشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَن يَكونوا مِنَ المُهتَدينَ﴾[6] ، والمراد بها جعل المساجد عامره بالمصلين، والفعل عمر يعنى أصلح وجعله مهيأ للإقامة والسكن.[7] وأيضا من تعاريف العمارة في اللغة، من فعل عَمَّرَ، وعَمرَ الناس الأرض، يُعمروها عمارةً، وهي عامرة معمورة ومنها العمران واستعمر الله الناس ليعمروها، والله أعمر الدنيا عمراناً فجعلها تعمر ثم يُخربها.[8]

العمارة في الاصطلاح: العمران هو كل ما يعمر به البلد ويحسن حاله بواسطة الفلاحة و الصناعة و التجارة،[9] وما يمت بصلة إلى نشاط الأفراد والجماعات، وكذلك هو كل ما يتعلق بحياة الناس ونشاطهم وآلية

---

[1] السيوطي، الحافظ جلال الدين: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ، ص587. .

[2] ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج10، ص278.

[3] الدقيقي، تقي الدين المصري: اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق عبدالرؤوف جبر، دار غمار، الأردن، 1985م، ص219. 220.

[4] الهروي، محمد أحمد الأزدي: تهذيب اللغة، ج2، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ص232.

[5] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، 2004م، ص627.

[6] سورة التوبة، الآية 18.

[7] عمر ،أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008م، ص1552.

[8] الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري: العين،ج2، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، القاهرة، 2008م، ص137.

[9] مجمع اللغة العربية: مرجع سابق، ص627.

وآلية معاشهم ويسمى بالعمران الحيوي أو العمران الناطق.[1] وأيضا من تعريفات المعمار هو عملية البناء والتشييد للمساكن والمرافق العامة والطرق والجسور وغيرها من المرافق العامة والخاصة، وتتضمن المهن الملحقة بالبناء من طلاء وزخرفة وغيرها، أما الهندسة المعمارية أو الفن المعماري فهي تعنى بتصميم وتنظيم المباني وفق هندسة معينة،[2] والعمران أو العمارة في تعريف المسلمين يقصد بها المدنية فهي نسق عمراني يحوي كل النشاطات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية وغيرها، ويدل على الفعل الحضاري للجماعة المقيمة بها.[3]

كما تعرف العمارة بأنها عملية إنشاء العمائر النافعة بصورة جميلة وبسيطة، وفق منهج معماري أدبي علمي فني شرعي وظيفي جمالي ملتزم بالشرع متناسق مع البيئة مشبع لحاجات مالكه،[4] والعمارة أيضا هي مجموعة الآداب والعلوم وفنون التحكم بمكونات البيئة الأساسية للأرض والرياح والماء والشمس وعناصرهن من تراب وصخر وحديد وخشب وهواء ورطوبة وري وصرف وحرارة وضوء وسواها، لتحقيق أكبر منفعة وظيفية وأرقى جمالية بأقل تكلفة مالية وأعلى عائد اقتصادي أكثر انسجام اجتماعي، انضباطاً بالشرع الإسلامي الحنيف ثم العُرف السليم عبر عمائر باقية وراقية ومعمار نقي.[5]

وتعرف العمارة حسب مفهومها الحضاري بأنها أكثر النشاطات صلةً بتجسيد الواقع الحضاري للأمم، لأنها تقوم بتحديد النمط الحياتي والسلوكي من خلال تأثيراتها المباشرة على البيئة البشرية وعكسها للمفاهيم والرموز المادية والمعنوية لأي فترة تاريخية.[6] والعمارة علم يتكون من شقين نظري وتطبيقي، النظري يقوم على إثبات صحة ودقة النِسب المتوخاه، أما الطبيعي فيعالج الفكرة بالممارسة.[7] وللعمارة إرتباط وثيق بالمعطيات والوضع الطبوغرافي ويمتد ليشتمل المنظر الجمالي المحيط ، كما يراعى الظروف المناخية ويلجأ إلى

---

[1] عمر: مرجع سابق، ص1553.

[2] عليلي، محمد: فلسفة العمران الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج1، العدد 2، سبتمبر سبتمبر 2018م، ص230.

[3] عبدالعزيز، لعرج: العمران الإسلامي وعمارته السكنية، "قيم دينية ودلالات اجتماعية" حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر العاصمة، عدد 43، ص46.

[4] القدومي، عيسى: المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ، مركز بيت المقدس، الإصدار الثامن عشر، ط2، 1429هـ، ص230. ص230.

[5] السراج، أحمد: العمارة الإسلامية خصائص وآثار، مطبعة الطالب الجامعي، غزة، 2015م، ص13.

[6] جودي، محمد حسين: العمارة العربية الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007م، ص27.

[7] بسنوسي، سيدي محمد الغوتي: الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية بالغرب العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000م، ص85.

استخدام خامات ومواد البناء الأصلية التي يسهل تحديدها في داخل كل حضارة محلية، والأبعاد الموجودة في نطاق الاهتمام والإفادة منها، والتفكير مع نوعية البناء فيما يتعلق بالمعطيات الثقافية والإجتماعية والبيئية. [1]
ومن خلال التعريفات السابقة تتضح لنا هوية العمارة الإسلامية التي تهدف لإنشاء العمائر النافعة بأنواعها المدنية والدينية والعسكرية والنفع ينبع من الحاجة، فقد حرم الإسلام بناء العمائر التي لا نفع منها إلا المباهاة والترف، فهذا من التبذير والإسراف المحرم في الإسلام،[2] قال تعالى:﴿وَآتِ ذَا القُربى حَقَّهُ وَالمِسكينَ وَابنَ السَّبيلِ وَلا تُبَذِّر تَبذيرًا ۝ إِنَّ المُبَذِّرينَ كانوا إِخوانَ الشَّياطينِ وَكانَ الشَّيطانُ لِرَبِّهِ كَفورًا﴾[3]، والجمال في العمارة الإسلامية ينبع من البساطة وعدم التكلف في البناء، فالبساطة في الزخرفة ومنه التجريد للتجسيد، فالهدف ليس محاكاة البيئة وتجسيد حيواناتها أو شعوبها بقدر ماهو ترميز وتجريد لهذه العناصر البيئية والنباتية، كما لايتكلف الفنان المسلم ذلك بحيث يقصد في النفقة فالحياة كلها فانية.[4]
أما العمارة الإسلامية فتطلق على كل ما يبنى على وجه الأرض بهدف التنمية العمرانية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع، وتستجيب لكافة متطلباته السكنية والتجارية والخدمية وغيرها ولا تتعارض مع العقيدة الإسلامية، وقد انتشرت هذه العمارة في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً حتى الصين شرقاً.[5]
العمارة في القرآن الكريم: العمارة هي واحده من مكونات البيئة، وهي الوسط الطبيعي الذي تعيش فيه الكائنات الحية بما في ذلك الإنسان، وقد وردت في القرآن الكريم آيات تدل على المفهوم الشامل للبيئة، قال تعالى: ﴿ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرضِ وَما بَينَهُما وَما تَحتَ الثَّرى﴾[6]، وقد حوت هذه الآية الكريمة جميع مكونات البيئة حيث السماوات وما فيها من موجودات لا يحيط بعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ثم الأرض وما فيها من عناصر وتتمثل في الآتي: أولاً: طبيعة الأرض وتشمل الجبال والأودية والأنهار والغابات والبحيرات والتلال والصحاري وغيرها من عناصر الطبيعة. ثانياً: الإنسان والحيوان والنبات وجميع الكائنات الحية الأخرى. ثالثاً: البيئة العمرانية وهي من صنع الإنسان، وتشمل المباني والعمائر الدينية والمدنية والعسكرية، وعمارة الأرض في كل ما يقوم به الأفراد والمجتمعات من عمل يعود بالنفع والفائدة على الناس، ونستنبط ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ

---

[1] إسماعيل، معروف: العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي " من القرن هـ حتى 10هـ / 13م حتى 16م"، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م، ص16.
[2] السراج: مرجع سابق، ص13.
[3] سورة الإسراء، الآيات 26_27.
[4] السراج: مرجع سابق، ص14.
[5] إسماعيل: مرجع سابق، ص17.
[6] سورة طه، الآية 6.

هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ ﴾[1]، وبذلك يتضح لنا أن عمارةِ الأرض أمر رباني لكل البشر، ولا يرتكب ما يُخالف هذه العمارة إلا من انتكست فطرته فاستوى عنده العمار بالخراب والإصلاح بالإفساد.

وقد تطورت فنون عمارة الأرض بتطور مراحل الحياة البشرية عبر العصور والأزمنة، فكانت العمارة التقليدية تعتمد على ما هو متوفر بالبيئة المحيطة بالمجتمعات باختلاف المناخ والمواقع الجغرافية وطبيعة الحياة للأفراد،[2] وذلك كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيوتِكُم سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلودِ الأَنعامِ بُيوتًا تَستَخِفّونَها يَومَ ظَعنِكُم وَيَومَ إِقامَتِكُم وَمِن أَصوافِها وَأَوبارِها وَأَشعارِها أَثاثًا وَمَتاعًا إِلى حينٍ ﴾[3].

وقد تضمن القرآن الكريم توجيهات عامةهي بمثابة الأصول المعتمدة في عملية البنيان والعمران،[4] فإذا تأملنا تأملنا في القرآن الكريم نجد أن هنالك بعض السور قد ارتبطت أسماءها بالعمارة كسورة الكهف والحجرات والبلد وغيرها، كما وردت خلال الآيات القرآنية الكثير من المصطلحات المعمارية والمدنية منها "المدينة،القرية،السور ،الباب،السجن،العمد،الحجارة،الطين،الفخار ، ...الخ"،[5] وأيضا قد ورد ذكر العمارة بلفظها أو اشتقاقها في آياتٍ عديدة منها قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾[6] وأيضا قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[7]، فالقرآن هو المرجع الأساسي الذي ينبغي أن ترجع إليه الفنون المعمارية الإسلامية السامقة، فتصل إلى آخر ما قد تصل إليه البشرية من عمق ورفعة واتساع، وفنون كونية يتسق مدارها وجمالها مع مدار وجمال الكون.[8]

ونكتشف من خلال القرآن الكريم أن جذور الفكر العمراني الإسلامي ترجع بوادرها إلى عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام[9]، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ

---

[1] سورة الأعراف: الآية 73.

[2] وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص30.

[3] سورة النحل: الآية 80.

[4] بوعياد، العربي: العمران والبنيان عند المسلمين، مجلة الأمة، العدد 6، السنة 3، أكتوبر 1998م، ص18.

[5] وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص32.

[6] سورة الطور: الآية 4.

[7] سورة الروم: الآية 9.

[8] قطب، محمد: منهج الفن الإسلامي، ط6، دار الشروق، القاهرة، 1983م، ص138.

[9] مصطفى: مرجع سابق، ج1، ص23.

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]، و"القواعد" جمع"قاعدة"، ويقال للواحدة من"قواعد البيت"قاعدة" وقد اختلف أهل التأويل في"القواعد" التي رفعها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من البيت، أهما أحدثا ذلك، أم هي قواعد كانت له قبلهما؟ فقال قوم: هي قواعد بيت كان بناه آدم عليه السلام بأمر من الله عزو وجل، ثم درس مكانه وتغفى أثرُه بعده، حتى بوأه الله إبراهيم عليه السلام، فبناه.[2] وكذلك وردت في القرآن الكريم قصص وأحوال الأمم السابقة، التي نتعرف من خلالها على الجوانب الحضارية ومدى التقدم المعماري الذي توصلت إليه تلك الأمم، قال تعالى:﴿إِرَمَ[3] ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[4] وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَاذكُروا وَاذكُروا إِذ جَعَلَكُم خُلَفاءَ مِن بَعدِ عادٍ وَبَوَّأَكُم فِي الأَرضِ تَتَّخِذونَ مِن سُهولِها قُصورًا وَتَنحِتونَ الجِبالَ بُيوتًا فَاذكُروا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعثَوا فِي الأَرضِ مُفسِدينَ ﴾[5] صدق الله العظيم، ونتبين من خلال هذه الآية الكريمة مدى التقدم العمراني والرفاهية التي عاشها قوم ثمود[6]، حيث أنهم اتخذوا من قصورهم السهلية مساكن للصيف، ومن بيوتهم التي ينحتونها على الجبال مساكن شتوية، أما طبيعة البيوت التي كانوا ينحتونها على الجبال،[7] قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ صدق الله العظيم، وفارهين أي حاذقين، بطرين

---

[1] سورة البقرة: الآية 127.

[2] الطبري: التفسير، ج3، ص57.

[3] إرم، هؤلاء هم عاد الأولى، وهم أبناء عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح عليه السلام، وقد بعث الله فيهم نبيه هود عليه عليه السلام، وسُميت مدينتهم بذات العماد لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس خلقةفي زمانهم وأقواهم بطشا، وقيل سُميت بذات العماد لارتفاع مبانيها القائمة على الأعمدة الضخمة بالأحقاف. ابن كثير: التفسير،ج8، ص290. وكذلك قيل إن إرم ذات العماد، مدينة بناها شداد بن عاد، بصحاري عدن، وقد استغرق بناؤها ثلاثمئة سنة، وكان عمر شداد تسعمئة سنة، وهي مدينة عظيمة قصورها ويقال أن عددها بلغ ألف قصر من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والثمار وبها أنهار، ولمَّا أتمَّ بناءها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم أجمعين. الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن، ط2، ج2، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص449.

[4] سورة الفجر: الآيات 7_ 8.

[5] سورة الأعراف: الآية 74.

[6] هم بنو ثمود بن جاثر، ويقال كاثر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قبيلة من العرب البائدة، وهم قوم سيدنا صالح عليه عليه السلام، وكانت منازلهم بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال نسبة لقوة أبدانهم وطول أعمارهم. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، 1980م،ص187.

[7] فتحي، حسن: العمارة والبيئة، دار المعارف، القاهرة، 1977م،ص9.

أشرين بنحتها، وقيل أنهم اتخذوا البيوت من الجبال لطول أعمارهم فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فنا أعمارهم.[1]

ومن المواد الإنشائية والمعمارية التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، الآجر وهو اللبِن المحروق المعد للبناء[2]، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَـٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[3]، بذلك يتضح لنا أن صناعة الطوب أو الآجر قد كانت معروفة منذ عصر الفراعنة، حيث كانوا يستخدمونها في بناء مدنهم وقراهم السكنية، أما الأحجار المنحوتة فيستخدمونها في بناء المعابد الدينية وصناعة التماثيل[4]. وكذلك من المواد المعمارية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، الحديد والنحاس وذلك في قوله تعالى:﴿آتوني زُبَرَ الحَديدِ حَتّى إذا ساوى بَينَ الصَّدَفَينِ قالَ انفُخوا حَتّى إذا جَعَلَهُ نارًا قالَ آتوني أُفرِغ عَلَيهِ قِطرًا ﴿﴾ فَمَا اسطاعوا أَن يَظهَروهُ وَمَا استَطاعوا لَهُ نَقبًا ﴾[5]، وتشير هذه الآيات إلى الجهود الفنية والمعمارية العظيمة التي بذلت في إقامة هذا هذا السد،المشيد من النحاس المذاب فوق قطع الحديد لتتماسك معاً كجسم واحد، أملس صلب يصعب نقبه أو إختراقه وتسلقه.[6]وأيضا منها الزجاج، قال تعالى:﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[7]، وقِيل أن هذا الصرح من الزجاج الشفاف الأملس،الأبيض الصافي، بما في ذلك أرضيته ومن تحتها ماء عذب جار.[8] وبذلك يتبين لنا أن العمارة فن قديم نشأ مع الإنسان، وتطور مع مراحل حياته عبر القرون، حتى جاء الإسلام فصاغ كل جوانب الحياة البشرية وفق الكتاب والسنة، فتميزت العمارة الإسلامية بالإبداع الجمالي والبساطة في الزخرفة والتزيين.[9]

العمارة في السنة النبوية: وكما وردت في القرآن الكريم آيات محكمات تحمل توجيهات عامة توضح بعض الأسس المهمة التي يجب مراعاتها عند عمارة الأرض، كذلك حوت السنة النبوية الشريفة أقوال وأفعال النبي

---

[1] الألوسي: مصدر سابق، ج10، ص110.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص59.

[3] سورة القصص: الآية 38.

[4] وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص38.

[5] سورة الكهف: الآيات 96_97.

[6] بهنسي، عفيف: الفنون القديمة، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1982م، ص113.

[7] سورة النمل: الآية44.

[8] بهنسي: الفنون القديمة، مرجع سابق، ص119.

[9] الشامي، صالح أحمد: الفن الإسلامي، دار العلم، دمشق، 1990م،ص287_288.

صلى الله عليه و سلم التي تحث على عمارة الأرض، طبقها كبار الصحابة والتابعين في بناء مرافقهم العامة والخاصة، وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية، فعن عائشة رضى الله عنها أن النبي (ﷺ):(من أعمر أرضاً ليس لأحد فهو أحق بها) وفي رواية أخري(من أحيا أرضاً ميتةً[1] فهي له) أخرجه الترمذي.[2]

ولقد رغبت السنة النبوية الشريفة في عمارة الأرض بوسائل متعددة ومختلفة، فعن معاذ بن أنس أن النبي(ﷺ) قال:(من بنى بنياناً من غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً من غير ظلم ولا اعتداء، كان له أجراً جارياً ما انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى) أخرجه الإمام أحمد.[3] و تبين لنا من خلال هذا الحديث الشريف دعوة الإسلام والترغيب في عمارة الأرض بمفهومها الواسع سواء كان ذلك بالزراعة أو الصناعة و استخراج مافي باطن الأرض من كنوز وثروات، بالإضافة إلى العمران والبناء، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:(ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة) أخرجه الترمذي[4]. وكذلك قوله ﷺ:(إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل) أخرجه البخاري.[5]

وقد حثت السنة النبوية على عمارة الأرض بغرض المنفعة الدنيوية والأخروية معاً، وذلك ببناء المساجد والمرافق الخدمية الخاصة والعامة لنفع المسلمين، وبذلك تصبح هذه الإنشاءات المعمارية صدقة جارية لأصاحبها إلى قيام الساعة، فعن إبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:(إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ) حسنه الألباني في صحيح ابن ماجه .[6]والشاهد من الحديث الشريف هو الترغيب في عمل الخير عن طريق

---

[1] الأرض الموات: هي الأرض المعطلة التي لم تعمر، لا مالك لها، ولا ينتفع بها أحد، وإحياؤها بالغرس أو الزرع أو إجراء المياه عليها أو عمارتها بالبناء. الشربيني: محمد بن محمد الخطيب: مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص361.

[2] الترمذي: مصدر سابق، ج4، ص524.

[3] ابن حنبل، أبوعبدالله الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل،ج12،تحقيق شعيب الأرنؤوط، دار الحديث، القاهرة، 1995م، ص249.

[4] الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك: السنن، ط2، ج3، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1975م، ص666.

[5] البخاري، أبوعبدالله الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1989م، ص479.

[6] ابن ماجه: مصدر سابق، ج1، ص22.

الأوقاف ببناء المرافق المدنية العامة التي تعود بالمنفعة على المسلمين.[1] فإن عمارة المساجد وإقامتها وترميمها وتعاهدها وصيانتها فضل كبير، فقد اثنى الله تعالى على من يعمر المساجد بقوله:﴿إِنَّما يَعمُرُ مَساجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَم يَخشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسى أُولئِكَ أَن يَكونوا مِنَ المُهتَدينَ﴾[2] صدق الله العظيم، ويؤيد ذلك في السنة النبوية، حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:(من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة) أخرجة البخاري.[3]

أحكام العمارة والبناء من خلال الكتاب والسنة النبوية: إن عمارة الأرض وإصلاحها هي وظيفة الإنسان في الأرض التي كلفه بها الله تعالى، وحث عليها عن طريق الأنبياء والرسل والكتب السماوية، لإعمار الأرض بصورة سلمية ومنظمة لابد من إتباع أمرين هما: أن يبقى الصالح على صلاحه فلا يفسد، وأن يصلح الفاسد ويزاد في إصلاحه. كما أن زينة الله على الأرض من أثرين: آثار خلق الله وهي الطبيعة التي وهبها الله لنا من دون أن يكون لنا جهد فيها، وآثار ما فعله الإنسان بما علمه الله تعالى له ليزين به الأرض.[4]

مشروعية البناء[5] من الكتاب والسنة: حكم البناء في الأصل الإباحة، وهو أمر مشروع ثبتت مشروعيته في في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهو ضرورة من ضرورات الحياة،وقد جاءت الأدلة كثيرة على إباحته،[6] فمن القرآن الكريم قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِن بُيوتِكُم سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلودِ الأَنعامِ بُيوتًا تَستَخِفّونَها يَومَ ظَعنِكُم وَيَومَ إِقامَتِكُم وَمِن أَصوافِها وَأَوبارِها وَأَشعارِها أَثاثًا وَمَتاعًا إِلى حينٍ﴾[7] صدق الله العظيم، ومعنى سكن أي تسكنون فيها، وهو أن الحركة تكون فيما خرج عن البيت،فإذا عاد المرء إليه سكن وهدأ عن الحركة، وبهذا سُميت مساكن لوجود السُكون فيها على الأغلب،أما الأثاث فهو كل ما يحتاج المرء إلى إستعماله من آلة، ويفتقر إليه من تصريف منافعه من حاجة،وأما المتاع فهو كل ما انتفع به المرء في

---

[1] وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص31.

[2] سورة التوبة: الآية 18.

[3] السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي: غذاء الألباب وشرح منظومة الآداب، ج2، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، 1996م، ص306.

[4] وزيري، يحي: خواطر الشيخ الشعراوي حول عمران المجتمع الإسلامي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة 1990م، ص10.

[5] والبناء في اللغة نقض الهدم، وهو وضع شيء على شيء بغرض الثبوت، وجمعها أبنية ، وفي الاصطلاح هي البيوت التي التي تسكنها العرب في الصحراء، فمنها الطراف والخبا والبناء والقبة المضروبة. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م، ص60.

[6] السعد، أحمد محمد: ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي، مؤتة للبحوث والدراسات، مج19، العدد6، 2004م، ص326. ص326.

[7] سورة النحل: الآية 80.

مصالحه وصرفه في حوائجه،ويُقال تمتع الرجل بماله إذا نال لذته.[1] وفي السنة النبوية وردت الكثير من الأحاديث التي تدل على مشروعية البناء، منها حديث أَبِي عَسِيبٍ رضى الله عنه، قَالَ: (خَرَجَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) لَيْلًا ، فَمَرَّ بِي ، فَدَعَانِي إِلَيْهِ ، فَخَرَجْتُ ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ بِعُمَرَ فَدَعَاهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ أَطْعِمْنَا بُسْرًا، فَجَاءَ بِعِذْقٍ: فَوَضَعَهُ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ، فَقَالَ:" لتسألن عن هذا يوم القيامة"، قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ الْعِذْقَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى تَنَاثَرَ الْبُسْرُ قِبَلَ رَسُولِ اللهِ (ﷺ)، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَئِنَّا لَمَسْئُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ:نَعَمْ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: خِرْقَةٍ كَفَّ بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ، أَوْ كِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ، أَوْ حَجَرٍ يَتَدَخَّلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ") أخرجه الإمام أحمد.[2] وأيضا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:(من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب[3] الصالح، ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء) أخرجه ابن حبان.[4] وعن سلام بن شرحبيل قال سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان: أتينا رسول الله (ﷺ) وهو يعمل عملاً يبني بناءً فلما فرغ دعانا فقال: (لا تنافساً في الرزق ما هزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه وهو أحمر ليس عليه قشر ثم يعطيه الله ويرزقه) أخرجه الإمام أحمد[5]. وعن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:(من كان لنا عاملاً فليكتسب له زوجةً، فإن لم يكن له خادم فليكتسب له خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب له مسكناً) قال: قال: أبوبكر أُخبِرتُ أن النبي (ﷺ) قال:" من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق") أخرجه أبو داود.[6]

ويتبين لنا من خلال هذه الآيات والأحاديث النبوية الشريفة صريح مشروعية البناء، حتى أن رسول الله (ﷺ) بنى بنفسه، كما أن زوجاته (ﷺ) كان لكل واحدة منهن حجرة تستقل وتسكن فيها، فقد أباح الشرع ضروريات الحياة للإنسان وعلى رأسها البناء وإتخاذ المساكن، وقد أجمع الفقهاء على ضرورة بناء المساكن

---

[1] ابن العربي، القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي المالكي: أحكام القرآن، ط3، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص148_149.

[2] الإمام أحمد: مصدر سابق، ج5، ص81.

[3] المركب هو كل ما يركب من دابة أونحوها، ومن هناءته السرعة والراحة وعدم الجموح. المناوي، محمد بن عبدالرؤوف بن تاج تاج العارفين الحدادي: فيض القدير وشرح الجامع الصغير ،ج3، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ص399.

[4] ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي الدارامي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط2، ج6، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص35.

[5] الإمام أحمد: مصدر سابق، ج12، ص347.

[6] أبى داود: السنن، مصدر سابق، ج8، ص128.

والدور لحفظ الحياة الإنسان على الأرض ووقايته من حر الصيف وبرد الشتاء، وحفظه من عيون الرقباء والمارة والأعداء، ذلك واجباً بأمر ولي الأمر.[1]

ضوابط العمارة والبناء في الشريعة الإسلامية

ومنها منع الضرر عن العامة والخاصة: إن للعمارة ضوابط شرعية وأخلاقية وإيمانية محققة وثابتة، عدم الإلتزام بها يفقد العمارة روحها وهويتها الحضارية الإسلامية، فتصبح مجرد مغارات يأوي إليها أصحابها لتقيهم حر الصيف وبرد الشتاء.[2] وللإنسان حق التصرف داخل حدود ملكه إذا لم يضر بغيره، ولهذا رتبت الشريعة مجموعة من الحقوق تُلزم المكلفين بحمايتها وعدم الإعتداء عليها، لتنظيم مسائل العمران والبنيان والمساكن، ومنها حقوق الجار وحق الشُفعة[3] وحقوق التعلى، وهذه الحقوق ثابتة بنصوص شرعية لا تتغير،[4] لذلك فإن الفقهاء في تناولهم لأحكام البنيان يعتمدون بصفة خاصة على القرآن الكريم، قال تعالى:﴿خُذِ العَفوَ وَأمُر بِالعُرفِ وَأَعرِض عَنِ الجاهِلينَ﴾[5] صدق الله العظيم، ويفسرون العُرف في هذه الآية بالنسبة لأحكام البنيان، بما جرى عليه الناس وأرتضوه ولم يعترضوا عليه، طالما أنه لايتعارض مع الكتاب والسنة.[6] وبناءً على الأخذ بمبدأ العُرف في تقرير أحكام البناء، نشأ مبدأ حيازة الضرر[7] الذي صاغ العمارة

---

[1] السعد: مرجع سابق، ص329.

[2] طرشاوي، بلحاج: العمارة الإسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية من خلال بعض النماذج، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبى بكر بلقايد/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007م، ص150.

[3] الشُفعة في اللغة بمعنى الضم أو الزيادة والتقوية، وسُميت شُفعة لأن الشفيع يضم ما يمتلكه بهذا الحق إلى نصيبه أو ملكه فيزيد عليه ويتقوى به. أما في الاصطلاح فهي حق تملك العقار المبيع جبراً عن المشتري، بما قام عليه من ثمن و تكاليف، لدفع ضرر الشريك الدخيل أو الجوار، حتى لا يلحق الشريك أو الجار ضرر. ابن عابدين: محمد أمين بن عبدالعزيز الدمشقي الحنفي، الدر المختار وحاشية ابن عابدين، ط2،ج5، دار الفكر، بيروت، 1992م، ص152. فعن جابر رضى الله عنه قال:(قضى رسول الله ﷺ، بالشُفعة فيما لم يقسم، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شُفعة) أخرجة البخاري. ابن حجر: مصدر سابق، ج3، ص508.

[4] أكبر، جميل عبدالقادر: أزمة الهوية العمرانية لدى المسلمين، مجلة المهندس الأردني، العدد 51، 1993م، ص22.

[5] سورة الأعراف: الآية 199.

[6] ابن الرامي، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اللخمي: الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م،ص57.

[7] وحيازة الضرر تعنى أن من سبق في البناء يجوز له العديد من المزايا التي يجب على جاره الذي يأتي بعده أن يحترمها وأن وأن يأخذها في اعتباره عند بنائه مسكنه، وبذلك يسيطر صاحب العقار الأسبق على حقوق عديدة يحترمها الآخرون عند بنائهم، فضلاً عن الحقوق الأخرى التي أقرها الشرع في مجال التنظيم العمراني، لإيجاد بيئة عمرانية مستقرة وفق الشريعة الإسلامية. عزب، خالد: فقه العمارة الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة، 199م،ص25.

العمارة الإسلامية صياغة شاملة، وذلك بالعمل بالعُرف المعمول به في المدينة وأعتمده الناس وساروا عليه. أما من السنة النبوية فيعتمد الفقهاء في أحكام البنيان على حديث أبوسعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال:(لا ضرر ولا ضرار) أخرجه ابن ماجة[1]، والضرر أن يُدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به، أما الضرار فهو أن يُدخل على جاره ضرراً لا منفعة له به، وقيل الإضرار ما قصد به إضرار غيره بداية، كفتح نافذة لا حاجة له فيها، تطل على بيت جاره.[2] والضرر يأتي من عدة أسباب منها: الدخان، الرائحة، الضوضاء، وسوء استعمال الطريق، والنظر من النوافذ والأبواب.[3] وإلحاق الضرر بالآخرين له صورتان: الأولى: أن يكون الغرض منه مجرد إلحاق الضرر بالغير وهذا محرم شرعاً. والثانية: أن يكون الغرض صحيحاً، لكن يؤدي إلى إلحاق الضرر بالغير، مثل أن يتصرف في ملكه مافيه مصلحة له، فيتعدى ذلك إلى غيره.[4]

أنواع الضرر: ويمكن تلخيصها في قسمين كبيرين وكل قسم تندرج تحته أنواع متباينة. القسم الأول: وهو الضرر على النفس الإنسانية، بما يلحق الضرر المباشر على الإنسان، ويشمل على ثلاثة أقسام، أولاً: الضرر البصري: وهو الضرر الذي يكون نتيجة لإطلاع الجار أوغيره على محارم جاره، ونجد أن الشرع قد منع الإطلاع عورات الناس والتجسس عليهم،[5] قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[6] صدق الله العظيم. ثانياً: الضرر السمعي: وهو الضرر الواقع على سمع الجار، نتيجة نتيجة الأصوات المزعجة التي يحدثها الجار، فتؤثر تأثيراً سلبياً على راحته، وتسلبه السكينة والراحة. ثالثاً: ضرر الشم: وهو الضرر الذي ينتج عن إنبعاث الروائح الكريهة، فعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه أن

---

[1] ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي الحنبلي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط7، ج6، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م، ص200.

[2] الشوكاني، محمد بن علي بن عبدالله اليمني: نيل الأوطار شرح مستقر الأخبار، ج6، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1993م، ص200.

[3] العابد، بديع، نشأة الفكر المعماري العربي الإسلامي وتطوره، مجلة المهندس الأردني، العدد 46، 1990م، ص28.

[4] السعد: مرجع سابق، ص331.

[5] طرشاوي: مرجع سابق، ص165.

[6] سورة الحجرات: الآية 12.

النبي (ﷺ) قال:(من أكل الثوم والبصل والكرات فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) أخرجه مسلم.[1]

أما القسم الثاني: فهو الضرر الواقع على البناء، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلت يانبي الله علمني شيئاً أنتفع به، قال:(أعزل الأذى من طريق المسلمين) أخرجه مسلم،[2] والأذى هو كل مايؤذى الإنسان في بصره أوشمه أو جسده.[3]

البناء على قدر الحاجة: والحاجة تضبط الوظيفة في العمارة الإسلامية، وتجعلها احترافية فلا مجال لمساحة زائدة بلا نفع ولا ارتفاع بلا حاجة، وبذلك فإن العمارة الإسلامية تأتي على قدر الحاجة التي تلبى رغبة مالكها أو المنتفع بها، وفق مقاصد الشريعة الإسلامية.[4] فلم تكن من سنته (ﷺ)، المبالغة في البناء، وإنما كان يكتفي بقدر الحاجة ومايفي بالغرض الذي جعل من أجله البناء. وبذلك كان الغرض من البناء في السنة لأمرين، أن يستر صاحبه عن أعين الناس وفضولهم، وأن يقيه من تغيرات عوامل البيئة والطبيعة.[5]

قال تعالى:﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[6]، أي مثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها ويرجون نفعها، كمثل العنكبوت في إتخاذها بيتاً لا يغنى عنها الحر والبرد والمطر ولا الأذى، لذلك فإن أضعف البيوت بيت العنكبوت.[7] والبيت هو المكان الذي يتخذه الإنسان ليأوي إليه، ويجب أن يتصف بحد أدنى من المواصفات المواصفات حتى يقوم بأداء الوظيفة التي بنى من أجلها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (لقد رأيتني مع رسول الله (ﷺ) وقد بنيت بيتاً بيدي يكنني من المطر ويظلني من الشمس ما أعانني عليه أحد من خلق الله تعالى) أخرجه البخاري[8]، والشاهد من قول ابن عمر أن البيت الذي بناه كان يتصف بالحد الأدنى من مواصفات المأوى من دون إسراف أو تبذير حيث كان يحميه من المطر والشمس.[9] وكذلك روي عن خباب

---

[1] الإشبيلي، أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي: الأحكام الوسطى، ج1، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض،1995م،ص277.

[2] الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الترغيب والترهيب،ج3، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2000م، ص139.

[3] إبراهيم، عبدالباقي: رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، 1999م، ص38.

[4] السراج: مرجع سابق، ص17.

[5] طرشاوي: مرجع سابق، ص182.

[6] سورة العنكبوت: الآية 41.

[7] الطبري: جامع البيان، مصدر سابق، ج20، ص38.

[8] البخاري: الصحيح، مصدر سابق، ج7،ص144.

[9] وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، مرجع سابق، ص34.

بن الأرت رضي الله عنه أن البنى (ﷺ) قال:(إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه، إلا في شيء يجعله في هذا التراب، وقيل في البناء) أخرجه البخاري، والذي لا يؤجر عليه المرء هو مالم يقصد به وجه الله تعالى من البناء،أو ما زاد على حاجة نفسه وعياله.[1]

عدم التطاول والزخرفة في البنيان: لم يكن هديه (ﷺ) ولا هدي الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، الاعتناء بالمسكن وتشيدها وتعليتها وزخرفتها، بل كانت أحسن منازل المسافر، تقي الحر والبرد، وتستر عن العيون وتمنع من ولوج الدواب، لايخاف سقوطها لفرط ثقلها، ولا تعشش فيها الهوام لسعتها، ولاتعتور عليها الأهوية والرياح المؤدية لارتفاعها، ولا تضيق عن ساكنها فينحصر، ولاتفضل عنه من غير منفعة، ولم يكن فيها كنف تؤذي ساكنها برائحتها، ولا ريب أن هذه من أعد المساكن وأنفعها وأوفقها للبدن وحفظ الصحة.[2] وقد أشار (ﷺ) إلى أن التطاول في البنيان من علامات الساعة، وجاء هذا في موضع الذم،[3] فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي (ﷺ) عندما سُئل عن علامات الساعة، قال:(...وأن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)أخرجه مسلم،[4] ويحتمل أن يكون المراد المباهاة في في الزينة والزخرفة و إظهار الثراء،[5] وقيل أن هذا الحديث دليل على ذم التباهي والتفاخر خصوصاً بالتطاول في البنيان.[6] وكذلك ما روى عن الإمام مالك، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، مر على منزل طويل البناء، فجلس في ظله حتى جاء صاحبه، فقال له:(ما حملك على أن أطلت هذا البناء؟ قال: ما أطلته أشراً ولا رياء، غير أني كنت ببلد يطليون البناء، فاتخذت مثله، فقال عمر: أظن أن الأمر على ماقلت ولكن أقصر لا يتأسى بك أحد حتى ترده مثل الناس)، وأيضا من أقواله رضي الله عنه في المنع من التطاول في البنيان:(لا تطيلوا بناءكم، فإن شر أيامكم يوم تطيلون بناءكم).[7] وهنالك الكثير من

---

[1] ابن بطال، أبى الحسن علي بن خلف بن عبدالملك البكري القرطبي: شرح ابن بطال على صحيح البخاري،ج9، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص78.

[2] ابن القيم، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هدى خير العباد، ط2، ج3، دار الفكر، بيروت، ص142.

[3] الهواري،محمد علي: المصلحة أساس التنظيم العمراني في الإسلام، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مج 29، العدد 2، 2002م،ص444.

[4] النووي: مصدر سابق، ج1، ص143.

[5] الغزالي، محمد: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ط6، دار الشروق، القاهرة ، 2007م، ص110.

[6] العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن محمد: عمد القاري شرح صحيح البخاري، ج1، دار إحياء التراث، بيروت، 1980م، ص275.

[7] البخاري: الأدب المفرد، مصدر سابق، ص101.

الشواهد التاريخية التي تبرهن أن مظاهر الترف والبزخ في العمار وزخرفة البناء، كانت سبباً في هلاك الكثير من الأمم والممالك السابقة.[1]

إن البساطة في جمال البناء والعمارة الإسلامية قائمة على الزينة المباحة شرعاً المتاحة قدراً، فإذا كان هدف الزخرفة إظهار نعمة الله عز وجل، وإنه نوع من الإبداع والإبتكار في الصنعة فذلك مباح، ولا يخرج البناء عن دائرة المشروعية نزولاً عند تعلق الناس وإشباع غرائزهم بما لا بد منه من التحسينات فوق الضروريات والحاجيات، أما إذا كان هدف الزخرفة المباهاة والمفاخرة فذلك حرام لمخالفته الكتاب والسنة.[2] قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿﴾﴾[3]صدق الله العظيم، في قوله تعالى: (وَزُخْرُفًا) لجعلنا هذا لأهل الكفر، يعني لبيوتهم سقفا من فضة وما ذكر معها، والزخرف قِيل الذهب، والمعارج والأبواب والسرر من الأثاث والفرش والمتاع، كل هذه الأشياء التي ذكرت هي ما يستمتع به أهل الدنيا في الدنيا، وزينة الدارالآخرة وبهاؤها للمتقين.[4] ومن السنة النبوية ما روى عن قصة السيدة فاطمة الزهراء لما قالت لعلي رضي الله عنهما –وقد صنعوا طعاماً– لو دعونا رسول الله (ﷺ). فجاء– ﷺ – فوضع يديه على عضادتي الباب فرأى قراماً –ثوب رقيق من صوف فيه ألوان ونقوش– فرجع، فقالت فاطمة لعلي:الحقه فقل له لم رجعت يا رسول الله؟ فقال:(إنه ليس لي –وفي رواية: لنبي أن يدخل– أن أدخل بيتاً مزوقاً) أخرجه الإمام أحمد.[5]أما في زخرفة وتشييد المساجد، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي (ﷺ) قال:(ما أُمرت بتشييد[6] المساجد) قال ابن عباس: لتزخرفنها لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى. أخرجه أبوداود، وأصل الزخرف الذهب، ثم استعمل في كل مايتزين به، والمراد بها تمويه المساجد بالذهب ونحوه، وذلك بغرض المباهاة والمراءات بالمساجد في تشيدها وتزيينها.[7] وعندما قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بصيانة وتوسعة المسجد النبوي الشريف، قال: اكن الناس من المطر والقر، وإياك أن تحمر وتصفر، فتفتن الناس، وقال أنس: يتباهون بها

---

[1] عزب: مرجع سابق، ص35.

[2] السعد: مرجع سابق، ص343.

[3] سورة الزخرف الآيات 33_35.

[4] الطبري: جامع البيان، مصدر سابق، ج21، ص602.

[5] الإمام أحمد: مصدر سابق، ج5، ص221.

[6] كل ما أحكم من البناء، فقد شُيد، وهو رفع البناء وتطويلها وتجصيصها، وقيل هو كل ما طلي به الحائط من جص أو بلاط. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج2، ص148.

[7] أبى داود: مصدر سابق، ج2، ص89.

ثم لايعمرونها إلا قليلا.[1] وقِيل أن أول من قام بزخرفة المساجد هو الوليد بن عبدالملك الأموي، بالمسجد الجامع في دمشق، وقد عزم عمر بن عبدالعزيز على إزالة تلك الزخارف، فكبر ذلك على من تعجبهم زينة الحياة الدنيا، واحتالوا وأقنعوه بأنه يغيظ الكفار حتى كف عن ذلك.[2] والعلماء متفقون بأنه لايجوز الإنفاق على زخرفة المساجد من المال العام، ولا من المال الموقوف على نفقة المساجد، فإن كان حتى من المال الخاص فقد وقع فيه خلاف.[3]

العمران ومقاصد الشريعة

مقاصد الشريعة هي تلك الأحكام المتعلقة بأمور العبادة الدينية والدنيوية وأمور المعاملات بمختلف أشكالها الدنيوية، وهذه الأحكام ترتبط بالمصالح الدينية والدنيوية انطلاقاً من غايات وأهداف حددها الشارع، فالمقاصد الشرعية هي غايات وأحكام الشريعة في تنظيم مصالح المكلفين والحفاظ عليها، وهي علم قائم بذاته يسمى علم المقاصد.[4]

أما المقاصد الشرعية للعمران، فهي تلك العلاقات الاجتماعية والسياسية والإقتصادية والثقافية التي تحقق الغاية المنشودة من العمران، والتي ترتبط بالأنماط العمرانية من حيث وظيفة التصميم العمراني، وهيكلة المدن بما يحقق مصالح الناس ومنافعهم الدنيوية والأخروية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية.[5] وتقسم مقاصد الشريعة إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي:**المقاصد الضروية:** وهي التي لابد منها من أجل قيام مصالح الناس الدنيوية والأخروية، وبدونها لا تجر مصالح الناس على استقامة ويلحقهم الفساد. والمصالح الضرورية أربعة: وهي حفظ الدين، حفظ النفس والعرض، حفظ العقل، حفظ المال، والإنسان مطالب شرعاً بالحفاظ عليها.[6]

المقاصد الحاجية: وهي المقاصد التي تدعو إليها الحاجة في كمال وإتمام أمر ما من حيث التوسعة على النفس ورفع الحرج، ونقصها لا يبلغ حد المفسدة المتلفة للمقاصد الضرورية، وهذا النوع من المقاصد هي

---

[1] ابن رجب: مصدر سابق، ج3، ص281.

[2] ابن حجر: مصدر سابق، ص540.

[3] الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر: إعلام الساجد بأحكام المساجد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص237.

[4] ابن زغيبة، عزالدين: الفكر المقاصدي عند فقهاء القيروان إلى منتصف القرن الخامس الهجري، مجلة الثقافة والتراث، دبي، عدد 24، 1999م، ص70.

[5] عليلي، محمد: فلسفة العمران الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج 1، العدد 2، 2018م، ص47.

[6] الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسي اللخمي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المطبعة المصرية، القاهرة، 2000م،ص8.

وسط بين المقاصد الضرورية والتحسينية. وهي مثل الحمامات والخانات، وتنظيم أمور الطرقات والشوارع، وكل ما يتعلق بأمر البناء بحيث لا يبلغ في الأهمية الضروريات.

المقاصد التحسينية: وهي ما يعود إلى العادات الحسينة والأخلاق الفاضلة والمظهر الكريم، وكل أمر في العمارة الإسلامية يدخل في هذا الجانب، فهو من باب التحسيني، ومنها اتخاذ المآذن والمنارات والقباب والمبالغة في زخرفة المقصورات والمحاريب وغيرها.[1]

تطبيقات مقاصد الشريعة في مجال العمارة: أحاطت الشريعة الإسلامية بالمقاصد والأحكام المختلفة، التي من شأنها تحقيق الغاية التي من أجلها وضعت هذه المقاصد والأحكام، ومن أحكام العمارة التي وردت ضمن أقسام مقاصد الشريعة الآتي:

مقصد الحفاظ على الدين: العمران في الإسلام ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة لتحقيق غاية الاستخلاف في الأرض، أي طاعة وعبادة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ﴾[2]صدق الله العظيم، ويعد المسجد هو الرمز العمراني الذي يحقق ويجسد الوجود الديني بالمدن والقرى الإسلامية، فهو أول مؤسسة يشرع من خلالها بناء المدن الإسلامية، حيث يتوسط المدينة والتجمع السكني، وإليه تنتهي الطرق والشوارع الرئيسة بالمدينة، قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام:﴿ رَبَّنا إِنّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتي بِوادٍ غَيرِ ذي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهوي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُم يَشكُرونَ﴾[3]صدق الله العظيم،فإذا كان المسجد هو المكان المرتبط بطاعة الله وعبادته من الناحية الظاهرية من خلال أداء فريضة الصلاة، فإن العمران كله يجب أن يسير وفق هذه الغاية وهي طاعة الله عز وجل.[4] وتأكيداً على ذلك نجد أن إدريس الثاني لما عزم على بناء مدينة فأس، أفصح عن نفس الهدف بدعائه الله قائلاً: اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولامفاخرة ولارياء ولاسمعة ولا مكابرة، وإنما أردت أن تعبد بها ويتلى كتابك، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك مابقيت الدنيا.[5]

---

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ج3،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م، ص83.

[2] سورة هود: الآية 61.

[3] سورة إبراهيم: الآية 37.

[4] عليلي: مرجع سابق، ص49.

[5] ابن أبى زرع، أبوالحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفأسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب المغرب وتاريخ مدينة فأس، عصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص49.

مقصد حفظ النفس والعرض

وحفظ النفس وطلب الأمن غريزي في النفس البشرية، لذلك فإن العمران البشري وجميع الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تقوم عليها ظاهرة الدولة، إنما قامت على مبدأ حفظ النفس، فالإنسان حين يبني المدن ويحيطها بسياج من الأسوار، ويقيم بها المرافق العامة والخاصة، إنما يفعل ذلك بقصد حفظ نفسه من الهلاك الذي قد تتعرض له.[1] أما الأمن هو نوع خارجي وداخلي: الخارجي هو مايقتضى الدفاع عن المدينة من الأعداء الخارجيين، وهو الأساس حيث كان المسلمون في العصور الوسطى يحيطون مدنهم بأسوار من كل الجهات حتى تكون في منعة من الأعداء، كما يراعى في اختيار مواضعها ألا تكون بها أوبئة و أمراض تؤدي إلى هلاك الأنفس والأبدان.[2]وأما الأمن الداخلي فيكون بمراعاة صياغة فضاءات المساكن وخططها وهيكلتها، وفقاً للحاجة والمناخ والبيئة، لدفع عوارض الطقس وحماية الإنسان من تقلباتها. ولحفظ النفس وحمايتها لابد من إنشاء المرافق الخدمية العامة، وفي مقدمتها المشافي، وقد ورد في السنة النبوية أنه (ﷺ)، قد ضرب خيمة داخل المسجد لتطبيب الجرحى، في غزوة الخندق.[3] وكذلك أسُست السجون، فهي العقاب المنتظر لكل من اقترف جرماً يخل بالأمن العام بالمدن، ردعاً وتأديباً له، وعادة ما تكون هذه السجون مستقلة في بنائنا ولها أسوار محكمة حتى لايمكن السجناء من الفرار، وكان أول من جعل للسجن مكاناً خاصاً هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، إذ اشتري دار صفوان بن أمية واتخذها سجنا.[4] ولحفظ الأعراض شرعت مقاصد الشريعة الإسلامية بناء المساكن للناس، وحفاظاً وصوناً لأعراضهم منعت أصحاب المساكن العالية من النظر إلى جيرانهم، كما منعتهم من فتح الكوات والنوافذ على محارم جيرانهم، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[5] صدق الله العظيم، وكذلك عن شريح الكعبي أن رسول الله (ﷺ) قال:(والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لايؤمن، قالوا: وماذاك يارسول الله؟، قال: الجار لا يؤمن جاره بوائقة، فقالوا يارسول الله: وما بوائقة؟ قال: شره) أخرجه

---

[1] طرشاوي: مرجع سابق، ص205.

[2] عليلي: مرجع سابق، ص52.

[3] التريكي: محمد وخالد أبوزيد، المعمار والممارسة الاجتماعية، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، 1989م، ص111.

[4] التميمي، أيمن سليمان خالد: السجون في العصر العباسي " 132ه/334ه _ 750م . 945م"، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، 1997م، ص42.

[5] سورة الحجرات: الآية 12.

الإمام أحمد.[1] وأيضا روي عنأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، أنه كتب إلى واليه على مصر عمرو بن العاص رضى الله عنهما قائلاً: إنه بلغني أن خارجة بن قدامة، قد بنى غرفة، ولقد أراد خارجة أن يطلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها، إن شاء الله والسلام.[2]

مقصد حفظ العقل: وللحفاظ على العقل وترسيخ مبادئ وأسس الدين، شُرع بناء المساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا والمكتبات في المدن الإسلامية، واعتبرت مظاهراً عمرانية تُعبر عن الارتقاء الفكري والتقدم الحضاري والمعرفي للأمة الإسلامية.(3) فقد احتوت معظم المدن الإسلامية إبان العصور الوسطى على مكتبات عامة وخاصة، أشهرها مكتبة بيت الحكمة ببغداد ومكتبة قرطبة التي أنشأها الأمويون بالأندلس.(4) وللحفاظ على العقول من التلف والضياع، منعت مقاصد الشريعة الإسلامية إتخاذ الخمارات وبيوت البغاء، وأمر الحكام بإتلافها، فقد روى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أحرق بيت رويشد الثقفي وكان حانوتاً للخمر.(5)

مقصد حفظ المال: ويعد تحقيق المصلحة العامة من المقاصد الشرعية في عمارة الأرض فتحصيل الأقوات وجلب المنافع تدخل في باب حفظ النفس والمال، ولذلك شرع الإسلام بناء الأسواق وأمر بتنظيمها وبناء الخانات والفنادق التي يأوى إليها التجار وتحفظ فيها أمتعتهم وبضائعهم من اللصوص وقطاع الطرق،(6) قال قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾(7) صدق الله العظيم، والبيوت غير المسكونة قِيل هي الخانات التي تكون في الطرق، وهي بيوت الأسفار.(8) ومن أجل الحفاظ على المصلحة العامة وأموال الناس وسلامتهم، منع تضييق الطرقات بالبناء فيها أو الجلوس بما يعيق مصالح الناس، كما منع تجاور الحرفيين كالخزاز والحداد حفاظاً على أموال الخزاز

---

(1) الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج22، تحقيق حمدي عبدالمجيد، دار ابن تيمية، القاهرة، 1983م، ص178.

(2) السيوطي: مرجع سابق، ص117.

(3) عليلي: مرجع سابق،ص54.

(4) هلال، جودت ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1986م،ص35.

(5) السيوطي، علي بن عبدالله، الحاوي للفتاوي: ج1، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة المصرية، القاهرة، 1990م، ص185.

(6) نفسه: ج1، ص185_186.

(7) سورة النور: الآية 29.

(8) القيسي، أبى طالب مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيرواني القرطبي: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه،ج8، جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، 2008م،ص562.

من الهلاك. ومن مقاصد الشريعة في حفظ المال النهي عن الإسراف والتبذير في البناء، والاقتصار على مواد البناء اللازمة والضرورية والاكتفاء بالبناء الذي يفي بالحاجة.[1]وبذلك فإن مقاصد الشريعة في العمارة، هي المجال الذي يمكن للفرق المتجاورة أن تعتمد عليه لتسيير شؤونها الخاصة في مجال البناء وكل ماتعلق به، وهي التي تحكم من خلالها حركية العمل المعماري داخل المدينة الإسلامية، حيث لا يمكن لأي شخصٍ تجاوزها حتى لا يحلق الضرر بالآخرين.

المبحث الأول

تجديد وبناء المدن في الشام إبان العصر الأموي

إقليم الشام:

أصل التسمية: يُقال إنما سُميت الشام لأن أرضها مختلفة الألوان بالحُمرة والبياض والسواد، ولوجود جبال هناك سود وبيض كأنها شامات فسميت بالشام، وأهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شاما[2]، وقيل:

[1] عزب: مرجع سابق، ص85_86.

[2] ابن تميم، محمود شهاب الدين بن تميم المقدسي: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، 1993م، ص13.

سميت بالشام لأن قوماً من بني كنعان نزلوها فتشاءموا إليها فسميت شاماً لذلك، وقيل: سميت شاماً لما تشاءم لها أهل اليمن من يمنهم كما يقال تيامنوا أو تياسروا فسُميت بذلك[1].

وقد تباينت آراء اللغويين والجغرافيين حول تسمية الشام بهذا الاسم، ويقول بعضهم إن الشام بلاد تذكر وتؤنث، ويقال شأم وشام بالهمزة وتركه، وإنما سُميت شاما لوقوعها شمال الكعبة،[2]وقيل لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات، كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة ويجمع شامات[3]، وكذلك قيل أن التسمية جاءت نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، لأنه أول من نزلها فتطيرت العرب من سكنها واسمها سام لأن السام اسم الموت، وسام اسم بالسريانية شام، وبالعبرانية شيم[4]. وقيل أن اسم الشام الأول سورية، كانت أرض بني إسرائيل، قسمت على اثني عشر سهماً فصار لكل قسم تسعة أسباط ونصف في مدينة يقال لها شامرين وهي من أرض فلسطين فصار إليها متجر العرب في ذلك الدهر، ومنها ميرتهم فيسموا الشام شامرين، ثم حذفوا، فقالوا شام[5].

أما عن اسم سورية "بلاد الشام" فقد اختلف الباحثون حول أصل تسميتها، فالبعض يذكر أن الكتاب المقدس أورد اسم سورية ب" آرام" نسبة إلى رام أحد أبناء سام بن نوح عليه السلام، لأن أكثر سكانها القدماء كانوا من صلبه[6]، وقيل إن اليونان هم من أطلقوا هذا الاسم على مدينة صور البحرية، ثم توسعوا باستعماله، فشمل المنطقة الواقعة بين جبال طورس في الشمال وصحراء سينا في الجنوب، والبحر المتوسط في الغرب والبادية في الشرق[7]. أما العرب فقد أطلقوا عليها اسم الشام، لوقوعها إلى اليسار من الحجاز[8]، وقد كثرت الروايات واختلفت في ذلك.

---

[1] البدري، أبوالبقاء عبدالله البدري: نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م، ص11.

[2] ابن منظور: مصدر سابق، ج12، ص314_316.

[3] الحميري: مصدر سابق، ص335.

[4] النووي، أبوزكريا محي الدين بن شرف: تهذيب الأسماء واللغات، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص171.

[5] ابن عساكر: مختصر تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج1، ص41_42.

[6] علي، أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ماقبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي " دراسة سياسية _ اجتماعية _ اقتصادية _ فكرية وعسكرية "، مطبعة جوهرة الشام، دمشق، 1994م، ص82.

[7] حتى، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ج1، ترجمة: جورج حداد وعبدالكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص63.

[8] علي: مرجع سابق، ص28.

جغرافية الشام: لم يتفق الجغرافيون الأوائل في إعطاء وصف دقيق وواضح لحدود بلاد الشام وطبيعتها الجغرافية، فكل واحد منهم ذكرها حسب تقسيم المنطقة في عصره، إما كُوراً، وإما أجناداً،[1] إلا أن القول الأرجح عندهم على حدود الشام، بأنه يحدها من الغرب بحر الروم ومن الشرق بادية الشام، ومن الشمال بلاد الروم، ومن الجنوب مصر وتيه بني إسرائيل، وجعلوا حدودها هما ما يلي مصر هي رفح، ومما يلي بلاد الروم هي الثغور[2] إلى طرسوس.[3]ولبلاد الشام خصوصية في الموقع والمكان فقد تمكن العرب المسلمون من فتح بلاد الشام بعد أن دحروا البيزنطيين عنها، إلا أن بيزنطة بقيت متربصة على حدود دولتهم، لقربها منها، ذلك مما جعل العرب الفاتحون يقسمونها إلى أجناد وهي: جند فلسطين، جند الأردن، جند حمص، وجند دمشق، وهي التي استقرت فيها الجيوش لحمايتها ولقبض أُعطياتهم منها.[4] أما جند فلسطين فأشهر مدنها بيت المقدس وغزة وعسقلان، وأما جند الأردن فكانت مدينته طبريه، و جند حمص فكانت عاصمته حمص،[5] ولما اعتلا الأمويون سُدت الحُكم أصبحت أجناد الشام خمسة، [6] بعد أن أضافوا أضافوا إليها جند قنسرين وجُعلت مدينة قنسرين عاصمةً لها، ثم نقلت إلى حلب،[7] وبقيت الجزيرة من جند قنسرين حتى أوائل أيام عبد الملك بن مروان، حيث قام بفصلها وجعلها جنداً مستقلاً، وضم إليها أذربيجان وأرمينية وأحياناً تُتبع إليها الموصل.[8] وكان كل جند من أجناد الشام يضم عدد من الكُور والقصبات، ويبدو أن مصطلح أجناد قد اقتصر استعماله في بلاد الشام فقط، ولقد لعبت هذه الأجناد دوراً هاماً في تحقيق الاستقرار الإداري والعسكري إبان العصر الأموي.[9]

أما مظاهر السطح وتضاريس بلاد الشام، فتتميز بالبساطة وتتكون من نطاقات طويلة متوازية، تأخذ في الامتداد من الشمال إلى الجنوب بصفة عامة، فيمتد الجزء الشمالي في سوريا ولبنان، بينما يمتد الجزء

---

[1] ابن تميم: مثير الغرام، مصدر سابق، ص82.

[2]. الثغور: جمع ثغر، وهو اسم لكل موضع يكون في وجه العدو، وكأنه من الثغرة وهي الفجوة، والثغور الإسلامية هي سلسلة من الحصون التى بناها المسلمون على حدود العدو، وهي جزء من التنظيم العسكري الثابت، والغرض منها تأمين حدود البلاد الإسلامية. الفيروز آبادي: مصدر سابق، ج1، ص397.

[3] ابن حوقل: مصدر سابق، ص153.

[4] البلاذري: مصدر سابق، ص138.

[5] النصولي، أنيس زكريا: الدولة الأموية في الشام، مؤسسةهنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة، 2012م،ص169.

[6] ملحق رقم (1)، ص230.

[7] ابن رسته، أبوعلي أحمد بن عمر: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، هولندا _ ليدن، 1891م، ص107.

[8] عطوان، حسين: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام، دارالجيل، بيروت، 1987م، ص82.

[9] الإبراهيم: مرجع سابق، ص107.

الجنوبي في فلسطين والأردن،[1] ويميز الجغرافيون خمس مناطق طولية في تضاريس بلاد الشام، وهي: السهل الساحلي وهو يسير بحذاء الساحل الشرقي للبحر المتوسط ممتداً من الشمال إلى الجنوب، ويختلف اتساعه من مكان لآخر،[2] ثم السلسلة الغربية وهي السلسلة الجبلية الغربية الموازية للسهل الساحلي، وتتكون وتتكون من جبال اللكام " الأمانوس" وجبال لبنان الغربية، وهضبة الجليل وهضبة السامرة.[3] والسهول الوسطى وهي حوض ضيق طويل، تمتد من شمالي سوريا حتى وادي عربة وتُعرف بالمنخفض الأوسط أو بحفرة الانهدام،[4] ثم سلسلة المرتفعات الشرقية، وتبدأ هذه السلسلة شمالاً في هضبة جنوبي حمص، وتنحدر شرقًا حتى تنتهي في بادية الشام.[5] وأخيراً بادية الشام، وهي تبدأ من أيلة" العقبة" إلى بالس على شط الفرات الفرات الغربي من سوريا ثم عبدان على الخليج العربي، ويعتبرها العديد من الجغرافيين امتداداً طبيعياً لديار العرب.[6]

وقد وردت العديد من الآيات والأحاديث النبوية، التي تؤكد مكانة الشام في الإسلام، وبركة أرضها، وطيب مسكنها، وفضل أهلها، قال تعالى:﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[7] صدق الله العظيم، وقيل إن الأرض المقدسة هي الطور وقيل دمشق وفلسطين والأردن، وقيل هي الشام كلها.[8] وأيضاً قوله تعالى:﴿ وَنَجَّيناهُ وَلوطًا إِلَى الأَرضِ الَّتي بارَكنا فيها لِلعالَمينَ﴾[9]صدق لِلعالَمينَ﴾[9]صدق الله العظيم، قيل إن الأرض التي باركنا فيها أرض الشام.[10] ومن السنة النبوية، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:(بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت

---

[1] الشناق، محمد صبحي نهار: أعراب بلاد الشام في عهد المماليك " 684هـ/ 923هـ_ 1250م/ 1517م"، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 2000م، ص28.

[2] الجوهري، يسري: جغرافية العالم الإسلامي، دار الجامعات المصرية، الأسكندرية، 1979م، ص107.

[3] ابن حوقل: مصدر سابق، ص156.

[4] الجوهري: مرجع سابق، ص108.

[5] حتى: مرجع سابق، ص44.

[6] ابن حوقل: مصدر سابق، ص163.

[7] سورة المائدة: الآية 21.

[8] البغوي، أبو محمد الحسين محي السنة بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوي "، ج2، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، ص34.

[9] سورة الأنبياء: الآية 71.

[10] الطبري: جامع البيان، مصدر سابق، ج17، ص35.

أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام) أخرجه أحمد.[1] و أيضاً عن عبد الله بن حوالة أن النبي ﷺ قال:(إنكم ستجندون أجناداً جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن، قال: قلت : يا رسول الله خير لي، قال: عليكم بالشام فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله) أخرجه أحمد.[2] وقد انعكست مكانة بلاد الشام وأهميتها في كتب التراث، فقد صنف في فضائل الشام ومدنها الكثير من المؤلفات التي ذكرت خصائصها وفضائلها.[3]

مدينة دمشق:

أما اشتقاق تسمية دمشق فقيل: دمشق بكسر أوله، وفتح ثانيه، كهذا رواه الجمهور والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وآخره قاف، البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة، وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة، وسُميت بذلك لأن دمشق في بنائها أسرع، وناقة دمشق، بفتح الدال، وسكون الميم سريعة، ناقة دمشق أو دمشقية اللحم، إذا كانت خفيفة.[4]

أصل التسمية: لقد عُرفت هذه المدينة على أنها واحدة من أقدم المدن في التاريخ، وقيل أن تسميتها ترجع إلى مؤسسها وصاحبها الذي بناها أول مره، وهو دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وفي رواية أخرى أن جيرون بن سعد بن عاد بن عوض وهو من أحفاد نوح عليه السلام،[5] نزل دمشق وبنى مدينتها، وسماها جيرون، وقيل هي إرم ذات العماد، وليس أعمدة الحجارة في موضع أكثر منها بدمشق، وقيل جيرون وبريد كانا أخوين، وهما أبناء سعد بن لقمان بن عاد، وهما اللذان يُعرف باب جيرون وباب البريد بدمشق بهما،[6] وفي رواية أخرى قيل أن دمشق قد بناها العازر غلام إبراهيم عليه السلام، وكان وكان حبشياً وهبه له النمرود بن كنعان حين خرج إبراهيم عليه السلام من النار، وكان اسم الغلام دمشق،

---

[1] المنذري، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج3، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت، 1417، ص341.

[2] السيوطي، أبوالفضل أبى بكر جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر: الدر المنثور في التفسير المأثور، ج1، دار الفكر، بيروت، 2011م، ص522.

[3] درادكه، صالح موسى: دارسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام، وزارة الثقافة، عمان، 2011م، ص30.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص463.

[5] السمعاني، أبي سعد قوام الدين عبدالكريم بن أبى بكر محمد بن أبى المظفر المنصور السمعاني التميمي: الحبير في المعجم المعجم الكبير، ج1، تحقيق منيره ناجي سال، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد 1975م، ص93.

[6] ابن عساكر، أبى القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبدالله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، ج1، تحقيق: أبى سعيد عمر عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ص13.

وكان متصرف في جميع مال إبراهيم عليه السلام.[1]وقيل إنها سميت دمشق بالرومية، وأن أصل اسمها دومسكس أي مسك مضاعف لطيبها لأن (دوو) للتضعيف و(مسكس) هو المسك، ثم عُربت فقيل: دمشق.[2] وقيل لما هبطت سفينة نوح عليه السلام، وأشرف عليه السلام من جبل حِسمى، رأي تل حران بين نهرين جلاب وربصان، فأتى حران فخطها، ثم أتى دمشق فخطها فكانت حران أول مدينة خطت بعد الطوفان، ثم دمشق،[3] وروى أن الملك دمشوش بنى مدينة جِلق، وهي دمشق وحفر نهرها بردي ونقره في الجبل حتى جرى إلى المدينة.[4] وقد ورد غير ذلك في أصل تسميتها ووصفها وتاريخ بناءها.

موقعها الجغرافي: تتمتع دمشق بمركز جغرافي فريد في نوعه، إذ تقع في مركز متوسط بين الشرق والغرب كما أنها نقطة يلتقي بها الطريق الذي يخترق سورية من الشمال إلى الجنوب بنهر بردى الذي يجري من الشرق إلى الغرب،[5] وتقع دمشق في أرض مستويه على خط طول (36° _18°) شرقي غرينتش وخط عرض (33° _21°) شمالاً، وعلى علوّ 690 متراً عن سطح البحر، إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية،[6] وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعة هي المنطقة السهلية، وتشمل الغوطة والمرج، ونهر بردى بفروعه وأقنيته، والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة، ويشرف على دمشق أيضاً من جهة الغرب جبل الشيخ ويُعرف بجبل الثلج، بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام وهي منطقة مفتوحة، ذلك مما جعلها تتمتع بموقع جغرافي متميز، فالأرض الخصبة، والمياه المتدفقة جعلت غوطتها من أغنى البلاد من حيث الإنتاج الزراعي، وانفتاحها من الشرق على السهول الموصلة إلى الفرات والعراق، ومن الغرب وجود المناطق الجبلية التي تسيطر على طريق التجارة الموصل إلى البحر الأبيض المتوسط حيث الاتصال بأوروبا،

---

[1] العمري، أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ، ص509.

[2] ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الريفيعي الإفريقي: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج1 ، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1984م، ص48.

[3] نفسه: ص43.

[4] الحميري، محمد بن عبدالمنعم: الروض المعطار في خير الأقطار، ط2، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص237.

[5] Charles Woth: Trade Routes of the RomanEmpire:P.98.

[6] سوفاجيه، جان: دمشق الشام، تعريب: فؤاد البستاني، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دار الوراق للنشر، دمشق، 1989م، ص23.

بالإضافة إلى الطريق الموصل إلى حلب وحتى آسيا الصغرى شمالاً، الذي جعل منها مركزاً تجارياً هاماً لاستقبال البضائع وتصديرها.[1]

أما فيما يتعلق بالسكان فقد استوطن العرب بلاد الشام منذ الألف الأولى قبل الميلاد، وتوالت هجرات القبائل العربية إلى الشام بعد الفتح الإسلامي، وتركزت خارج مدينة دمشق، وحملت الأماكن التي نزلت بها بطون القبائل العربية أسماء النازلين بها، منها قينية، ومنازل بني رعين في الجهة الغربية، وسطروا الفراديس والأوزاع ومرج شعبان من الجهة الشمالية، والراهب وبني عبد المطلب والقطائع من الجنوب.[2] ونزلت جماعة من اليمن في بانياس، فعن عبد الرحمن بن سابط الجحمي ، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص إن لي رحماً وقرابة و إن منزلي قد نبابي بالعراق والحجاز، فخر لي فقال: أرضى لك ما أرضى لنفسي ولولدي، عليك بدمشق ثم عليك بمدينة الأسباط بانياس، فإنها مباركة السهل والجبل، نقل الله عنها أهلها حين بدلوا تطهيراً لها.[3]

مدينة دمشق وعمارتها إبان العصر الأموي: ارتبط الأمويون بالشام، حيث اشتهر أمرهم وعظم ذكرهم منذ ولاية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عليها إبان العهد الراشدي، وفي عام الجماعة 41هـ وبعد تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية[4]بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين، حيث استقرت له شئون الحكم، وأصبح صاحب السلطان المطلق في كافة أنحاء البلاد الإسلامية، اتخذ من دمشق حاضرة للدولة الإسلامية ومقراً للخلافة، بعد أن كانت حاضرة لولاية الشام وحدها، فانتقلت إليها السياسة والملك،[5] وقد حرض معاوية منذ توليته الخلافة على ألا تعيش القبائل العربية في الشام في معزل عن أهلها الأصليين، وبذلك استطاع أن

---

[1] محاسنة، محمد حسين: تاريخ دمشق خلال الحكم الفاطمي، نشر الأوائل، دمشق، 2001م، ص33_ 35.

[2] نفسه: ص41_ 42.

[3] ابن عساكر: مصدر سابق، ج1، ص100.

[4] هو أبو يزيد معاوية بن أبي سفيان صخر بن بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي، أمير المؤمنين ملك الإسلام، صحابي جليل أسلم يوم وقت عمرة القضاء وأخفى ذلك خوفاً من أبيه، وما أظهر إسلامه إلا يوم فتح مكة. الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، ج3، ط3، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص120. وهو أول من أحاط نفسه بأبهة الملوك وجلالهم من أمراء المسلمين، وجعل لنفسه سريراً على نحو ماكان لأباطرة الروم، وكان مجدداً في نظام الحكم والإدارة، فهو أول من وضع نظام البريد في الدولة الإسلامية، وأول من اتخذ ديوان الخاتم، وأدخل المقصورات في المساجد. اليعقوبي: مصدر سابق، ج12، ص230_ 234.

[5] الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، القاهرة، 1330هـ، ص220.

يكون آمناً في حاضرة دولته، بعد أن نقل إليها بيت المال من الكوفة، وزاد في عطاء أهل الشام، فأطاعوه وظلت دمشق محتفظة بمكانتها كحاضرة للدولة الإسلامية طوال فترة الخلافة الأموية.[1]

وقد قام معاوية بتشييد قصر لزوجته ميسون الكلبية، يشرف على الغوطة، وزينه بأنواع من الزخارف، ثم أسكنها به مع وصائف لها،[2]كما قام ابنه يزيد[3]بحفر قناة جديدة على سفح الجبل، لا يزال اسمها حتى اليوم نهر يزيد، وذلك من أجل إعادة النظر في توزيع حقوق الماء في الواحة كلها، والعمل على توسيع المنطقة المزروعة بإحياء أراضي حرستا والقابون، فخلفت قرى ومزارع جديدة في تلك الضاحية، ساعدت في ازدهار المنطقة وتطورها بعد زوال الخلافة الأموية ولما انتقلت الخلافة إلى الفرع المرواني من بني أمية تجلت الرغبة في العناية بدمشق على اعتبار أنها عاصمة الأمويين، ومن ثم كثرت بها العمائر كما أنشأ بها الخلفاء الحصون المنيعة والقلاع ذات القباب البيضاء والقصور والجوامع الفخمة، وظهرت دمشق في عهد الوليد[4]بن عبدالملك في أجمل مظهر، بما شيده فيها من منشآت وعمائر بديعة فقد كان الوليد مولعاً بالعمائر،[5] وقد سارت كلفة الوليد بالعمارة سيرة الأمثال، حتى قِيل: " إن الناس في دمشق كانوا في عهد الوليد يتكلمون على العمارات وجمالها، وفي عهد سليمان[6]عن النساء والطعام، وفي عهد عمر[7]بن عبد العزيز عن القرآن والدين" لأن الناس كما يُقال: على دين ملوكهم.[1]

---

[1] سرور، محمد جمال الدين: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965م، ص94.

[2] الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبري، دار البشائر، دمشق، 2005م، ص435.

[3] هو أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية القرشي، ثاني خلفاء بنى أمية، ولد سنة 25 وقيل سنة 26 أو27هـ، بالماطرون، وقيل ببيت الرأس، بويع له بالخلافة في حياة أبيه أن يكون ولي العهد من بعد، وتم له البيعة بعد وفاة والده في النصف من رجب 60هـ، واستمر متوالياً إلى أن توفي في الرابع عشر من ربيع الأول سنة 64هـ. ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: البداية والنهاية، ج11، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م، ص638.

[4] هو أبوالعباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، سادس خلفاء بني أمية، ولد في سنة 48هـ، تولى الخلافة بعهدٍ من أبيه سنة 68هـ، وقد اتسم عهده بالفتوحات والنهضة العمرانية، توفي 96هـ. الزركلي: مصدر سابق، ج8، ص121.

[5] علي: مرجع سابق، ص262.

[6] هو أبو أيوب سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، بويع له بالخلافة بعد أخيه الوليد بعهد من أبيه في سنة 96هـ، كان فصيحاً مؤثراً للعدل محباً للغزو، نفذ الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوهم على بناء جامع بها، توفي في سنة 99هـ بدابق. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج10، ص171.

[7] هو أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، أمير المؤمنين الرجل الصالح رضى الله عنه، ثامن الخلفاء الأمويين، ولد بالمدينة المنورة سنة 61هـ، تولى الخلافة بعهدٍ من ابن عمه سليمان عبدالملك سنة 99هـ، توفي عمر بدير

ومن آثارهم المعمارية في دمشق، شق القنوات والقناطر وأبرزها القنوات السبع التي شقها الأمويون لتوصيل المياة لكافة أنحاء المدينة والقناطر الكثيرة المقامة على الأعمدة التي شيدوها لتوصيل مياة الشرب إلى الدُور، حتى أصبح لكل دار في دمشق نافورة خاصة بها.[2]وكانت منازل الأغنياء في دمشق إبان خلافة الأمويين، تتألف من طابقين أحياناً، كما كانت تحتوى على أبهاء عديدة عن يمينها وشمالها أبواب عدة، ذات ستائر كثيفة تفتح عند الضرورة، وكان الديوان وسائر الغرف تفرش في الشتاء بالطنافس الفاخرة، وفي الصيف بالحصر الغالية، كما كانوا يستخدمون المواقد في الشتاء لتدفئة الغرف، أما في الصيف فكانت النوافير التى حرص أهالي دمشق على إنشائها في بيوتهم تساعد على تلطيف حرارة الجو.[3]

دار الخلافة: كانت أول بداية لإعادة التشكيل العمراني للمدينة في العصر الأموي على يد معاوية بن أبي سفيان، عندما قام بتشييد دار الإمارة جنوب المسجد الجامع[4]، وكانت مقراً لسكنه أيضاً يفصلها عن الجامع جدار ترك فيه باباً للمرور من مسكنه إلى مقصورة الجامع ، وقد سماها بالدار الخضراء[5]، نسبة للون طلائه ونقوشه وسكنها معاوية أربعين سنة.[6]

ولقد كان الجامع ودار الخلافة متصلين صلة وثيقة، لأن غايتهما متعلقة بخليفة المسلمين، أما الجامع فبحياته العامة وصلته بالرعية، وأما دار الخلافة فبحياته الخاصة، لذلك شُيدا جنباً إلى جنب في مكان

سمعان لخمس ليال بقين من رجب سنة 101هـ. ابن قليج، مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري المصري الحكري الحنفي: إكمال التهذيب الكمال في أسماء الدجال، ج10، تحقيق: أبوعبدالرحمن عادل محمد وآخرون، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م، ص91_93.

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج7، ص297.

[2] حسن، حسين الحاج: حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،1992م، ص418.

[3] الاصطخري: مصدر سابق، ص45.

[4] هو مسجد صغير متواضع الشكل بناه المسلمون عند فتحهم لمدينة دمشق، كان إلى جوار كنيسة القديس يوحنا المعمدان، ثم بنى بجواره معاوية بن أبي سفيان قصره المعروف بالخضراء.عبدالرؤوف، عصام الدين: الحواضر الإسلامية الكبري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976م، ص37.

[5] هو من المباني القديمة التى شيدها الرومان بدمشق، فجدده معاوية بن أبي سفيان إبان ولايته على الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وبناه معاوية بالطوب أولاً ثم أعاد بناءه بالحجر، وزينه بالذهب والمرمر والفسيفساء، ولطف جوه بالمياة الجارية والنوافير، وأحاطه بالحدائق الغناء. ابن عساكر: التاريخ الكبير، مصدر سابق، ج1، ص243.

[6] ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي: المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ج1، تحقيق: حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق، 1992م، ص216.

واحد،[1] وقد رغب معاوية رضي الله عنه في زيادة مساحة المسجد، وذلك بأن يضم إليه القسم الغربي من كنيسة القديس يوحنا فأبى النصارى ذلك، فأمسك معاوية عن ذلك،[2] وقد جعل أمام القصر اصطبلات أُطلق عليها دار الخيل، وعلى مقربة منها اجتمعت منازل أمراء بني أمية، وقامت كل هذه البنيات على الأسلوب التقليدي في البناء المحلي، فاستخدم فيها اللبن المجفف والحجارة،[3] ولم تكن أهمية هذه العمارة في قيمتها الهندسية، بل كونها جُمعت ملتصقة في قلب مدينة أكثريتها الساحقة من النصارى واليهود، فألفت بلدة إسلامية صغيرة، أصبحت مقراً لسُدة الحكم والخلافة، فغدت عنصراً مهماً في تطور دمشق.[4]

وقد ظل قصر الخضراء مركزاً لإدارة الدولة، ومقراً للخليفة حتى خلافة مروان بن الحكم،[5] ولما آلت الخلافة إلى عبدالملك بن مروان سنة 65هـ، كانت الخضراء ملكاً لخالد بن يزيد بن معاوية، فاشتراها منه عبدالملك بأربعين ألف دينار، واتخذها داراً للخلافة،[6] وسُميت بالدار وظلت على هذا الحال مقراً لحكم الأمويين حتى حتى خلافة سليمان بن عبد الملك، حيث رأى أن يتخذ مقراً آخر له بدلاً من الدار الخضراء التي تداعى بناؤها، فشيد قصراً بدرب محرز في موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء.[7] وصار هذا القصر داراً للخلافة حتى خلافة هشام بن عبدالملك الذي جعل من الرصافة مقراً لحكمه بدلاً عن دمشق.[8]

خطط الأهالي: وقد استقرت القبائل العربية عقب فتحهم دمشق، في الطرف الشمالي من المدينة في بادئ الأمر، وأقاموا في الدور التي هجرها الروم وغيرهم من سكان المدينة الأصليين عقب الفتح بالقرب من نهر بردي،[9] كما أقام البعض منهم في دور على مقربة من باب توما،[10] وفي مطلع العصر الأموي أنشأ العرب

---

[1] سوفاجيه: مرجع سابق، ص56.

[2] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص127.

[3] عبده، عبدالله كامل موسى: الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م، ص34.

[4] سوفاجيه: مرجع سابق، ص57.

[5] لما ولى مروان بن الحكم الخلافة سنة 64هـ، تزوج من أرملة يزيد بن معاوية، فاختة بنت أبي هاشم بن عقبة، واتخذ من قصر الخضراء مقراً له. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ص78.

[6] ابن عساكر: التاريخ الكبير، مصدر سابق، ج1، ص248.

[7] منيمنة، سارة حسين: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربي، العدد 49، السنة الرابعة، أكتوبر 1982م، ص239.

[8] المسعودي: مصدر سابق، ج2، ص129.

[9] ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج1، ص592.

[10] العيني، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج3، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص383.

العرب خططهم في الجهة الغربية من دمشق، حيث اتخذ الخليفة معاوية بن أبي سفيان قصره الخضراء مجاوراً لخطط أصهاره بنى كلب، واتخذ بنو أمية دُوراً مجاورة لقصر الخضراء،[1] أما اليهود والنصارى فقد استقر مقامهم في الجهة الشرقية من مدينة دمشق.[2] ثم توالت هجرات القبائل العربية إلى دمشق، فكانت قبيلة غسان من أولى القبائل العربية التي نزلتها في خلافة بني أمية، ثم كندة وقضاعة وقيس، وعلى ضوء هذا الاستقرار، توزعت القبائل العربية في دمشق والقرى المحيطة بها في الغوطة والمرج، وكان نزول اليمانية في دمشق منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ، فقد سكنها بنو كلب ونزلوا قرية المزة التي نسبت إليهم.[3] وكذلك وكذلك نزلها بنو السكسك بن آشرس في بيت لهب شرقي دمشق وبنوا فيها المنازل والقصور، وكان بنو تغلب بن وائل في قريتي دومة وحمنا،[4] ونزلت جماعة من اليمن في بانياس، وجماعة أخرى بين المزة ودمشق في في قرية عُرفت بصنعاء، وكانت داريا أكبر قرى اليمانية في الغوطة إبان العصر الأموي، أم قيس فكانت لهم قرى صكا وبراق وكفر بطنا وبلاس، واستقر في دمشق أيام الأمويين جماعة من بنى سليم، وبنو محارب بن فهر،والسكون وفزارة، وبنو ذو الدبس، ونفر قليل من جهينة ولخم وذبيان،[5]كما استقرت بها بعض القبائل الربعية فكانت تغلب بدومة وحرستا من قرى غوطة دمشق، ونزل قوم من حمير في قرية نسبت إليهم على نهر عند حى الشويكة،[6]وقد أدى ذلك إلى اتساع مساحة المدينة وتمدد أحيائها، و اتخذت القبائل التي لم تستقر بدمشق منازل لها في ظاهرها، حتى أصبحت هذه المنازل أشبه بقرى متصلة ببعضها بعضا، وترتب على ذلك اتصال العمران بين مدينة دمشق والقرى المحيطة بها و أشهرها الصالحية[7]،[8] كما أدت كثرة المهاجرين من العرب إليها إلى ازدياد عدد دورها وكان لذلك تأثير كبير على شوارعها المنسقة المتوازية،

---

[1] ابن عساكر، أبي القاسم ثقة الدين علي بن الحسن هبة الله بن عبدالله الشافعي: التاريخ الكبير، ج1، تحقيق: عبدالقادر بدران، مطبعة روضة الشام، دمشق، 1330هـ،ص243.

[2] قسطالي، نعمان أفندي: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1982م، ص72.

[3] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص32.

[4] محاسنة: مرجع سابق، ص44.

[5] نفسه: ص43.

[6] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص34.

[7] وهي مدينة عظيمة البناء، ممتدة على سفح جبل قاسيون على طول مدى يُشرف على دمشق، ذات أسوار شاهقة لها سبعة أبواب، وهي حسنة الترتيب، جليلة الأبنية، غوطتها أحد متنزهات الدنيا العجيبة المفضلة على سائر متنزهات الدنيا، وبها الجوامع والمدارس والزوايا والأسواق المرتبة، والديار المذهبة السقف، المفروشة بالرخام المنوع، ذات البرك والماء الجاري، وغالب بنائها بالحجر، وعناية أهلها بالمباني كثيرة، ويستعمل في عمارتها خشب الحور. القلقشندي، أبوالعباس أحمد بن علي: صبح الأعشى، ج3، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ص94_95.

[8] ابن عساكر: التاريخ الكبير، مصدر سابق، ج1، ص243_244.

ففقدت كثيراً من طابعها المدني والعمراني السابق لتلك الهجرات،[1]وقد احتفظ العرب بعاداتهم القبلية بعد نزولهم بدمشق وتجمعوا في المدينة حسب تقسيمهم القبلي، فكان لكل قبيلة خطة أو درب أو حمى خاص بها يضم منازلها وأسواقها ومساجدها، ويُطلق على هذه الأحياء خططاً أو دروباً، وهناك أسوار تفصل بين كل درب والآخر، وتنتهي هذه الأسوار إلى السور الكبير القائم حول المدينة، ومن ثم تحولت هذه الدروب إلى مدن صغيرة داخل دمشق، لها أبواب تغلق عند نشوب الفتن والإضطرابات الداخلية، فتنقطع بإغلاقها المواصلات بين دروب المدينة،[2] أما فيما يتعلق بمواد البناء فقد إعتمد أهل دمشق على مادة الطين في عمارة منازلهم، وذلك نسبةً لندرة الحجارة وبعد المقالع الحجرية، فكانت الأبنية الحجرية قليلة جداً، اقتصرت على المنشآت المعمارية المشيدة من قبل الخلفاء والأمراء والأثرياء، وقد شهدت دمشق إبان العصر الأموي أوج الازدهار العمراني، مما جعل منها مدينة متميزة وحاضرة تليق أن تكون عاصمة ومقراً للخلافة الإسلامية.[3] ولكن بالرغم من ذلك كان أمراء بني أمية لا يزالون متعلقين بالعروبة والحياة البدوية، حيث كانوا يتسللون إلى البادية في فصل الربيع، للاستمتاع بحياة البداوة التي أحبوها، وفي الوقت نفسه كانوا يأخذون بحياة التمدن فينعمون بالحمامات والموسيقى ومجالس الأنس والطرب، ونعيمهم بمدائح الشعراء البدو، ومظاهر الصيد في البوادي.[4]

الجامع الأموي: ويعد الجامع الأموي من روائع العمارة الإسلامية في العصر الأموي، وهو من أشهر جوامع الإسلام حسناً، و إتقان بناء، وغرابة صنعة، و أحفل تنميق وتزيين، ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج فيه العنكبوت ولا تدخله، ولا تلم الطير المعروفة بالخطاف.[5] وقد ذكره الجغرافيون والرحالة المسلمون ووصفوه وصفاً بديعاً في كتبهم،[6] شيده الوليد بن عبد الملك، وبدأ البناء في سنة 86هـ، واستمر فيه حتى وفاته سنة

---

[1] عبدالرؤوف: مرجع سابق، ص35..

[2] علي، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1938م، ص156.

[3] محاسنة: مرجع سابق، ص54.

[4] سوفيه: مرجع سابق، ص56.

[5] ابن جبير، أبوالحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، د.ت، ص174.

[6] وقد ذُكر في وصف مدينة دمشق أن مسجدها ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام والذهب، بناه الوليد بن عبدالملك في خلافته. اليعقوبي: مصدر سابق، ص78. ومما قيل في وصف المسجد الجامع بدمشق، وبها المسجد الجامع الذي ليس على الأرض مثله بناء ولا أحسن من صنعة ولا أتقن منه إحكاماً ولا أوثق منه عقداً وأغرب منه رسماً ولا أبدع منه تلميعاً بأنواع الفصفص المذهب والآجر المحكوك والمرر المصقول. الإدريسي، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس المحودي الحسني: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م، ص366_360.

96، وقيل: أنه قد جمع لدى عمارته أشهر البناة والمهندسين من الهند وبلاد فارس والمغرب وبلاد الروم، وقد أنفق عليه خراج الشام لسبع سنين،[1] وقيل: أن الوليد قال عند بناءه للجامع: " إني أُريد أن أبني مسجداً لم ينبنفيما مضى قبلي، ولن يأتي من بعدي من يبني مثله".[2]

وهنالك أسباب عديدة دفعت الأمويين لتشييد المسجد الجامع والمبالغة في النفقة عليه وتنميقه وتزيينه، حتى قيل: إن عجائب الدنيا أربع: " قنطرة سنجة ومنارة الإسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق"،[3] ومن أهم الأسباب: مجاراة النصارى ومضاهاتهم في بناء معابدهم كما يؤثر الخلفاء على العامة، ولئلا يقال: أن بيع النصارى أحسن فناً وأدق بناء و أجمل زخرفة من مساجد المسلمين،[4] وكذلك منافسة البيزنطيين في بنائهم أيضاً حباً بالظهور أمام الأغيار بمظهر القوة والغنى، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يود لو ينزع الحلي التي زين بها الوليد المسجد الجامع لتصرف على قضاء حاجات المسلمين وتنفق في مصالحهم، فما برحه الناس ممن سولت له أنفسهم ذلك حتى غير رأيه وقال: لا أرى مسجد دمشق إلا غيظاً على الكفار، فنزل عما كان همبه من نزع الحلية والزينة،[5] أما السبب الرئيس لبناء المسجد الجامع، فهو ضيق فناء الجزء الجزء الذي اتخذه معاوية للمصلين، وكان موضع هذا المسجد كنيسة يصلي بها المسلمون في ناحية منها والنصارى في ناحية، فلم يزالوا على ذلك حتى كثر عدد المسلمين في دمشق وتوافد الناس عليها من كل صوب في أيام الوليد، فطلب إلى النصارى أن يعطوه النصف المختص بهم مقابل أضعاف ثمنه، كما تعهد لهم ببناء كنيستهم في دمشق حيث شاءوا، فأبوا عليه، فهدمها مدعياً أن المسلمين الفاتحين قد أخذوا المدينة عنوة، وأضافها إلى المسجد،[6] وقد استمر العمل فيه حتى نهاية عهد الوليد سنة 96هـ، وهي السنة التي توفى فيها، فأتم بناءه ولي عهده وأخيه سليمان بن عبد الملك، وكان ذلك بعد عدة أشهر من وفاة الوليد،[7]

---

[1] عبدالحفاظ، عبدالله عطية: الآثار والفنون الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2005م،ص94.

[2] الريحاوي، عبدالقادر: قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني،ج1، وزارة الثقافة، دمشق، 2000م، ص120.

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج2، ص465_467.

[4] ونستشهد بما رواه المقدسي حينما سأل عمه معترضاً على كثرة الأموال التي أُنفقت على هذا الجامع، لو أنها أُنفقت على عمارة الطرق وترميم الحصون لكان ذلك أنفع للمسلمين، فكان جواب عمه قائلاً: " لا تفعل يا بني، إن الوليد وُفق وكشف له عن أمر جليل، وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى و رأى لهم فيها بيعاً حسنة قد افتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقمامة وبيعة لد والرها، فاتخذ للمسلمين مسجداً شغلهم به عنهن وجعله أحد عجائب الدنيا، ألا ترى أن عبدالملك لما رأى عظم قبة القمامة وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبة على ما ترى". المقدسي: مصدر سابق، 159.

[5] ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج1، ص210.

[6] النصولي: مرجع سابق، ص173.

[7] نويصر، حسني محمد: لآثار الإسلامية، مكتبة نضة الشرق، القاهرة، 1996م، ص127.

ويشكل الجامع الأموي، انطلاقة معمارية وفنية إسلامية جديدة، وكان أيضاً بمثابة نقطة تغيير من البساطة التي كانت مألوفة في تشييد المساجد السابقة، أو بعبارة أخرى فقد وضع الجامع الأموي مبادئ معمارية جديدة اتُبعت بعد ذلك في تشييد الكثير من الجوامع والعمائر الإسلامية الكبرى التي شيدت بعده في العالم الإسلامي.[1]

وقد بلغت مساحة المسجد من حيث الطول من الشرق إلى الغرب 300 ذراع، وعرضه من القبلة إلى الجوف 200 ذراع،[2] ويتكون الجامع من ثلاثة بلاطات مستطيلة من الشرق إلى الغرب، سعة كل بلاطة منها 8 أذرع، قائمة على 68 عمود منها 54 سارية لها أرجل جصية،[3] ولهذا الجامع ثلاث صوامع، إحداها بشرقه وهي من بناء الروم، وبابها داخل المسجد وبأسفلها مطهرة، وبيوت للوضوء، وتسمى المئذنة البيضاء أو مئذنة عيسى،[4] والثانية بغربيه وهي أيضاً من بناء الروم، وهي كالبرج المشيد، تحتوي على مساكن متسعة وزوايا فسيحة يسكنها الغرباء،[5] أما المئذنة الثالثة فتقع بالجانب الشمالي، وتسمى مئذنة العروس،[6]وللجامع العروس،[6]وللجامع أربعة أبواب، وهي باب البريد في الجهة الغربية، وباب جيرون في الجهة الشرقية، وباب الناطفيين أو الفراديس من الجهة الشمالية، والباب القبلي ويُسمى أيضاً بباب الزيادة وباب الساعات لأن عمل الساعات كان بجانبه، وكان على كل باب من أبواب المسجد موضأة وفوارات ماء.[7]

عدم سكن الخلفاء الأمويين بصورة دائمة في دمشق وقلة عمائرهم بها: كان اختيار دمشق عاصمة للدولة الأموية قد توافق مع العقلية العربية في سكن المدن، فهي مدينة حصينة ليس على السواحل فتكون عرضة للهجمات البحرية، بل هي في داخل واحة الغوطة الخصيبة، يغذيها نهر بردى وتحيط بها جبال معتدلة الارتفاع كجبل قاسيون،[8] ومن دمشق حكم الأمويون دولتهم، لكنها لم تكن العاصمة الرسمية للأمويين طول فترة حكمهم، بل كانت العاصمة الاسمية للدولة الأموية، باستثناء عهد معاوية حيث كانت العاصمة المطلقة، إذ لم يقم خلفاء بني أمية في دمشق بصورة دائمة ومستمرة، بل كانوا يقومون باختيار المناطق التي يحبون

---

[1] عبدالحافظ: مرجع سابق، ص94.

[2] ابن بطوطة: مصدر سابق، ج1، ص66.

[3] ابن جبير: مصدر سابق، ص185.

[4] بهنسي: الفن العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص43.

[5] نويصر: الآثار الإسلامية، مرجع سابق، ص126.

[6] ابن بطوطة: مصدر سابق، ص68.

[7] ابن جبير: مصدر سابق، ص190.

[8] عبدالمنعم، ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998م، ص24.

الإقامة فيها وكذلك فعل أولادهم وولاة عهودهم، وغالباً ما يبقي الخليفة في تلك المنطقة أو يتردد إليها بعد استخلافه،[1] ويرجع ذلك إلى أسباب خاصة بالأمويين منها انجذابهم نحو البادية حيث التمتع بالصحراء والبادية التي تنبع منها الملكات الفكرية وحسن الخيال، فهي مصدر الإلهام للشعراء والحكماء عند العرب،[2] ولهذا آثر خلفاء بني أمية أن يقصدوا البادية للتنعم بالراحة والهدوء، وتعليم أولادهم اللسان العربي الأصيل بعيداً عن لهجات وهجنة المدن،[3]و أيضاً من العوامل التي ساعدت على عدم استقرارهم بدمشق الهروب من من الأوبئة والطواعين،[4] فقد أعاقت هذه الأمراض استقرار المدينة، بسريانها فأهلكت الناس ودفعتهم إلى الانتشار، أو ربما خوف الخلفاء على أنفسهم من عمليات الاغتيالات التى يدبرها المعارضون والمتربصون بهم، وما أكثرهم في العصر الأموي،[5] لذلك لم يبذل الخلفاء المتأخرون من بني أمية جهوداً كبيرة لتجميل وعمارة مدينة دمشق، بل إن بعضهم لم يتخذ دمشق مقراً له، وقد مهد بعضهم حواضر لهم لتكون مستقرهم ومقامهم عند استخلافهم[6] فأنشأ سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة منذ أن كان ولياً للعهد أيام أخيه الوليد، واستكمل بناءها وجهزها في خلافته [7] كما رأى عمر بن عبد العزيز أن الابتعاد عن دمشق هو ابتعاد عن ملامح بني أمية وترفهم، ومنازلهم وقصورهم التي بنوها بمال الله وفئ المسلمين، لذلك ارتحل إلى خناصر [8] ومن استعرض أخباره يبدو أنه أطال المقام بها.[9]أما يزيد بن عبد الملك فقد ابتعد عن دمشق إهمالاً منه

---

[1] الأبراهيم، يسري صالح: مظاهرة القوة والضعف في العصر الأموي " 41 _ 132هـ / 662_ 750م"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2014م، ص90.

[2] زعرور، إبراهيم وعلي أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1995م، ص150.

[3] بهنسي، عفيف، الشام لمحات آثارية وفنية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م، ص80.

[4] ابن الأثير، أبوالحسن عزالدين علي بن محمد بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، 1987م، ص262.

[5] الإبراهيم: مرجع سابق، ص91.

[6] عبدالرؤوف: مرجع سابق، 37.

[7] البلاذري: مصدر سابق، ص149.

[8] هي بليدة من أعمال حلب، تحازي قنسرين نحو البادية، وفي حلب يذكرون الاسم ويفتحون الخاء "خَناصِر". ياقوت الحموي: الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج2، ص390.

[9] ابن سعد، أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي: الطبقات الكبرى، ج5، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص359.

لشئون الحكم وعدم الإكتراث لها، وفضل السكن في الموقر[1]من أرض البلقاء، وظل بها حتى مات ودفن بها،[2] وقد اتخذ هشام بن عبد الملك من الرصافة مقراً لحكمه [3] وبالرغم من هذا كله فقد ظلت دمشق العاصمة الاسمية للدولة الأموية، حتى جاء محمد بن مروان الذي قام بنقل العاصمة رسمياً إلى حران، حيث نقل مركز الحكم والخلافة وبيت المال [4] ومما لا شك فيه أن ترك الأمويين دمشق إلى سواها أدى إلى إضعاف مكانتها،[5]إلا أنها كانت موئلاً لآل البيت والفقهاء والشعراء في ذلك العصر.[6]

مدينة حلب:

وتُعد مدينة حلب من المدن الذاتية القديمة التي لم يؤسسها العرب المسلمون خلال الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي، إلا أن المسلمين عند فتحهم لهذه المدينة قد أضافوا إليها وحدات عمرانية مختلفة، لكن هذه الإضافات لم تتغير كثيراً من طبيعة المدينة القديمة.[7]ولقد اختلفت الآراء والتفسيرات حول أصل كلمة حلب وتسميت المدينة بها،[8]فهي من أمهات مدن الشام ومن أهم مراكزها التجارية والإدارية والسياسية على مر الأزمنة، فقد شكلت حلقة وصل بين بلاد الشام وبلاد فارس ومنطقة ما بين النهرين والبلدان الآسيوية الشرقية، من جهة الشرق وآسيا الصغرى وأوروبا الشرقية من جهة الشمال، وشواطئ البحر المتوسط من جهة الغرب،[9] أما موقعها الجغرافي فتقع مدينة حلب بين خطي طول"36–39"شرقاً، وخطي عرض "35–37"

---

[1] المُوقر بضم أوله وفتح ثانيه وثالثه المشدد، اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق، كان يزيد بن عبدالملك ينزله. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص226.

[2] ابن الأثير: مصدرسابق، ج4، ص367.

[3] اليعقوبي: مصدر سابق، ج3، ص37.

[4] عاقل، نبيه: خلافة بني أمية، ط4، دار الفكر، بيروت، 1983م، ص358.

[5] ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، ج9، ص145.

[6] بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، مرجع سابق، ص80.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص359.

[8] يقال إن هذه المدينة سُميت باسم بانيها الأول وهو حلب بن المهر من العماليق، وقيل إنها سُميت بقول العرب على نبى الله الله إبراهيم عليه السلام " حلب الشهباء"، حينما كان مقيماً في تل القلعة يحلب كل يوم بقرة له شهباء، ثم يوزع لبنها على منهم بجواره، وهذا الوجه الأكثر شهره في تسميتها عند أكثر الحلبيين. الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى البالي الحلبي: نهر الذهب في تاريخ حلب،ج1، المطبعة المارونية، حلب،1342هـ، ص12. ويرى آخرون أن الذي بناها هو بلوكس أحد ملوك الموصل، بينما يرى البعض أن بلقورس أحد ملوك نينوى هو الذي بناها أولاً. ابن شداد، أبوعبدالله عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ط3، دمشق، 1953م، ص12.

[9] ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله: زبدة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، الاسكندرية، 1997م، ص32.

شمالاً،[1] تقع بالاتجاه الشمالي لمدينة دمشق من أرض سوريا على ارتفاع "375-430" متر عن سطح البحر تحدها من الشمال الغربي مرتفعات جبلية يصل ارتفاعها إلى 1200متر، ومن الجنوب الشرقي بالصحراء وسبخة الجبول، كما يتخلل المدينة عدة أنهار حيث يجرى نهر الفرات في الشمال منها ونهر الساجور ونهر فويق ونهر الأسور بأقصى الشمال الغربي منها.[2]

ولما فتح المسلمون بلاد الشام، وتمكنوا من بيت المقدس وفلسطين، أمر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بأن يكون أبو عبيدة بن الجراح على شمال سوريا من حوران حتى حلب، وحرضه على فتح المدائن التي لم تكن قد خضعت لهم بعد [3] فسار أبو عبيدة حتى أتى قنسرين فخرج إليه أهلها مستسلمين فقبلهم بعد أن تعهدوا بدفع الجزية، ثم جاء إلى حلب وكانت ذات قلعة ولها أسوار وحصون منيعة لا يعادلها غيرها في الشام، وحاصرها حتى طلب أهلها الصلح والأمان فقبل منهم أبو عبيدة وصالحهم وكتب لهم عهداً بذلك، وكان ذلك عام 14هـ،[4] وسلمت المدينة أهلها وأحياؤها ومؤسساتها وتحصيناتها بموجب معاهدة الصلح، واستمرت حركة الحياة في الأحياء السكنية، وشهدت المدينة بعض التحسينات في أنظمتها الدفاعية، كما بُنيت بها عدة مساجد في أحياؤها المختلفة، وكان أولها بناء مسجد شعيب أو الغضائري في مدخل باب أنطاكية.[5]

مدينة حلب في العصر الأموي: ولقد نالت حلب استقراراً نسبياً خلال فترة الأمويين فشهدت نمواً عمرانياً واسعاً في عهدهم، فقد بنى مسلمة[6] بن عبد الملك بالقرب منها قصر بالناعورة،[1] بناه بالحجر الأسود

---

[1] الخالدي، أحمد أرشيد: المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن _ عمان، 2009م، ص141.

[2] الحمصي، فائز: حلب القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1983م، ص7.

[3] ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن ابي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،د.ت، ص573_582.

[4] ابن العديم: زبدة الحلب، مصدر سابق، ص18.

[5] الأسدي، خيرالدين: أحياء حلب وأسواقها، تحقيق: عبدالفتاح رواس قلعة جي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1984م، ص31.

[6] هو أبوسعيد مسلمة بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي الدمشقي الأمير الضرغام وقائد الجيوش الأموية، يلقب يلقب بالجرادة الصفراء، له فتوحات مشهورة ومواقف مشهودة مع الروم، حاصر القسطنطينية سنة 96هـ، وقد ولي إمارة العراقيين لأخيه يزيد، ثم أرمينية، توفي بالشام في سنة 120هـ/738م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج5، مصدر سابق، ص241.

الصلد، وحصناً بجواره بقى منه برج إلى زماننا هذا،[2] ثم بدأت مظاهر إعادة التشكيل العمراني لمخطط المدينة في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، فكان أول تشكيل عمراني يظهر هو إنشاء المسجد الجامع في ساحة المدينة العامة بدلاً من الأجورا أمام الكاتدرائية البيزنطية،[3] وقد تأنق سليمان في بنائه ليضاهي به جامع دمشق الذي بناه أخوه الوليد بن عبد الملك، وقد شيد المسجد من أحجار منشآت قديمة، وكان المسجد يتسم بالفخامة من الناحيتين المعمارية الزخرفية فقد ازدان بالفسيفساء والرخام، وقد وصفه الرحالة وصفاً دقيقاً في كتبهم،[4] حيث يمثل المسجد الأموي أشهر الآثار الباقية في مدينة حلب، فهو من أكثر مساجد المدينة بهاء إبان العصر الأموي، غير أن المسجد تعرض للتخريب عقب زوال الخلافة الأموية، حيث نقض العباسيون ما فيه من رخام وفسيفساء والآت ونقلوها إلى جامع الأنبار.[5]

أما عمارة البيوت والدور الحلبية فكانت في الخارج لها جدران عالية مرتفعة لا تعبر عما في داخلها من إبداع بسبب النزعة الشرقية الروحية عن العابر والجار، أما في الداخل فهي آيات من الإبداع والجمال، حيث تبدأ بالأبواب المزركشة بالرسومات والقناطر إلى الدهليز ومن ثم صحن الدار الذي تتوسطه بركة ماء بديعة الشكل مزركشة بالفسيفساء والحجر المنحوت.[6]

ولكن بالرغم من هذا كله، فإن مدينة حلب مقارنة بالدور الذي لعبته الأمصار الإسلامية الأخرى، فإنها لم تلعب دوراً مركزياً في النواحي السياسية والإدارية خلال فترة الحكم الأموي والعباسي حتى القرن الرابع للهجرة حيث اختارها الحمدانيون عاصمة لهم ومقراً لحكمهم وداراً لإمارتهم. وكان ذلك في سنة 333هـ-944م، فأصبحت مركزاً ادارياً مستقلاً، وصارت قصبة قنسرين فاجتذب الناس إليها من شتى الأماكن والأصقاع.[7]

---

[1] الناعورة: هي دولاب ذو دلاء أو نحوها، يدور بدفع الماء أو جر الماشية، فيخرج الماء من البئر أو النهر إلى الحقل، وهي موضع بين حلب وبالس، فيه قصر لمسلمة بن عبدالملك، مبنى من الحجارة ، وماؤه من العيون، وبينه وبين حلب ثمانية أميال. ياقوت الحموي: ج4، مصدر سابق، ص181.

[2] ابن العديم: زبدة الحلب، مصدر سابق، ص26.

[3] الشهري، علي بن سعيد بن علي: الفراغ التقليدي للأسواق في المدن العربية القديمة وتأثير تطورها على شكل المدينة المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى_ كلية الهندسة والعمارة الإسلامية، د.ت، ص78.

[4] ويقول ابن بطوطة واصفاً المسجد عندما زاره خلال رحلاته:"وقد أطافه بصحنه الواسع بلاط متسع مفتح كله أبواباً قصرية الحسن إلى الصحن، عددها ينيف على الخمسين باباً فيستوقف الأبصار حُسن منظرها، وتجتلي العيون منه أبدع منظر يكون في الدنيا، وحسن هذا الجامع المكرم أكثر من أن يوصف". ابن بطوطه: مصدر سابق، ص65_66.

[5] فارس، محمد كامل: الجامع الأموي الكبير بحلب تاريخه ومعالمه والآثرية، دار القلم العربي، حلب، 1995م، ص15_16.

[6] نطفجي، حسام: فن العمارة العربية الاسلامية وآثارها في حلب، المكتبة الجامعية، حلب، 2012م، ص18.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص376.

مدينة الرصافة "رصافة هشام":

والرصافة[1] مدينة قديمة بناها الروم في العهد البيزنطي في مطلع القرن السادس الميلادي وأطلق عليها اسم " مدينة سيرجيوس أو سيرجيوبولس" وهو أحد شهداء المسيحية الذي قتله الرومان في عام 305م، في عهد الأمبراطور ديوكلسيان فدفن بموضع الرصافة، فصار قبره محجة للنصارى في ذلك العصر، مما دعا الدولة البيزنطية إلى العناية بالمدينة وبناء الكنائس الضخمة فيها وإحاطة المدينة بسور حصين يحميها من الغزاة،[2] وكذلك قيل أنها مدينة رومية من أعمال حلب و اسمها بالرومية قطاميلا وبينها وبين العُذيب[3] أربعة وعشرون ميلاً، وبنيت فيها تحت الأرض صهاريج واسعة وعميقة تملأ بمياه الأمطار لتسد حاجة سكانها في حالات الحصار، وقد حاصرها الفرس مرتين ودمروها في عام 616م،[4] وقيل إنه النعمانبن الحارث بن الأيهم، أحد ملوك الغساسنة، هو من وضع صهريجها الأعظم، وهذا يؤذن بأنها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير.[5]

أما في العهد الأموي، فلما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة بعهد من أخيه يزيد، وبويع له بالخلافة لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة للهجرة، وكان حين مات أخوه يزيد، مقيماً بالرصافة من بلاد الشام في دار له صغيرة، فجاءته الخلافة على البريد فركب إلى دمشق، فكانت بيعته، ولما ولي الخلافة اختار الرصافة منزلاً ومقراً لحكمه،[6] وهي في غربي الرقة[7] وتبعد عنها نحواً من أربعة فراسخ.[8]

---

[1] رصاف بكسر أوله واخره فاء: اسم موضع، والرصاف جمع رصفة وهي حجارة مرصوف بعضها إلى بعض، والرُصافة بضم أوله، مشهور أن لم يكن كما اشتقاقه من الرصف وهو ضم الشئ إلى الشئ كما يُرصف البناء، والرُصافة في مواضع كثيرة، منها رصافة هشام ورصافة البصرة ورصافة قرطبة وغيرها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص46_47.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعالم الأثرية في البلاد العربية،ج2، مكتبة الاسكندرية، 1972م، ص 316.

[3] العُذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل فيه غير ذلك. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص92.

[4] ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، مصدر سسابق، ج1، ص13.

[5] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص113.

[6] القلقشندي، أحمد بن عبدالله الشهاب بن الجمال الغزاوي: مآثر الأنافة في معالم الخلافة، ج1، تحقيق: عبدالستار أحمد خراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص105.

[7] الرقة بفتح الراء وتشديد القاف، هي كل أرض إلى جنب وادٍ منبسط عليها الماء أيام المد ثم ينحدر عنها، فتكون مكرمة للنبات، فهي رقة، وهي مدينة تقع على الضفة اليسري لنهر الفرات قبيل التقائه نهر البليخ. الفيصل، نادية محسن عزيز: مدينة الرقة، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م، ص248.

[8] النصولي: مرجع سابق، ص177.

وتعددت الأسباب التي دفعت هشام من اتخاذ الرصافة مقراً له وحاشيته أثناء فترت حكمه، فقيل في ذلك أن خلفاء بنيأمية و أبناءهم يهربون من الطاعون فينزلون البرية، فعزم هشام على نزول الرصافة فقيل له: لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون، لم نر خليفة طعن، قال: أفتريدون أن تجربوا بي، فخرج إلى الرصافة، وهي برية فابتنى بها قصرين،[1] وقيل أن الخلفاء الأمويين ينزعون إلى الترف والرفاهية والتمتع بملاذ الحياة الهادئة، لذلك كان هشام بن عبد الملك يرتاد الرصافة لترويح الخاطر من عناء الأشغال، فينزلها في الصيف ويضرب بها السرادقات، لطيب هوائها، ومن هنا نسبت إليه فقيل رصافة هشام.[2]

كان الصرف على المشروعات العامة، من أهم وجوه الإنفاق في الدولة الإسلامية إبان العصر الأموي، وكان بناء المدن وتجديدها يأتي في مقدمة المشروعات، ومن ذلك إعادة بناء مدينة الرصافة بقنسرين، على يد الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي، حيث أخذت الرصافة شكلاً جديداً غير الذي كانت عليه قبل ذلك[3]فقام بإعادة بناء أسوارها وكانت مستطيلة الشكل، بها أبراج مختلفة الأشكال، ويدخل إليها من بابها الشمالي، وهو من أهم أبوابها و أجملها، غني بهندسته، رائع بزخرفته، نقشت قناطره وتيجان أعمدته و أطاريفه الحجرية نقشاً دقيقاً، ولسورها ممر مسقوف في داخله يتصل بمرامي النبال والأبراج، وفي أنحاء منه أدراج مزدوجة لتسلق طابقه العلوي من داخل المدينة، كما يتصل ببوابة السور الشمالية طريق مستقيم يخترق المدينة على جانبه أروقة تمتد من ورائها الحوانييت والمباني الرئيسة الهامة بالمدينة،[4] كما بنى بها هشام أبنية يسكنها، وليس عليها نهرٌ ولا عينٌ جارية وإنما يستقي أهلها من الصهاريج، وإذا فرغت هذه الصهاريج في مواسم الصيف، يرسل أغنياؤهم في طلب الماء من الفرات،[5] ويدين معظم سكان الرصافة بالنصرانية، ويعملون على تخفير القوافل وغزل الصوف ونسجه،[6] وكان لهشام موضع بالرصافة أفيح من الأرض يبرز فيه فتضرب به السرادقات فيكون فيه ستين ليلة بارزاً للناس مباحاً للخلق، لا يفني أيامه تلك إلا برد المظالم والأخذ على يد

---

[1] أبي الفدا، الملك المؤيد عمادالدين بن الأفضل بن المظفر بن المنصور: التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م، ص40.

[2] النصولي: مرجع سابق، ص177.

[3] الكبيسي، عبدالمجيد محمد صالح: عصر هشام بن عبدالملك " 105_ 125هـ/742_743م"، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد 1975م، ص336.

[4] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق،ج2، ص319.

[5] ويمضى أحدهم إلى الفرات العصر فيجئ بالماء في غداة غد، لأنه يمضى أربعة أو ثلاثة فراسخ ويرجع مثلها، وعندهم آبار آبار طول رشاء كل بئر مائة وعشرون زراعاً وأكثر، وهو مع ذلك مالح ردئ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص47.

[6] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، مصدر سابق، ص173.

الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد،[1] وكان هشام يؤثر الإقامة فيها على الإقامة بدمشق، وقد وافته المنية وهو في الرصافة لست خلون من ربيع الآخر سنة 125هـ، ثم بدأ شأن المدينة يضعف شيئاً فشيئا إلى أن دُمرت على يد التتار الذين اجتاحوا المشرق الإسلامي إبان القرنين 12–13م، فهجرت رصافة هاشم نهائياً.[2]

مدينة الرملة:

أصل التسمية: الرمل معروف من التراب، جمعه رمال، وواحدته رملة،[3] ويبدو أن اسم المدينة مأخوذ من الطبيعة الجغرافية لتربتها، حيث قيل إنها سُميت بذلك لغلبة الرمل عليه،[4] وقيل إنها سُميت بالرملة نسبة إلى إلى امرأة اسمها رملة، وجدها سليمان بن عبد الملك في بيت شعر في المكان الذي بنى فيه مدينة الرملة، إذ حل عندها ضيفاً فأكرمته، فسمى مدينته باسمها،[5]قد ربط بعض البلدانيين اسم الرملة مع مدينة لّد، بكلمة مركبة وهي "رملة لّد" وقيل أن مدينة لّد[6] كانت قبل الرملة فخربت بعمارتها، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

حموا منزل الأملاك من مرج راهط ****ورملة لّد أن تباح سهولها[7]

وكذلك عُرفت بمدينة الرملة البيضاء، حيث يقول أبو الحسن التهامي،[8]وهو من سكان مدينة الرملة:

أبا الفضل طال الليل أم خانني صبري **** فخُيل لي أن الكواكب لا تسري

أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت **** فدهري ليلٌ ليس يفضي إلى فجر[9]

---

[1] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري: الشعر والشعراء، صححه: أبوفراس السيد محمد بدرالدين النعساني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1369هـ، ص199_201.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق، ج2، ص319.

[3] الزبيدي: تاج العروس، ج29، مصدر سابق، ص97.

[4] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص160.

[5] القلقشندي: صبح الأعشى، ج4،مصدر سابق، ص103.

[6] لُد: هي أحدى كور فلسطين بالقرب من بيت المقدس، ويقال مدينة فلسطين القديمة كانت مدينة يقال لها لد، فلما ولي سليمان بن عبدالملك خربت مدينة لد فابتنى الرملة ونقل أهل لد إليها. ابن الفقية: أبوعبدالله أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، ج1، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996م، ص153.

[7] الهيثمي، الحافظ نورالدين أبو بكر بن علي: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج6، ط6، تحقيق: حسين سليم الداراني وعبده علي الكوشك، دار الفيحاء بيروت، 1992م، ص23.

[8] هو أبوالحسن علي بن محمد، من أهل تهامة، زار الشام والعراق وأقام في الرملة وولي خطابتها، وله ديوان شعر مشهور. اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، ج3، دار الكتب العلمية، 1997م، 23.

[9] التهامي، أبوالحسن علي بن محمد: ديوان علي بن محمد التهامي: مكتبة المعارف، الرياض، 1982م، ص286.

أهمية المدينة وموقعها الجغرافي: قسم البلدانيون والرحالة المسلمون الأرض إلى عدة أقاليم جغرافية، واتفق غالبهم على تحديد موقع الرملة ضمن الإقليم الثالث،[1] وهي واسطة فلسطين وقصبتها،[2] تقع في الاتجاه الشمالي الشرقي للقدس، إذ تبعد عن بيت المقدس ثمانية عشر ميلاً، وعن نهر إبي فطرس[3]اثني عشر ميلاً،[4] وعن البحر ثمانية أميال من جهة الغرب،[5] وبذلك تكون مدينة الرملة نقطة اتصال شمال فلسطين بجنوبه وذلك لوقوعها في منتصف السهل الفلسطيني، مما جعلها حلقة وصل بين بلاد الشام والديار المصرية وبلاد ما بين النهرين، وقد تدعمت أهمية المدينة بخصوبة تربتها وغزارة إنتاجها الزراعي، ويبدو أن هذه المميزات جعلت منها عاصمة لفلسطين ومقراً للحكم والإدارة،[6] فقد حرصت معظم القوات التي سيطرت على على بلاد الشام وخاصة فلسطين اتخاذها نقطة ارتكاز وانطلاقاً لقواتها، فمنذ نشأتها إبان العهد الأموي وهي مركز لجند فلسطين،[7] فضلاً عما شهدته من تطور و ازدهار حتى أصبح يُطلق على فلسطين اسم الرملة وعلى الرملة اسم فلسطين.[8]

وتقع المدينة على ارتفاع 75 متراً فوق سطح البحر على خط عرض $\overline{56}$ و31° شمالاً وخط طول $\overline{52}$ و34° ضمن إقليم حوض البحر الأبيض المتوسط، كما تمثل المدينة نقطة تقاطع بين البيئة الساحلية والجبلية، أما مناخها فيتصف بالاعتدال ويتبع لمناخ حوض البحر الأبيض المتوسط، وبناء على ذلك فإن مناخها يتميز باعتدال درجة حرارته وتدني مدى الحرارة بين الليل والنهار وبين الصيف والشتاء.[9]

---

[1] الهمداني، أبومحمد الحسن بن علي بن أحمد يعقوب بن الحائل: صفة جزيرة العرب، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م، ص39.

[2] العليمي، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العمري: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، تحقيق: عدنان يوسف، مكتبة دنديس، الأردن_ عمان، 1999م، ص67.

[3] وهو نهر قرب الرملة، مخرجه من أعين في الجبل المتصل بنابلس ويصب في البحر بين مدينتى أرسوف ويافا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، مصدر سابق، ص315.

[4] اليعقوبي: مصدر سابق، ص166.

[5] البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص633.

[6] الخطيب، حامد: قصة مدينة الرملة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلسطين، د.ت، ص11_12.

[7] الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، دار الهدي، كفر قرع _ فلسطين، 1991م، ص395.

[8] هاشم صائب محمد: مدينة الرملة في كتب الرحالة والبلدانيين المسلمين، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت_ كلية التربية للعلوم الإنسانية، فلسطين، د.ت، ص16.

[9] الخطيب: مرجع سابق، ص 13_ 14.

نشأة المدينة ودافع بنائها: بنيت مدينة الرملة عام "716م–98هـ" على يد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، حيث كان والياً على جند فلسطين في أيام أخيه الوليد،[1] فنزل مدينة لّد، فلم تعجبه ولم ترق له الإقامة فيها، حيث يغلب عليها طابع غير إسلامي، ولم يكن من المنتظر أن يتخذها المسلمون قاعدة لهم في فلسطين،[2] فأراد سليمان اتخاذ مركز يتميز بطابع إسلامي، فاختط الرملة بدلاً عن اللّد، وتم بعد ذلك نقل السكان من اللّد إليها بعد أن هُدمت معظم مساكنها بسبب رحيل أهلها إلى الرملة،[3] وتعد الرملة المدينة الثالثة التي شيدت في العصر الأموي، كما أنها أول مدينة جديدة أنشأها العرب المسلمون في بلاد الشام.[4]

وتختلف مدينة الرملة من حيث أسباب إنشائها عن المدن الإسلامية السابقة لها، والتي تتصف بالطابع العسكري،[5] فهنالك عوامل عديدة دفعت سليمان بن عبد الملك لبنائها، وتتمثل هذه العوامل في الآتي: العامل الديني، حيث قِيل إن سليمان بن عبد الملك كان على خلاف مع نصارى اللّد حول قطعة أرض ترجع إلى الكنيسة لهم،[6] وقد انزعج سليمان من تصرف النصارى في ذلك الأمر، فأشار[7] عليه مستشاره الخاص الخاص رجاء[8] بن حيوة ببناء مدينة جديدة بالقرب من اللّد، وقِيل إن سليمان عندما اختط الرملة وشرع في بناء مسجدها أراد هدم كنيسة اللّد وأخذ رخامها وعمدها لجامع الرملة، فأقنعه رجاء بن حيوة بعدم فعل ذلك، فعدل سليمان عن رأيه.[9] وقِيل إن سليمان قد بنى مدينة الرملة لأسباب سياسية عسكرية وإدارية، وذلك نسبة

---

[1] يسري صالح الإبراهيم: مرجع سابق، ص293.

[2] أبوليل، عبدالرزاق: قصة مدينة اللد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلسطين، د.ت، ص16.

[3] الخطيب: مرجع سابق، ص29.

[4] البلاذري: مصدر سابق، ص149.

[5] زعرور: مرجع سابق، ص232.

[6] الخطيب: مرجع سابق، ص29.

[7] بعد خلاف سليمان بن عبدالملك مع النصارى، خرج يسير ومعه رجاء بن حيوة حتى وصلا موضعاً خارج مدينة اللد، فقال: فقال: رجاء لسليمان: لو أمرت ببناء مسجد هاهنا للمسلمين ودير للنصارى، وأمرت في النداء بالناس من أحب أن يكون في حمى من المسلمين والنصارى، فليبن داراً إلى جانب مسجده وديره، لصارت مدينة، ولتعطلت الكنيسة بالدير...، ففعل سليمان. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ، ص559.

[8] هو أبو نصر رجاء بن حيوة الكندي، من التابعين، أحد كبار فقهاء الشام وعلماءها، عمل مستشاراً لبعض خلفاء بنى أمية، توفي في سنة 112هـ/730م. ابن دريد، أبى بكر محمد بن الحسن الأزدي: الإشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص368.

[9] العمري: ج3، مصدر السابق، ص559.

نسبة لموقعها الجغرافي المتميز،[1] حيث اتخاذها مقراً له أثناء فترة خلافته، وجعلها عاصمة لجند فلسطين، وقد امتدت أهمية المدينة لعهود تلت العصر الأموي ولعبت دوراً عسكرياً هاماً في فترة الحروب الصليبية إبان القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين.[2] وكذلك موقعها الجغرافي المتميز، من حيث التربة الخصبة والإنتاج الزراعي الوفير، بالإضافة إلى أن بها ملتقى طرق تجارية هامة ذلك مما عزز من رغبة سليمان في بنائها واتخاذها مقراً له،[3] ويقول البعض إن سليمان بناها لأسباب شخصية[4] محضة بغية الشهرة وتخليد الذكرى بإنجاز حضاري معين، كما دأب قبله خلفاء بنيأمية، وذلك مما يدل على الرخاء الاقتصادي والتقدم الحضاري الذي اتسمت به عهود الخلفاء العظام من بني أمية.[5]

ويقول البعض[6]بأن تاريخ وجود المدينة يعود إلى عصور ما قبل الإسلام، و أنها ذُكرت في التوراه باسم " أريماثيا- الرامة أو آرام" وأنها كانت مأهولة بالسكان أثناء الفتح الإسلامي، فحين تسلم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة القدس، عين علقمة[7] بن حكيم على نصف فلسطين واتخذ الرملة مقراً له، وهذا يسبق بناءها على يد سليمان بأكثر من سبعين سنة،[8] ويستدل أصحاب هذا الرأي بأن مدينة الرملة قد

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج3، مصدر سابق، ص69.

[2] محمد: مرجع سابق، ص374.

[3] الخطيب: مرجع سابق، ص12_15.

[4] إذ صرح سليمان عن رغبته بذلك قائلاً:" إن أمير المؤمنين يعنى عبدالملك، قد بنى مسجداً على هذه الصخرة ببيت المقدس فعُرف له ذلك، وأن الوليد بنى مسجد دمشق فعُرف له ذلك، فلو بنيت مسجداً ومدينة ونقلت الناس إليها" فبنى مدينة الرملة ومسجدها، وكان ذلك سبباً في خراب لُد. الحميري: الروض المعطار، مصدر سابق، ص568.

[5] الخطيب: مرجع سابق، ص14_ 15.

[6] يقال: بناها سليمان بن عبدالملك، أي جدد بناءها، وعمر ماخرب منها، وإلا فهي مدينة قديمة. ابن النابلسي، عبدالغني بن إسماعيل: الحقيقة والمجاز في رحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، 1986م، ص400.

[7] هو علقمة بن حكيم الفراسي، ممن أدرك النبي ﷺ، شهد اليرموك، وجهزه أبوعبيدة من مرج الصفر، مسلحة بين دمشق وفلسطين، وذُكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، استعمله على الرملة، وأن عمرو بن العاص أقره على قتال إيليا، واستدركه ابن فتحون. ابن حجر، أبوالفضل أحمد بن على العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ص105.

[8] مخلص، عبدالله: مئذنة الجامع الأبيض في الرملة، المطبعة الأدبية، بيروت، د.ت، ص16_17.

ورد ذكرها في كُتب التفسير[1] لقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[2].

تخطيط المدينة: تأثر التصميم العمراني لمدينة الرملة بترتيب وتخطيط المدن الشامية الأخرى، فجاء مشابهاً لها، حيث كان يقسمها شارعان رئيسان يتقاطعان في الوسط بزاوية قائمة، و اتخذت كل قبيلة حياً خاصاً بها، وتوسط المسجد ودار الإمارة المدينة، كما انتشرت الصنائع داخلها وفق نظام الاختصاص، وتُسقى المدينة من عين تُجر مياهها بواسطة قناة بردة[3] التي شقها سليمان بن عبدالملك، وتصب المياه في صهريج رئيس يقع وسط المدينة ويشرب منه أهالي المدينة، وبقيت هذه القناة صالحة حتى العصر العباسي.[4] وعندما أحدث سليمان المدينة وكان أول ما بنى منها قصره والدار التي تُعرف بدار الصباغين وجعل بها صهريجاً متوسطاً لها لتخزين مياه الأمطار، وقيل أن الطوب و الحجر المنحوت يعدان من أهم المواد الأساسية المستخدمة في بناء دور مدينة الرملة.[5]

المسجد الجامع: وقد اهتم الأمويون بعمارة وبناء المساجد فكتب لها البقاء والخلود، وذلك لحسن اعتنائهم بها وشدة التركيز على بنائها واتقانها، حيث بدأت المساجد تخرج من بساطتها المعمارية التي كانت معهودة في العهد النبوي وفترة الخلافة الراشدة، حتى وصلت إلى المستوى الهندسي الرفيع الذي أبرزه الأمويون من خلال عِمارة مسجد قبة الصخرة بالقدس والجامع الأموي بدمشق،[6] فعندما شرع سليمان بن عبدالملك في تخطيط المدينة كان أول شيئٍ بدأ ببنائه بعد دار الإمارة، هو المسجد الجامع والذي عُرف بعد ذلك بالجامع الأبيض،[7] وكلف كاتبه البطريق[1] بن النكا للإشراف على عملية البناء، وتعتبر مئذنته من أضخم الأبراج

---

[1] اختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفة الله تعالى بهذه الصفة، وآوى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين، وروي عن أبى هريرة رضى الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: في قوله تعالى:﴿.... وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾، قال: هي الرملة من فلسطين. الطبري: جامع البيان، ج19، مصدر سابق، ص37.

[2] سورة المؤمنون: الآية 49.

[3] هي من أهم مصادر المياه بمدينة الرملة، فقد كلف سليمان بن عبدالملك كاتبه النصراني البطريق بن النكا، بالإنفاق عليها، وقد اختطت القناة بالقرب من نهر أبى فطرس وهو أقرب الأنهار إلى الرملة، وكان بنو أمية ينفقون على هذه القناة، فلما جاء بنو العباس أنفقوا عليها، وأوقفوا ذلك نسبة لكثرت التكاليف. ابن الفقيه: مصدر سابق، ص152_ 153.

[4] الخطيب: مرجع سابق، ص31.

[5] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص104.

[6] بهنسي: الشام لمحات آثارية، مرجع سابق، ص133_134.

[7] يعد جامع الرملة أبهى و أرشق من جامع دمشق، ويسمى بالجامع الأبيض، وليس في الإسلام أكبر من محرابه، ولا يعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره، وله منارة باهية بناها هشام بن عبدالملك، و أرض المغطى مفروشة بالرخام والصحن

الشرقية، ولا تعادلها إلا مئذنة الجيرالده[2] في إشبيلية بالأندلس،[3] ومازالت مئذنة الجامع الأبيض، قائمة إلى يومنا هذا، شاهداً على إتقان وعظمة فن العمارة الإسلامية إبان العصر الأموي،[4] وقد توفي سليمان قبل إتمام بناء المسجد، فلما تولى عمر بن عبد العزيز أتم بناه بعد أن أنقص من الخطة التي وضعها سليمان قائلاً: أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت عليه.[5]

أما خطط الأهالي: فبعد أن بنى سليمان قصره ودار إمارته في مدينته الجديدة أذن للناس بالبناء فيها، فبنوا مساكنهم فكانت مدينة الرملة،[6] إلا أن عدد الذين انتقلوا إليها كان قليلاً جداً، إذ أنهم لم يكونوا متحمسين للانتقال إليها، الأمر الذي دفع سليمان إلى اتخاذ قرارات صارمة بحقهم، مما أجبرهم على ترك اللّد والانتقال إلى الرملة، فكان ذلك سبباً في خراب مدينة اللّد، وقد تأثرت خطط الرملة بخطط مدينة اللّد من حيث تقسيم الأحياء، وذلك لأن سكان اللّد الذين سكنوا الرملة ربما سكنوا على نفس خططهم في اللّد بحيث سكنت كل قبيلة أو مجموعة حياً من أحيائها،[7] وقيل أن معظم سكان الرملة و ماحولها من عرب بنى لخم وكنانة، أما البقية فهو خليط من العجم والسامرين،[8] فأخذوا ببناء دورهم في الأحياء المخصصة لهم، التي كانت واسعة فسيحة مبنية من الحجارة المنحوتة والطين،[9] وبعد ذلك أخذت المدينة في التوسع والازدهار، فازدادت

بالحجارة المؤلفة و أبواب المغطى من الشربين والتنوب وهي في غاية الحسن والبهاء. المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص164_163.

[1] هو نصراني من أهل مدينة اللُد، أسند إليه سليمان بن عبدالملك مهمة الإشراف على بناء مدينة الرملة. البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص145.

[2] وهي منارة جامع اشبيلية الذي بناه الموحدون في عام 1184م، وقد تم بناء صومعة هذه المنارة في عام 1188م. ابن صاحب الصلاة، أبو محمد عبدالملك بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الباجي: المن بالإمامة لإبن صاحب الصلاة " تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عصر الموحدين"، ط3، تحقيق: عبدالهادي التازي، دار المغرب الاسلامي، بيروت،1987م، ص510_513.

[3] بهنسي: الشام لمحات آثارية، مرجع سابق، ص134.

[4] بهنسي،عفيف: جمالية الفن العربي،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979م، ص130. ملحق رقم (2)، ص231.

[5] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص145.

[6] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص150.

[7] اليعقوبي: مصدر سابق، ص166.

[8] الخطيب: مرجع سابق، ص38.

[9] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص143.

العمائر التابعة لها والمنتشرة بظاهرها، ذلك مما أدى إلى استمرار مركزية المدينة وجعلها عاصمة لجند فلسطين لمدة أربع قرون متتالية.[1]

و أما أسواقها، فقد بنيت بجوار المسجد الجامع، وكانت أربعة أسواق متصلة، وكل واحد يبدأ من وسطها حيث الجامع وينتهي إلى باب من سورها الخارجي، وهي سوق البصالين وسوق القماحين وسوق الصياقلة وسوق القطانين والخرازين،[2] وقد أجمع المؤرخون والجغرافيون على أن المدينة كانت تنعم بالازدهار والرخاء، والرخاء، حيث تنتشر البساتين بين جنباتها وتكثر فيها الحمامات والآبار والأسواق العامرة والصناعات اليدوية المختلفة كصناعة السروج والأحذية والملابس.[3]

ومنذ نشأة المدينة، أصبحت الحوانيت والأسواق التجارية قرب مركز المدينة حيث يقع الجامع الكبير ودار الإمارة وقصر الخليفة سليمان وقد وزعت هذه الأسواق التجارية وفق الحرف والصناعات، وأقيمت بجوارها الفنادق والحمامات والمطاعم، ومن هنا يتضح وجود الأسواق المتخصصة في المدن الإسلامية، والتي تبدأ من الأسور وتنتهي إلى مراكز المدن، حيث يعد هذا النمط هو النمط السائد في تخطيط وبناء المدن الإسلامية إبان تلك الفترة وبخاصة في مناطق الثغور الإسلامية.[4]

---

[1] الدباغ: مرجع سابق، ص428_ 431.

[2] محمد: مرجع سابق، ص383.

[3] مخلص: مرجع سابق، ص5_7.

[4] الخطيب: مرجع سابق، ص56_ 57.

المبحث الثاني

تجديد وبناء المدن في شمال أفريقيا

مدينة الفسطاط

أصل التسمية: الفسطاط في اللغة ضرب من الأبنية دون السرادق، وقيل هو بيت من الشعر، والفسطاط المدينة أو المصر الذي يجتمع فيه الناس،[1] وقد تضاربت أقوال الباحثين حول سبب إطلاق اسم الفسطاط على مدينة المسلمين الجديدة بمصر، وقيل أن عمرو بن العاص لما أراد المسير إلى الأسكندرية أمر بفسطاطه أن يرفع، فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرمت بجوارنا،فأقر الفسطاط في موضعه، فلما فرغ من فتح الأسكندرية، رجع إلى موضع فسطاطه و أختط به لكل قوم خطة بنوا فيها، فسُميت بالفسطاط،[2] وقيل أن الفسطاط لفظة عربية تطلق على المدينة ومجتمعها، وقد أطلق المسلمون على المدينة التي أسسوها في مصر اسم الفسطاط بمعنى المدينة كما أُطلق على البصرة أيضاً الاسم نفسه سابقاً،[3] ويعتقد البعض أن كلمة الفسطاط قد اشتقت من أصل يوناني "فسطاطوم/Fostatum" ومعناه المدينة الحصينة فأخذها العرب وحرفوها إلى فساط ثم فسطاط.[4]

الموقع ونشأة المدينة: بُنيت مدينة الفسطاط بموضع فضاء ومزارع بين النيل والجبل الشرقي الذي يُعرف بجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصين يُعرف بقصر الشمع، حيث كانت ترابط الحامية الرومانية،[5] يحدها من الشمال فم الخليج وجبل يشكر، ومن الجنوب ساحل آثر النبي، ومن الشرق سفح جبل المقطم ومن الغرب يحدها النيل،[6] وهي أول مدينة اختطها المسلمون بمصر بعد الفتح الإسلامي سنة 21هـ/642م،[7]حيث أراد عمرو بن العاص بعد فتحه الإسكندرية أن يتخذها حاضرة له، إلا أن الخليفة عمر عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك، وأمره ببناء مدينة جديدة لا يفصله عن المسلمين فيها ماء في شتاء ولا

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص181.

[2] القزويني: أخبار البلاد، مصدر سابق، ص236.

[3] الباشا، حسن: القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م، ص14.

[4] فيصل، شكري: المجتمات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1952م، ص14

[5] المقريزي، أبوالعباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسني العبيدي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ص286.

[6] الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص307.

[7] عزب، خالد: الفسطاط النشأة الازدهار والانحسار، دار الآفاق، القاهرة، 1998م، ص18.

صيف، فتحول عمرو من الأسكندرية إلى موضع الفسطاط،[1] وشيد المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق، وشيدت خطط القبائل حول المسجد الجامع ودار الإمارة على غرار خطط قبائل البصرة والكوفة.[2]

الفسطاط وعمارتها في العصر الأموي: وقد تمثل عمران الفسطاط في العصر الأموي في ظاهرتين أساسيتين، أولاهما، امتداد عمراني للمدينة في الجهة الغربية، وذلك نتيجة انحسار شاطئ النيل الشرقي وما تخلف عنه من طرح النيل عام 69هـ/ 688م، فأضاف إلى المدينة مساحة عمرانية جديدة أقيمت فيها العديد من المباني والمنشآت،[3] وتتمثل الثانية، في قدوم العديد من القبائل والبطون العربية إلى الفسطاط مصاحبة للأسرة الأموية، بالإضافة إلى عملية التوالد والتكاثر المستمرة للقبائل القائمة بالفعل بالفسطاط منذ الفتح العربي، وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه الظاهرة إلى ازدياد في عمران المدينة واتساع في نطاق الخطط وازدحامها بالعمائر.[4]وقد بدأت النهضة العمرانية بالفسطاط في العصر الأموي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان، حيث قام واليه على مصر عقبة [5]بن عامر الجهني ببناء مقياس[6]للنيل بأرمنت سنة 64هـ/667م، 64هـ/667م، وظل مستخدماً حتى بنى عبدالعزيز [7]بن مروان مقياساً آخر بحلوان سنة 80هـ/699م وكان

---

[1] ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله المصري: فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ، ص91.

[2] عبده، عبدالله كامل موسى: المسلمون آثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص146.

[3] الحسيني، محمود حامد أحمد: التطور العمراني لعواصم مصر الإسلامية " الفسطاط _ العسكر _ القطائع" حتى نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، 1987م، ص192.

[4] نفسه: نفسه.

[5] هو أبو حماد عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي الجهني، صحابي جليل أسلم بعد الهجرة، كان عالما مقرئا فصحيا فقيها فرضيا شاعرا كبير الشأن، ولي الجد بمصر لمعاوية، توفى بمصر ودفن بها سنة 58هـ.الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج2، ص46.

[6] المقياس هو منشأة معمارية مخصصة لقياس نسبة فيضان النيل، وتحذير الناس من قلة المياة ليتزودوا منها ويحتاطوا، أو لوفرتها وقدومها بعد جفاف ليستبشروا بقدوم فصل مطير وفير المياة فيطمئنوا. ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله فتوح مصر وأخبارها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص16.

[7] هو عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي، ولاه والده مروان صلاة مصر وخراجها سنة 65هـ، و دامت ولايته حتى وفاته في سنة 86هـ. الكندي، أبى عمر محمد بن يوسف: تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م، ص42_ 49.

صغير الأذرع، وفي عام93هـ/711م بنى أسامة[1]بن زيد التنوخي مقياساً آخر للنيل في الطرف الجنوبي من جزيرة الروضة[2]، وهو أكبر هذه المقاييس فلما خرب بنى مقياساً آخر بالجزيرة أيضا وكان ذلك في عام 97هـ/716م،كما بُنيت بها أيضاً دارٌ للصناعات البحرية،[3] وفي عام 65هـ/ 682م قام الأمويون بحفر خندق حول مدينة الفسطاط،[4]وإليهم يُنسب إنشاءأول بيمارستان إسلامي في مصر بدار أبي زبيد بزقاق القناديل في الفسطاط.[5]ومن الدور التي شيدها الأمويون بالفسطاط دار الضيافة، وهي التي بناها عبد العزيز بن مروان، وهي تمتد من درب الخشابين إلى الحمام الذي بالخشابين وكان يُنزل بها كبار الزوار وأضيافهم المهمين،[6] ودار النحاس،[7] والدار البيضاء،[8] ودار الحصر،[9]وقصر مارية،[1] ومن الحمامات الحمامات التي شيدوها بالفسطاط حمام السوق الكبير،[2] وحمام سوق وردان،[3]وحمام سهل.[4]

---

[1] هو أسامة بن زيد التنوخي، ولي خراج مصر للوليد وسليمان ابنى عبدالملك بن مروان، وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق بجزيزة فسطاط مصر. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي: المتفق والمفترق، ج1، دار القادري، 1997م، بيروت،ص153.

[2] كانت جزيرة الروضة معروفة عند الفتح الإسلامي لمصر باسم الجزيرة لوقوعها في مجرى النيل وبجزيرة مصر، وجزيرة الفسطاط لوقوعها تجاه مدينة الفسطاط وبجزيرة الصناعة لوجود صناعة السفن الحربية بها، وكان بها الكثير من الصناع والملاحين المهرة من أهل البلاد الأصليين الذين أمدت بهم الدولة الأموية دور الصناعة في المشرق والمغرب. عبده: الأمويون و آثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص266.

[3] الكندي: مصدر سابق، ص38-40.

[4] كان هذا الخندق بالقرافة، وقد دثر وعلى شفيره قبر الإمام الشافعي رضى الله عنه، وكان يمتد من النيل إلى الجبل، حفر مرتين مرة في خلافة مروان بن الحكم، والثانية في خلافة الأمين بن هارون الرشيد. المقريزيالخطط،ج2، مصدر سابق، ص158.

[5] ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي: الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، ج1، المكتب التجاري، بيروت، د.ت، ص99.

[6] نفسه: ص11.

[7] كانت هذه الدار من خطة الأزد، فاشتراها عمر بن مروان وبناها وظلت في يدي بنيه حتى سنة 308هـ/920م، ثم صارت إلى شمول الأخشيدي فحولها إلى قيسارية وحماماً. الحسيني: مرجع سابق، ص220.

[8] هي الدار التى بناها مروان بن الحكم، عندما قدم مصر، فقال: ماينبغى للخليفة أن يكون ببلد لايكون له بها دار، فبنيت له في شهرين، بصحناً بين المسجد و دار عمرو بن العاص، كانت مربطاً لخيل المسلمين. ابن عبدالحكم: مصدر سابق، ص107.

[9] تعرف بدار الأنماط القديمة، وهي خطة لابنى أبى ذر جندب بن جنادة الغفاري رضى الله عنه، فاشتراها منهما عبدالعزيز بن مروان ووهبهالابنه سهيل بن عبدالعزيز. ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص7.

وقد اشتهرت فترة ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر بالنهضة العمرانية، ففي عام 67هـ/686م شرع عبدالعزيز في بناء مدينة حلوان[5]، بهدف أن تكون متنزهاً له، وليقيم فيها للراحة والاستجمام،[6] ولكن ظهور الطاعون في الفسطاط عام 70هـ، جعله يتخذ من حلوان مقراً للحكم و داراً للإمارة، وكان قد شيد بها القصور والدور وزرع بها البساتين وغرس الكروم والنخل، وأسكنها رجاله وأعوانه،[7] وظل بها حتى وفاته سنة 86هـ/705م،[8] وفي عام 69هـ/688م ظهر أول طرح للنيل إبان العصر الأموي، فأستغله الأمويون وأهل المدينة من بعدهم في البناءوالتشييد عليه،[9] فقام عبد العزيز بن مروان، ببناء قنطرة على خليج أمير المؤمنين،[10] وكتب عليها اسمه، ثم تتابعت الإصلاحات عليها وظلت قائمة حتى القرن الرابع الهجري، فلما انحسر النيل عن ساحل مصر أُهملت هذه القنطرة، وشُيدت قنطرة أخرى عند فم بحر النيل،[11]وبذلك فقد استكملت خطط الفسطاط عمرانها إبان العصر الأموي، إذ وجدت العناصر السكانية الجديدة في الفراغات

---

[1] قيل إن هذا القصر كان خطة لابن رفاعة الفهري فوهبه لعبدالعزيز بن مروان، فبناه لأم ولد رومية، يقال لها مارية فنسب إليها. ابن عبدالحكم: مصدر سابق، ص112.

[2] هو من الحمامات العامة، بجوار حمام المذكورة وهي خطة خولان الذي حازه الوليد بن عبدالملك وتعرف بحمام صافي، وقد انتلقت إلى يد بنى الحباب. ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص105.

[3] يعد من الحمامات العامة، كان من أقطاع مسلمة بن مخلد الأنصاري، ثم صار إلى بنى أبى بكر بن عبدالعزيز بن مروان من قِبل أمهم. ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص106.

[4] يعد من الحمامات الخاصة، وهو بدار سهل التي فيها السراجين وحمام سهل كان لعبد الله بن عمرو بن العاص فوهبها لابنته أم عبد الله فتزوجها عبد العزيز بن مروان فاولدها سهيلًا وسهلًا فورثاها من امهما. بن عبد الحكم: مصدر سابق، ص112.

[5] حلوان وهي قرية من أعمال مصر، بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد مشرفة على النيل، وبها دير ذكر في الديرة، وكان أول من اختطها عبد العزيز بن مروان لما ولي مصر، وضرب بها الدنانير، وكان له كل يوم ألف جفنة للناس حول داره. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٣.

[6] عزب: الفسطاط، مرجع سابق، ص36.

[7] ابن تغر بردي، أبو المحاسن جمال الدين: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، وزارة الثقافة، القاهرة، 1963م، ص173.

[8] الكندي: مصدر سابق، ص48.

[9] عبده : الأمويون و آثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص218.

[10] هو الخليج الذي احتفره عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فساقه من النيل إلى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن محملة بالطعام إلى مكة والمدينة، ولم يزل على ذلك حتى ضيعته الولاة فترك وغلب عليه الرمل. ابن عبد الحكم: مصدر سابق، ص164.

[11] المقريزي: الخطط، مصدر سابق، ج2، ص177_ 178.

داخل الخطط مساحات لسكانها، حيث تحولت الفسطاط من نمط المدينة العسكرية، إلى النمط التمدني الذي تحقق باختلاط السكان باختلاف أجناسهم و أعراقهم.[1]

المسجد الجامع" جامع عمرو بن العاص": ويقال له تاج الجوامع، وهو أول مسجد أسس بديار مصر في الملة الإسلامية بعد الفتح،[2]أنشأه الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة 21هـ/642م، وجاءت عمارة المسجد في بدايتها بسيطة للغاية شأنها في ذلك شأن المساجد الإسلامية في مرحلتها الأولى خلال العهد النبوي الشريف والخلافة الراشدة،[3] ثم أُجريت توسعات بالمسجد وتجديدات إبان العصر الأموي، الأموي، ففي عام 53هـ/672م قام والي مصر مسلمة[4] بن مخلد الأنصاري بهدم المسجد و أعاد بناءه من الناحيتين المعمارية والزخرفية فأصبح بعمارته يتكون من صحن مكشوف وظلة للقبلة، وشيد به أربع مآذن، وفرشه بالحصر، وزين الحيطان والسقف بأنواع الزخرفة، و اتخذ له رحبة في الجهة البحرية،[5] وفي عام 79هـ/698م قام والي مصر عبد العزيزبن مروان، بهدم المسجد وأعاد بناءه، فزاد في مساحته من ناحية الغرب و أدخل فيه الرحبة التي كانت من الناحية البحرية،[6]وفي ولاية عبدالله[7] بن عبدالملك تمت تعلية سقف المسجد عام 89هـ/707م، ثم تولى قرة[8] بن شريك فقام بهدم المسجد وأعاد بناءه و أدخل فيه دار عمرو بن العاص وابنه عبدالله و جزءاً من الطريق، كما أنشأ به محراباً مجوفاً، ونصب به منبراً خشبياً، وطلى أعمدته بماء الذهب، وجعل له أربعة أبواب، وكان ذلك في عام 93هـ/710م،[9] وبعد أربع سنوات من ذلك، أي في عام 97هـ/ 715م شُيدت بالمسجد قبة سُميت بقبة بيت المال، لإيداع أموال اليتامي وهي

---

[1] ريمون، أندرية: القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1994م، ص21_22.

[2] المقريزي: الخطط، ج2، مصدر سابق، ص246.

[3] عبده: الأمويون و آثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص208.

[4] هو مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الخزرجي الأنصاري، ولاه معاوية بن أبى سفيان إمارة مصر، ثم أضاف إليه ولاية المغرب، فقام بمصر وسير الغزاة إلى المغرب في البر والبحر. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، مصدر سابق، ص424.

[5] عزب، خالد: الفسطاط " النشأة _ الازدهار _ الانحسار"، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1998م، ص149.

[6] ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص63.

[7] هو أبو عمر عبد الله بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، ولاه والده على صلاة مصر وخراجها في سنة 86هـ، و أقره أقره عليها أخاه الوليد عندما بويع بالخلافة بعد وفاة والدة، وهو الذي أمر بالدواوين فنسخت بالعربية، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية. الكندي: مصدر سابق، ص51.

[8] هو قرة بن شريك بن مرثد بن الحارث العبسي، ولاه الوليد بن عبدالملك على صلاة مصر وخراجها سنة 90هـ، فقام بها بالكثير من الأعمال، توفي سنة 96هـ. الكندي: مصدر سابق، ص55_57.

[9] ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص63_65.

تتوسط صحن المسجد في علو الفوارة، وهي من أواخر التعديلات المعمارية بالمسجد الجامع التى قام بها ولاة الأمويين بمصر.[1]

دار الإمارة: وقد اتخذ عمرو بن العاص من داره داراً للإمارة فلم يتخذ للإمارة دار مخصوصة، واستمر كل أمير من بعده ينزل داره، حيث كانت الدار التي يقيم بها الوالي بمثابة دار الإمارة،[2] وفي مطلع العصر الأموي جعل الخليفة معاوية بن أبى سفيان من دار الرمل[3] داراً للإمارة بمصر،[4] واستمرت هذه الدار حتى حتى قُدوم عبد العزيز بن مروان والياً على مصر سنة 65هـ/684م، حيث اتخذ من داره المذهبة[5] داراً للإمارة، وقد شُيدت هذه الدار في الأرض التي انحسر عنها ماء النيل تجاه الجامع وقصر الشمع، وكانت على درجة عظيمة من الناحيتين المعمارية والزخرفية،[6]ولفرط سعتها كانت تُعرف بالمدينة،[7] لذا فقد أولاها الأمويون عناية ورعاية فائقة، واتخذوها داراً لإمارتهم بمصر، وظلت على ذلك إلى أن أمر مروان بن محمد بإحراقها أثناء تعقب العباسيين له.[8]

الأسواق والقياسر: اشتهرت الفسطاط عند الجغرافيين[9] العرب بتعدد أسواقها وقياسرها وبنشاط الفعاليات التجارية فيها، فإن أول سوق وضعت خططها في الفسطاط كانت بالقرب من المسجد الجامع وتُعرف بدار البركة،[10] وبعد توسع المدينة وازدياد سكانها، نُظمت أسواقها وقياسرها بعد أن تزايدت أعداداها حسب اختصاصاتها، وكانت بمعزل عن بعضها البعض، وأُطلق عليها أسماء أرباب الحرف والصنعة التي تباع فيها

---

(1) الكندي: مصدر سابق، ص57_58.

(2) المقريزي: الخطط، مصدر سابق، ج1، ص296.

(3) هي الدار التى قبلي الجامع وغربي الشرطة، وهي منسوبة لرملة بنت معاوية بن أبي سفيان، حيث كانوا يقولون: دار رملة، فحرفت العامة ذلك فقالوا: دار الرملة، ويقال إنما سميت دار الرمل، لما ينقل إليها من الرمل. البكري: المسالك والممالك، مصدر سابق، ج2، ص140.

(4) ابن عبدالحكم: مصدر سابق، ص101.

(5) بناها عبد العزيز بن مروان في سنة 67هـ، بجوار المسجد الجامع من الجهة الغربية، وهي تدعى بسوق الحمام والمذهبة نسبة إلى قبتها المطلية بالذهب. الكندي: مصدر سابق، ص44.

(6) عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص252.

(7) الحسيني: مرجع سابق، ص541.

(8) الكندي: مصدر سابق، ص49.

(9) هي مصر حسن الأسواق و المعايش، إلى حماماته المنتهى ولقياسره لياقة وبهاء، وليس في الإسلام أكبر مجالس جامعة ولا ولا أحسن تجملاً من أهله ولا أكثر من مراكب ساحله. المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص197.

(10) هي الدار التي اختطها عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب، بجوار المسجد الجامع بالفسطاط، فقال له عمر: أنَّى لرجل بالحجاز تكون له دار بمصر، وأمر أن يجعلها سوقاً للمسلمين. ابن عبدالحكم: مصدر سابق، ص92.

مصنوعاتهم،[1] ومنها سوق وردان[2] وسويقة العراقيين نسبة إلى جمع من البصريين ممن اتهموا من قِبل زياد زياد بن أبية بتعاطفهم مع الخوارج، فسيرهم نحو الفسطاط، فُسميت هذه السوق على اسمهم،[3] وقد شهدت الفسطاط نمطية من الأسواق في أشكالها و خططها وعمرانها تمثلت بالقيساريات، ففي ولايةعبد العزيز بن مروان كانت عبارة عن تجمعات للأسواق والمحلات التجارية،[4]منها قيسارية العسل والجبال والكباش وقيسارية عبد العزيز التي كانت تُباع فيها أقمشة البز،[5]وفي عام 108هـ بنى هشام بن عبد الملك قيساريته التي تُعرف باسمه في فضاءٍ بين القصر والبحر، يباع فيها البز الفسطاطي،[6] وقيسارية أبي مرة وقيسارية بن أبي مسيح،[7] ويمثل السوق الكبير أكبر تجمع للأسواق فهو يمتد على طول الشارع الرئيس من درب المجاير قرب جامع عمرو بن العاص إلى ساحل النيل على جانبي الطريق وفي الأزقة المتفرعة منه الأسواق الفرعية والقياسر.[8]

مدينة القيروان

أصل التسمية: وقد اختلف اللغويون في أصل تسمية القيروان، فهناك من يرى أن الكلمة تعني معظم المعسكر والقافلة من الجماعة،[1] وقد كانت مستعملة في الجاهلية بهذا المعنى،[9] وقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش، ومحط أثقال الجيش، وقيل هي الجيش نفسه،[10] وقيل إنها اتخذت من قول عقبة[11] بن نافع

---

[1] الشهري: مرجع سابق، ص110.

[2] وتنسب إلى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص، وكان من عمرو بمنزلة صاحب شرطته، ثم ولاه معاوية بن أبي سفيان على خراج مصر بعد وموت عمرو بن العاص. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص284.

[3] ناجي: مرجع سابق، ص227.

[4] عبيد، طه خضر: الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص185.

[5] والبز نوع من الثياب، وقيل متاع االبيت من الثياب خاصة، والبزاز هو بائع وحرفته البزازة، والبزه بالكسر، الستارة واللبسة. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص311.

[6] ابن عبدالحكم: مصدر سابق، ص136.

[7] ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص39.

[8] الشهري: مرجع سابق، ص111.

[9] إذ روى أن إمرؤ القيس يصف غارة له قائلاً:

وغارة ذات قيروان *** كأن أسرابها الرعال. إبن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج12، ص94.

[10] حمودة، عبدالحميد حسين: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م، ص54.

[11] وهو عقبة بن نافع بن عبدقيس بن لقيط الفهري، ولد في عهد النبوة، ولم تصح له الصحبة، وكان عمرو بن العاص خاله فشهد فتح معه مصر واختط بها، ثم ولاه يزيد بن معاوية أمور المغرب، وهو الذي بنى مدينة القيروان، استشهد في سنة 63هـ.

لأصحابه "هذا قيروانكم" أي المدينة التي يجعلون بها معسكرهم،[1] وقيل أن لفظ قيروان هو فارسي معرب، وأصله كروان أو كربان، ومعناه قافلة أو مراح القوافل.[2]

الموقع الجغرافي وأهمية المدينة ودوافع تأسيسها: تُعتبر مدينة القيروان من مدن الإقليم الرابع، وتقع في جنوبي جبل واسلات،[3] وهي من حيث الطول 33° والعرض 30 درجة، بأرض صحراء تصلح لجمال العرب، وكانت قاعدة إفريقية في أول الإسلام،[4] وتقع المدينة في بساط من الأرض مديد في الجوف منها بحر تونس، وفي الشرق بحر سوسة والمهدية، وفي القبلة بحر سفاقس وقابس، و أقربها منها إلى البحر الشرقي، وبينها وبينه مسيرة يوم، وبشرقي المدينة سبخة ذات ملح عظيم طيب ونظيف، وبسائر جوانبها أراضي طيبة وكريمة.[5]

وفي مطلع العصر الأموي توسعت الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقية، وفي عام 48هـ ولى أمير المؤمنين معاوية بن سفيان القائد المجاهد عقبة بن نافع الفهري إمارة إفريقية، كان عقبة آنذاك مقيماً بنواحي برقة[6]، فدعا قبائل البربر[7] إلى الإسلام، وضم من أسلم منهم إلى جيشه وزحف نحو إفريقية ففتحها عنوة،[1]

ابن حجر: أبوالفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص50.

[1] مؤنس، حسين: فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص153.

[2] الجواليقي، أبومنصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، 1990م، ص483.

[3] هو جبل طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلاً، ومياه جارية، وفيه عمارات وحصون كثيرة بناها البربر. الإدريسي، أبوعبدالله محمد بن محمد الهاشمي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص294.

[4] المغربي، علي بن موسى بن سعيد: كتاب الجغرافيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ص35.

[5] البكري، أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد: المسالك والممالك، ج2، تحقيق: أديان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب،القاهرة، 1992م، ص675.

[6] وأسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس، وتعنى إقليم المدن الخمس وهي سوسة وشحات وتوكرة وبنغازي وبرقة، وهي مدن أسسها الإغريق في بداية القرن السابع قبل الميلاد، وتتميز هذه المدن بموقعها الجغرافي الغني بالتربة الخصبة الصالحة للزراعة. البكري: المسالك والممالك، مصدر سابق، ج2، ص649.

[7] اختلف في نسب البربر، ويرجح أنهم من ولد حام بن نوح عليه السلام، وأنهم جيل قديم سكنوا المغرب عندما تناسلت ذرية نوح عليه السلام والبربر يجمعهم جدان هما: برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه البتر، ولشعوب برنس البرانس. الناصري، أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م، ص61.

ورأى بعد انتصاره على البربر أن يتخذ مدينة تحمي جند المسلمين و أموالهم من عدوان[2] أهل البلاد المفتوحة،[3]وتكون لهم بمثابة قاعدة عسكرية ومنطلقاً لحملاتهم لإستكمال الفتح الإسلامي ببلاد المغرب والأندلس.[4] فأستشار عقبة أصحابه[5] في اختيار الموضع المناسب لبناء المدينة، فاجتمع رأيهم على أن يكون الموضع وسطياً، فلا يكون على الساحل فيجعل المدينة عرضة لغزوات البيزنطيين، ولا موغلة في الصحراء، خشية هجوم قبائل البربر المتقلبة الأهواء،[6] وأن تكون قريبة من المراعي لتتمكن إبلهم من الرعي بأمان،[7] وأن لا يفصلها عن مركز القيادة العسكرية في الفسطاط بحر ولا نهر، فيكون الطريق مفتوحاً بينهما لوصول النجدات والمدد،[8] فوقع اختيارهم على موضع القيروان، وكان على بعد سته وثلاثين ميلاً من البحر المتوسط، ونحو مائة ميل عن تونس،[9] وتميز الموضع بخصوبة سهوله الزراعية التي تتضمن بعض المحاصيل التي كفل للمقاتلين العرب مورداً غذائياً مهماً،[10] علاوة على توفر مياه[1] الأمطار والأودية بالإضافة إلى استخراج المياه من الآبار القريبة.[2]

---

(1) حسن: مرجع سابق، ص419.

(2) وقد عبر عقبة عن ذلك بقوله: " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابه أهلها إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله تعالى إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام حتى آخر الدهر". ابن عذري: البيان المغرب، مصدر سابق، ج1، ص19.

(3) الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص308.

(4) إسماعيل، محروق: العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي من القرن 7هـ حتى القرن 10هـ/ 13م حتى 16م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة أبى بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، تلمسان _ الجزائر، 2018م، ص287.

(5) حيث قالوا: " نحن أصحاب إبل ولا حاجة لنا بمجاورة البحر، فتسطوا علينا الإفرنج". الناصري: مصدر سابق، ج1، ص134.

(6) عبدالوهاب، حسن حسني: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1965م، ص44.

(7). قال عقبة: " قربوها من السبخة فإن دوابكم هي الإبل التى تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو و الجهاد حتى يفتح الله علينا، فتكون إبلنا على باب قصرنا في مراعينا آمنة من عادية البربر والنصارى. ابن عذاري: مصدر سابق،ج1، ص19_20.

(8) قويدري، فاطمة: القيروان وعلاقتها الفكرية بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي الطاهر، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، الجزائر، 2014م، ص18.

(9) الوزان، الحسن بن محمد الفأسي: وصف إفريقيا، ج2، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص87.

(10) جوهر، حسن محمد: تونس، دار المعارف، القاهرة، 1961م، ص41.

بناء المدينة وتخطيطها: شرع عقبة بعد استقراره على الموقع في تمهيد المكان للبناء، فأزال الأشجار وأخرج ما فيه من حيوانات وحيات وغير ذلك، وبدأ في تخطيط المدينة وبناء عمائرها، وكان ذلك في سنة50هـ/670م،[3] فبنى المسجد الجامع ودار الإمارة وبنى الناس من حولها مساكنهم وجميع المنشآت العمرانية اللازمة لإقامتهم من مرافق عامة وخاصة،[4] وكان دورها ثلاثة عشر ألف وستمائة زراع،[5] وقد تم تخطيط مدينة القيروان على الطابع الإسلامي المعهود آنذاك، فالمسجد الجامع ودار الإمارة توأمان، يكونان في قلب المدينة، وبينهما يبدأ الشارع الرئيس للقيروان ويسمى باسم السماط الأعظم، ثم ترك عقبة فراغاً حول المسجد ودار الإمارة في هيئة دائرة واسعة، ثم قسمت الأرض خارج الدائرة إلى خطط للقبائل ليكون استمراراً للشارع الرئيس إلى نهاية المدينة،[6]واحيطت المدينة بسور من اللبن والطين بلغت مساحته اثني عشر ميلاً، وقد استمرت حركة البناءوالعمران نحو خمس سنوات، حيث اكتمل بناؤها سنة 55هـ/675م.[7] وفي نفس العام عُزل عقبة بن نافع عن إمارة إفريقية، حيث كان عاملاً تابعاً لوالي مصر، وعُين بدلاً عنه أبوالمهاجر دينار، فلم يحب أن ينزل بقيروان عقبة، واختار موقعاً يبعد عنها بمقدار ميلين إلى الشمال لينزل به، وبنى عليه مدينته التي سماها تكروان، وأمر الناس بأن يحرقوا قيروان عقبة ويعمروا مدينته، فلما علم الخليفة يزيد بن معاوية بذلك، رد عقبة والياً على إفريقية لا عاملاً تابعاً لوالي مصر، فوصلها في عام 62هـ،[8] و أمر بتخريب مدينة تكروان، ثم عاد إلى القيروان، فأعاد بناءها وأصلح أمرها واستخلف عليها زهير بن قيس البلوي، ثم خرج لمواصلة الفتح حتى وصل المغرب الأقصى.[9]

---

[1] شربهم من ماء المطر، وإذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول، دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عِظام تسمى المؤاجل، ولهم وادٍ يُعرف بوادي السراويل في قبلة المدينة، يأتي فيه ماء مالح يستعملونة فيما يحتاجون إليه. اليعقوبي: البلدان، مصدر سابق، ص348.

[2] خضر، عبدالحليم عبدالرحمن: الإسلام والمسلمين في إفريقيا الشمالية، عالم المعرفة، جدة، 1986م، ص306.

[3] كان موضع القيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لايرام من السباع والحيات والعقارب القتالة، وكان ابن نافع رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة، فدعى ربه، فأذهب ذلك كله، حتى أن كانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها. البلاذري: مصدر سابق، ج1، ص296.

[4] عبده : الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص295.

[5] اليعقوبي: مصدر سابق، ج2، ص229.

[6] زيتون، محمد محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للنشر، القاهرة، 1988م، ص39.

[7] ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، مطبعة دار المعارف، بغداد، د.ت، ص21.

[8] موريس، لومبارد: الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ترجمة عبدالرحمن حميده، دار الفكر، دمشق، 1979م، ص183.

[9] عثمان، نجوي: مساجد القيروان، مطبعة دار عكرمة، دمشق، 2000م، ص15.

ونسبة عدم توفر الحجارة بضواحى المدينة، فقد استخدم قراميد الآجر في تشييد عمائرها،[1] ويعكس استعمال استعمال الآجر تطوراً في الفكر المعماري الإسلامي، فقد عدل الناس عن استعمال القصب والطين، كما حدث في البصرة والكوفة وهو تطور قائم على التقدم الزمني في بناء المدن الإسلامية، فقد بُنيت القيروان بعد أكثر من ثلاثة عقود من الزمان بعد بناء الكوفة والبصرة،[2] وقد تميزت القيروان عن هذه المدن الإسلامية السابقة لها، باشتمالها على تحصينات حربية، فكان لها سور يبلغ طوله اثني عشر ميلاً،[3]بداخلها ثلاثة محارس[4] وخارجه أربعة،[5] وامتازت شوارعها بالاتساع مقارنة بالعواصم العربية القديمة، وكذلك أسواقها كانت منتظمة ومرتبة،[6] وبذلك لعبت القيروان دوراً رئيساً في القرون الإسلامية الأولى، فكانت العاصمة السياسية للمغرب الإسلامي وبها مركز الثقل منذ ابتداء الفتح وحتى أواخر عهد الدولة الأموية، كما كانت مركزاً دينياً يخرج منها الفقهاء لنشر الإسلام وتعليم الدين واللغة العربية بين قبائل البربر،وبذلك عمرت القيروان، وشد الناس إليها الرحال من كل حدبٍ وصوب، فاتسعت أسواقها ومرافقها، ومن ثم ازدهرت الحركة التجارية بها.[7]

المسجد الجامع أو " الجامع الأعظم": وبعد أن استقر رأي عقبة و أصحابه على موضع بناء المدينة، أمر برسم الخطط، فاختط المسجد الجامع أولاً،[8] ولم يُحدث فيه بناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، واختلف عليه الناس في القبلة[9] فقالوا: " إن جميع أهل المغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فأجهد نفسك في

---

[1] لقبال، موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص26.

[2] طرشاوي: مرجع سابق، ص88.

[3] مؤنس: مرجع سابق، ص145.

[4] المحارس وهي منشآت بسيطة تتوسط خطط القبائل أو على حدودها، يعمل بها رجال يتولون حراسة خطط القبائل، وتكون على شكل نقاط متفرقة في المدينة لإقامة الجند، إلا أنها لم تكن حصوناً ولا قلاعاً كبيرة. عبده: الأمويون و أثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص297.

[5] شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص143.

[6] الجنحاني، الحبيب: القيروان عبر العصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص58.

[7] الخالدي: مرجع سابق، ص53.

[8] عثمان: مرجع سابق، ص14.

[9] فرأى عقبة بن نافع في المنام هاتفاً يقول له: " خذ اللواء في يدك فحيث سمعت التكبير فأمشى، فإذا انقطع التكبير فأركز اللواء فإنه موقع قبلتكم" فعلم عقبة أن الأمر من عند الله تعالى، ففعل ذلك وركز اللواء عند الموضع الذي انقطع فيه صوت التكبير وقال: هذا محرابكم فاقتدى به سائر مساجد المدينة. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص114.

تقويمها"،[1] وقد امتد المسجد على ساحة واسعة منذ تأسيسه حتى قيل: " لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعاً له مدينة"،[2] و استخدم في بناء الجامع مادتي الطين واللبن، ومع تطور القيروان واتساعها وتوافد وتوافد المسلمين عليها من العرب والبربر، فضاق بهم المسجد الجامع ولم يستمر طويلاً على الهيئة التي بناها عقبة، حيث توالت عليه أعمال التوسعات والإضافات المعمارية من قبل الولاة الأمويين، ففي عام74هـ/693م قام حسان[3] بن النعمان بهدم المسجد الجامع عدا المحراب وأعاد بنائه من جديد،[4]وحمل إليه ساريتن حمراوين من كنيسة كانت في موضع يُعرف بالقيسارية بسوق الضرب، وجعلها في مقابل المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب،[5] فأصبح شكل الجامع مستطيلاً وبلغ طوله حوالي 125متراً وعرضه 80 متراً، ويحوي سبعة عشر رواقاً طولية تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوبي الشرقي، أوسعها و أعلاها ارتفاعاً الرواق الأوسط، وتقوم بطرفيه الشمالي والجنوبي قبتان، بالإضافة إلى قبتين أخريين تخللهما بلاطة المحراب العريضة، أما الصحن فهو متسع جداً وتحيط به أروقة مزدوجة من جميع الجهات، باستثناء الجهة الشمالية حيث تقطع المنارة تلك الأروقة.[6] وفي عام105هـ/ 723م أثناء خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله على القيروان بشر[7] بن صفوان كِتاباً يُعلمه فيه ضيق المسجد الجامع بالناس، و أن

---

[1] ابن عذري، أبوعبدالله محمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص20.

[2] الرفاعي، أنور: تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، دمشق، 1977م، ص42.

[3] وهو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو بن مزيقيا بن عامر الأزدي، كان بمصر فوجهه معاوية بن أبي سفيان إلى إفريقية فصالح البربر وكان ذلك فس عام 57هـ، ثم أمره عبدالملك بن مروان بفتح إفريقية، فخرج في جيش قوامه 40 ألفا، ففتح قرطاجنة، ثم عزله عبدالملك وأخذ كل ما كان عنده، وتوفي غازياً في بلاد الروم في عام 80هـ وقيل 81هـ. ابن الأبار، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعي: الحُلة السيراء، ج2، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص331_332.

[4] ناجي: مرجع سابق، ص255.

[5] البكري: الممالك والمسالك، مصدر سابق، ج2، ص673.

[6] زغلول: سعيد عبدالحميد، تاريخ المغرب العربي "تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية" ، ج2، دار المعارف، الأسكندرية، 1993م، ص72.

[7] هو بشر بن صفوان بن تويل بن بشير بن حنظلة، من بنى عذرة بن زيد اللات، ولي إفريقية سنة 103هـ، وظل عليها حتى حتى وافته المنية بالقيروان في عام 109هـ. ابن أيبك، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200م، ص33.

بشماليه بستاناً لقوم من فهر، فأمره هشام بشرائه وإلحاقه بالمسجد ففعل وبنى في صحنه ماجلاً[1]، وبنى المئذنة في بئر البستان ونصب أساسها على الماء وهي تقع في منتصف الحائط الشمالي،[2] وتعتبر من أضخم المآذن الإسلامية و أجملها شكلاً، وهي تتكون من ثلاث طوابق تعلوها قبه مفصصة،[3] وقد اتخذت هذه المئذنة أنموذجاً لمآذن شمال إفريقيا والأندلس، و استمر هذا الطراز من المآذن راسخاً في الشمال الإفريقي طوال العصور الإسلامية.[4]

دار الإمارة: حين أقام عقبة المسجد الجامع أنشأ دار الإمارة وسط المدينة، في الجهة الجنوبية من المسجد أي بالجانب القبلي منه، ولعله ابتناها من اللبن،[5] فقد كانت في غاية البساطة والتواضع، وهو شأن الصحابة الصحابة والسابقين من المسلمين في بناء دورهم، خاصة أن عقبة كان دائم الخروج للغزو، لا يقيم كثيراً في القيروان،[6] وبقيت هذه الدار منزلاً للأمراء والولاة إبان العصرين الأموي والعباسي حتى ولاية إبراهيم بن الأغلب[7] عام 184هـ/ 800م، حيث بنى لنفسه مدينة أطلق عليها اسم القصر القديم بالجانب القبلي لمدينة لمدينة القيروان، وتبعد عنها بمسافة ثلاثة أميال، ولما انتقل ابن الأغلب إليها خربت دار الإمارة التي بناها عقبة بن نافع بالقيروان منذ تأسيسها.[8]

خطط الأهالي: ليست هناك معلومات وافية عن الأسس الهندسية والعمرانية التي استند إليها توزيع خطط القيروان ووحداتها العمرانية، على عكس مانملك من معلومات بشأن المدن الإسلامية الأخرى، وبحسب المعلومات المتاحة، فإن عقبة بن نافع لم يشذ عن القواعد التي اتبعها مؤسسوا المدن الإسلامية السابقة في توزيع خطط الأهالي، وهو توزيع الخطط تبعاً للنظام القبلي السائد حين إذ، وذلك وفقاً لطبيعة المرحلة التاريخية وطبيعة التكوين الاجتماعي للجيوش الإسلامية الفاتحه آنذاك.[9] فبعد اختطاطه المسجد الجامع

---

(1) المأجل أو الوجِيل وهي الحفرة أو حوض واسع ، ويؤجل أي يجمع فيه الماء إذا كان قليلاً ثم يفجر إلى المزارع وغيرها، وماء أجيل أي مجتمع مستنقع. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج14، ص25.

(2) نويصر، حسني محمد: الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م، ص112.

(3) فكري، أحمد: مسجد القيروان، دار العالم الإسلامي، القاهرة، 2009م، ص81.

(4) عبدالحفاظ: مرجع سابق، ص91.

(5) ناجي: مرجع سابق، ص257.

(6) ابن الأثير: مصدر سابق، ج1، ص628.

(7) وهو أمير المغرب إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب التميمي، استعملة الخليفة العباسي هارون الرشيد على المغرب، بنى مدينة سماها العباسية، ومهد المغرب فأحبه أهلها، عاش ستاً وخمسين سنة، ومات في شوال سنة 196هـ. الذهبي: مصدر سابق، ج9، ص129.

(8) البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص230

(9) طرشاوي: مرجع سابق، ص94.

ودار الإمارة، أقطع الناس المواضع لإتخاذ مساكنهم، فعمر هؤلاء المدينة،[1] ولم يسكن خطط القيروان إلا العرب،[2] وحين اتسعت رقعتها سكنها أخلاطاً من الناس من سائر بطون العرب من قريش ومضر وقحطان وربيعة، كما أقام بها فريقاً من الفرس من أهالي خراسان، بالإضافة إلى البربر والروم،[3] وقسمت خططهم إلى إلى أرباض وحارات ورحبات ودروب تحمل أسماء بعض القبائل والأشخاص ذلك مما يؤكد أن خططها قد وزعت توزيعاً قبلياً، فمن أشهر أرباضها ربض السدرة وربض المفلس وربض الريدان، وحارة القرانصة قرب السور وحارة القرشيين، ودرب أم أيوب قرب سوق الأحد ودرب الهذلي،[4] ودرب الربيع ودرب عبدالله ودرب أسلم،[5] ومنازل الفهريين وهم آل عقبة بن نافع، وحارة بني نافد ورحبة الأنصار ورحبة القرشيين وغيرها.[6]

الأسواق: وبعد أن اختط عقبة المسجد الجامع ودار الإمارة حيث جعلهما بوسط المدينة، فعمرت المدينة واختطت القبائل خططها، جُعل من الفناء المجاور للمسجد الجامع سوقاً للناس، وقد اتسعت هذه السوق حتى صارت حِلقاً حول المسجد، فارتبطت تسمية أبواب المسجد بخصائص ما يقابلها من هذه الأسواق، ومنها باب الصرافين حيث يقود هذا الباب إلى سوق يجتمع فيها الصرافون،[7] وكذلك باب الصباغين وباب الخاصة الذي يقود إلى سوق التمارين، وباب اللحامين وباب الرماحين وباب الخميس.[8] وقد ازدهرت المحلات التجارية وتوسعت أسواق القيروان إبان خلافة هشام بن عبدالملك، وإليه يُعزى أمر ترتيب وتنظيم الأسواق بها، حيث وزعها توزيعاً مهنياً، فصارت كل سوق متخصصة بنوع من المهن أو البضائع،[9] وكان سماط سوق القيروان متصلاً بالمسجد من جهة القبلة إلى الجوف، ويبلغ طواله حوالي ميلين إلا ثلث فهو يمتد من باب أبى الربيع إلى المسجد الجامع، ومن المسجد الجامع حتى باب تونس وهي مسافة تقدر بحوالي ثلث ميل، ووصف هذا المجمع بأنه كان سماطاً متصلاً يشتمل على جميع الصنائع والمهن والتجارات.[10] وإلى جانب هذا السوق الكبير كانت هنالك أسواق أخرى متخصصة الأغراض للحرف والصنائع بأطراف المدينة،

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص254.

[2] اليعقوبي: مصدر سابق، ص347.

[3] حسن: مرجع سابق، ص420.

[4] زيتون: مرجع سابق، ص83.

[5] اليعقوبي: مصدر سابق، ص347.

[6] العربي، إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974م، ص239.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص228.

[8] مؤمن: مرجع سابق، ص210.

[9] البكري، أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز: المغرب في بلادإفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ص25_26.

[10] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص216.

منها سوق البركة الذي يعرض فيه الرقيق والجواري، وسوق الأحد للمنسوجات الصوفية، وسوق الكتانين وسوق الغزل وهي متلاصقة، وسوق البزازين وسوق الدجاج بجوار باب تونس،[1] كما نُسبت الكثير من هذه الأسواق إلى مؤسسيها أو أصحابها كسوق إسماعيل التي أحدثها إسماعيل بن عبيد الأنصاري في سنة 71هـ، وسويقة المغيرة التي تنسب إلى آل عبدالله بن المغيرة الكوفي أحد كبار المحدثين الوافدين على القيروان، وسوق ابن هاشم المنسوبة لصالح بن حاجب بن هاشم، وسوق اليهود وحوانيت الرهادنة وسوق دار الإمارة نسبة لقربها منها، بالإضافة إلى الخانات التي كانت تستخدم كمخازن للبضائع، وغالباً ماتكون في أرباض المدينة بجوار الأسواق.[2] وظلت القيروان مشهورة بأسواقها وحركتها التجارية الدؤوبة حتى عام 337هـ/948م حيث بُنيت مدينة صبرة المنصورية[3]، وكانت متصلة بالقيروان، ثم نُقلت جميع الأسواق والصناعات من القيروان إلى صبرة، ذلك مما أدى إلى إضعاف النشاط الحرفي والصناعي وحركة التجارة بالقيروان.[4]

مدينة تونس

أصل التسمية: تونس بالضم ثم السكون والنون وتضم وتفتح وتكسر، وقد تباينت الآراء حول أصل اسم مدينة تونس، ويزعم الكثير من الجغرافيين أن اسم تونس قبل تعمير العرب لها كان ترشيش أو ترسوس، وقد سماها العرب بتونس لأنهم عندما افتتحوا إفريقية كانوا يأخذون قسطاً من الراحة بإزاء صومعة ترشيش نسبة إلى راهب كان يقطن تلك الصومعة، فكان العرب يأنسون بصوت الراهب فأخذوا يقولون إن هذه الصومعة تؤنس، فطغت تسمية تونس على ترشيش،[5] وقيل أنها سميت بتونس نسبةً لجمالها وحسنها، فإن كل من شاهدها وتجول في أنحائها، ورأى حسن موقعها، وما يحفها من الأماكن الخصبة المخضرة، وبحيرتها الجميلة أحس بأنس يملأ قلبه وانشراح في صدره لهذا المكان.[6]

---

[1] مؤنس: مرجع سابق، ص210_213.

[2] الشهري: مرجع سابق، ص120-121.

[3] صبرة بالفتح ثم السكون ثم راء، وهي بلد قريب من القيروان وتسمى بالمنصورية من بناء مناد بن بُلكين، سميت على اسم المنصور بن يوسف بن زيري بن منا الصنهاجي، كما قيل إن الذي بناها إسماعيل بن أبى القاسم بن عبيدالله سنة 337هـ واستوطنها في نفس السنة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص444.

[4] البكري: مصدر سابق، ص25.

[5] الحميري: مصدر سابق، ص144.

[6] دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج2، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010م، ص129.

الموقع الجغرافي والنشأة: تقع مدينة تونس على ساحل بحر الروم، جنوب مدينة قرطاجنة[1] على ربوة ذات منحدرات خفيفة متجهة نحو بحيرة تونس شرقاً ونحو سبخة السيجومي غرباً ضمن الإقليم الذي كان يُعرف بإفريقية[2] أو بالمغرب الأدنى.[3] ولقد تباينت الروايات حول مسألة تأسيس مدينة تونس وفيما إذا كانت مدينة قديمة أم محدثة في الفترة الإسلامية، ويقول البعض بأن تونس مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم، عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش وهي على ميلين من قرطاجنة وقد اشتهرت بحصانتها و موقعها الجغرافي المتميز، ويقال لبحر تونس رادس وكذلك يقال لمرساها مرسى رادس، وهي من أصح بلاد إفريقية هواء، ولها غلة فائضة.[4] وتتفق الرويات التاريخية على أن المنطقة التي صارت فيها مدينة تونس قد تم فتحها في خلافة عبدالملك بن مروان الأموي، على يد واليه على إفريقية حسان بن نعمان الغساني، الذي يعود إليه الفضل في استكمال فتح المنطقة ثم تأسيس مدينة تونس، وذلك عندما توجه بجيشه لمحاربة الروم في المنطقة، فطلبوا منه عدم دخول المدينة مقابل أن يضع عليهم خراجاً يقسطه عليهم فأجابهم إلى ذلك،[5] ولما رجع حسان إلى القيروان، رجعت الروم إلى المدينة فاستباحوها، فأرسل حسان إلى الخليفة عبدالملك بن مروان مستنجداً به، فأمده بجيش كبير فقاتل الروم حتى فتح المدينة عنوة، فأحكم بناءها وجعلها رباطاً للمسلمين.[6] وقد اختلف في

[1] قرطاجنة أو قرطاج وهي من بلاد الإفرنجة القديمة وتقع وراء بلاد القيروان، وبينها وبين تونس عشرة أميال أو نحوها ومرساها واحد، فتحها المسلمون بقيادة حسان بن النعمان في خلافة عبدالملك بن مروان الأموي. الحميري: مصدر سابق، ص462.

[2] إفريقية والمراد بها حينئذ الإقليم الذي يمتد من الحدود الغربية لطرابس الغرب شرقاً وإلى بجاية غرباً، ويشمل مناطق تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت قاعدته مدينة القيروان، وسمي بالمغرب الأدنى لأنه أقرب بلاد المغرب إلى دار الخلافة في الشرق. أحمد، نهلة شهاب: المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2003م، ص22.

[3] الخالدي: مرجع سابق، ص123.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج2، ص60.

[5] الحقيقة أنهم أرادوا بهذا العمل أن يكسبوا الوقت فاحتالوا على حسان بذلك الطلب في الوقت الذي وضعوا فيه خطة الانسحاب والهروب من المدينة عن طريق سفن قد أعدوها مسبقاً، فلما علم حسان بذلك دخل المدينة وأحرق بعض وحداتها العمرانية وخرب البعض الآخر منها، ثم ابتنى مسجداً وأسكن جماعة من المسلمين بها، ثم عاد إلى القيروان. ناجي: مرجع سابق، ص283.

[6] الخالدي: مرجع ساق، ص123.

تاريخ تأتسيس المدينة وقيل إنه كان في عام 74هـ/ 693م وقيل في عام 78هـ/697م وذلك أثناء حملة حسان الثانية على قرطاجنة، وهنالك رواية أخرى تقول بأن مدينة تونس قد تأسست سنة 80هـ/699م.[1]

دار الصناعة ودروها في نشأة مدينة تونس: بعد التطورات العسكرية الجديدة في المنطقة، وتوسع فتوحات المسلمين وامتدادها نحو الغرب باتجاه المغرب الأقصى والأندلس، توجب على القيادة الإسلامية ابتكار خطط استراتيجية جديدة لمجابهة أساطيل البحرية البيزنطية وتأمين سواحل شمال إفريقية من هجماتها، لتحقيق ذلك كان لابد من للمسلمين من اتخاذ قاعدة بحرية لإنشاء مرفأ ودارٍ لصناعة السفن الحربية، حيث لم تعد القيروان الموضع المناسب لتحدي البيزنطيين في البحر والبربر في الجبال والصحراء،[2] وكذلك قرطاجنة التي فتحها المسلمون حديثاً، فقد كانت قاعدة بيزنطية سابقة، فتخوف حسان من الناقمين عليه والمتعاطفين والمؤيدين للروم من أهلها، واستثقل روحها، واستوبأ مكانها، وتشاءم من موقعها، فهي عارية مشكوفة في البحر ليس بها جبل ولا خندق يحميها، فما أسهل أن يهاجمها العدو في غفلة فيتمكن منها،[3] وقد اهتدى حسان إلى موضع تونس وأدرك مزاياه، فهو يطل على سبخة فسيحة لايفصلها عن البحر غير برزخ صغير، وبه بحيرة تصلح أن تكون مرفأ للسفن الإسلامية، كما أن بالسبخة إلى الداخل قليلاً من الشاطئ مقاماًطيب للعرب، لأنهم لم يكونوا حينئذ يطمئنون كثيراً إلى سكنى المدن الساحلية الصرفة، فما لبث حسان أن بدأ في العمل بحفر البرزخ الذي يفصل البحيرة عن البحر، وأن يحفر في ماء البحيرة الضحلة قناة عميقة تسير فيها السفن حتى تصل إلى البلد،[4] ثم يعقب ذلك بإنشاء مرفإٍ ودار لصناعة السفن، وقد استعان حسان بأهل مصر في هذا العمل لخبرتهم في صناعة السفن، فأرسل إلى الخليفة عبدالملك بن مروان يطلب دعمه، فأمر الخليفة واليه على مصر بأن يبعث إلى حسان ألف قبطي مع عوائلهم للمساعدة في العمل، فكان البربر يقومون بقطع الأخشاب ويجرونها إلى دار الصناعة ويقوم القبط بصناعة السفن، وبهذا استطاع حسان أن يشيد ثاني مدينة بإقليم إفريقية بعد القيروان.[5]

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص284.

[2] مؤنس: مرجع سابق، ص 260.

[3] دبوز: مرجع سابق، ج2، ص129.

[4] مؤنس: مرجع سابق، ص261.

[5] سالم: تاريخ المغرب، مرجع سابق، ص163_165.

المسجد الجامع " جامع الزيتونة[1] ": تشير الروايات التاريخية إلى أن حسان بن النعمان قد أسس المسجد الجامع بتونس أثناء أول حملة على المنطقة فهو يمثل أول خطة عمرانية بالمدينة، وقد أعاد بناءه عبدالله بن الحبحاب إبان ولايته على إفريقية في عام 114هـ/732م، وإليه ينسب البعض بناء المسجد الجامع، وذلك لما عُرف به من حبه وولعه بالعمارة والبناء، وقد شهدت مدينة تونس نهضة عمرانية واسعة خلال فترة ولايته، حيث قام بإعادة بناء المسجد الجامع وتوسيعه وتزيينه،[2] وجعل دائره مسقفاً وفي وسطه فضاء قد شُيدت فيه أعمدة خشبية على قدر إرتفاع الجدار، ثم شُدت إليها حبال متينة في حلقات حديدية مثبتة فيها وفي السقوف شداً محكماً، فإذا كان الصيف فإنها تنشر عليها أيام صلاة الجمعة شِقق كتانية حتى تظلل جميع ذلك الفضاء.[3] ولم يكن المعمار وجماليته الإستثناء الوحيد الذي تمتع به جامع الزيتونة، بل شكل دوره الحضاري والعلمي في ريادة العالم الإسلامي، إذ اتخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ تأسيسة ومازالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه.[4]

وحدات عمرانية أخرى

تشكلت الهيئة العمرانية للمدينة في تنظيم عمراني مركزي حول المسجد الجامع ككتلة عمرانية رئيسية في مركز المدينة تضم المسجد الجامع ودار الإمارة والسوق ومن حولها الخطط السكنية التي تمثل الكتل الثانوية واتخذت المدينة تشكيل فراغي غير منظم الحدود قريب من البيضاوي،[5] ويحيط بها خندق وسور ضخم تبلغ تبلغ مساحته حوالي 21ألف ذراع، وله خمسة أبواب وهي باب الجزيرة ويقع في الجانب القبلي، وهو ينسب إلى جزيرة شريك وكان الخارج منه يتجه نحو القيروان، وفي الجهة الشمالية الشرقية باب قرطاجنة حيث تقع دونه داخل الخندق البساتين والآبار، ومن الناحية الشرقية يقع باب البحر وهو يربط بين المدينة والميناء[6]، وباب المعشوق، وباب السقائين وسمى بذلك لوجود بئر أبي الغفار وهي بئر كبيرة غزيزة الماء، وفي الجانب

---

[1] وقيل أنه سمى بالزيتونة ليكون نوراً يضاء به إفريقيا، لقوله تعالى: ﴿... يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ...﴾ سورة النور الآية 35. وفاء النعاس: الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية 1900_1954م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013_2014م، ص37. وهنالك رواية أخرى تذكر أن الجامع كانت به زيتونة حول صومعته فسمي بها. ابن الخوجة، محمد: صفحات من تاريخ تونس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص283.

[2] دبوز: مرجع سابق، ج2، ص218.

[3] زيادة، نقولا: الأعمال الكاملة مدن عربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م، ص65.-

[4] سالم: تاريخ المغرب، مرجع سابق،ص163.

[5] الشهري: مرجع سابق،ص74.

[6] الخالدي: مرجع سابق، ص172.

الغربي باب أرطة أو باب السويقة وتجاوره مقبرة سوق الأحد، وهنالك دون الباب ربض خارج المدينة وملاحة كبيرة يجمع منها ملح تونس.[1] وقد اشتهرت المدينة بفخامة وجمال دورها التي يغلب على بنائها الرخام البديع الصنع،[2] وبكثرة أسواقها ومتاجرها العجيبة وفنادقها وحماماتها، وتتمركز معظم هذه الأسواق حول المسجد الجامع الذي يمثل قلب المدينة، وهي أسواق كلها مغطاة تقريباً في مأمن من الشمس والمطر، وُزعت على حسب اختصاصاتها وأشهرها سوق العطارين وسوق القماشين وسوق الصاغة وسوق الغزل وسوق الكتبيين وسوق العرافين وغيرها من الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة.[3]

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص289.

[2] البكري: المغرب، مصدر سابق، ص40.

[3] الخالدي: مرجع سابق، ص130.

المبحث الأول

تجديد وبناء المدن بالعراق إبان العصر الأموي

مدينة البصرة:

أصل التسمية: اختلف أهل اللغة والأدب وغيرهم في معنى كلمة البصرة وأصلها، فقِيل إن معنى البصرة الأرض الغليظة الرخوة الضاربة إلى البياض أو فيها بياض،[1]وذكر أن المسلمين حين وافوا موضع البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد و أبصروا الحصى عليها فقالوا: إن هذه بصرة يعنون حصبة فسُميت بذلك، وأيضاً قِيل أن البصرة الطين الملك، وقيل الأرض الطيبة الحمراء وقيل إنما سُميت بالبصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة،[2] وكذلك قيل إن اسم البصرة قد عُرب من كلمة " بس راه" الفارسية، وتعني الموضع الذي تتشعب منه الطرق الكثيرة،[3] وأيضاً قيل أن أصل التسمية لمواضع آرامية قديمة منتشرة في منطقة البصرة و ماحولها التي تحمل أسماء آرامية منها يكمص ويحص والبصيرة أو الخربية وتعني الأكواخ،[4]فيمكن أن تكون البصرة تكبيراً لاسم القرية الآرامية التي عُرفت هناك قبل الفتح الإسلامي باسم البصيرة، حيث كانت اللغة الآرامية لغة التجارة والسياسة والتدوين في جميع البلاد الواقعة شمال الجزيرة العربية كالعراق والشام حينئذ.[5]

نشأة المدينة: ولما كثرت الفتوح واتسعت رقعة البلاد الإسلامية وصعب أمر الاتصال بين المسلمين في شتى النواحي، واحتاج الجند إلى أماكن يستريحون فيها من عناء السفر حتى يلقوا عدوهم وهم على أحسن حال من القوة،[6] فحرص الخليفة عمر بن الخطاب على إقامة قواعد عسكرية في العراق ومصر تكون بمثابة دار هجرة للمقاتلين العرب، أُطلق عليها اسم الأمصار،[7] ويجمع المؤرخون على أن مَن مّصر البصرة هو الصحابي الجليل عُتبة[8] بن غزوان بأمر[1] من الخليفة عمر بن الخطاب، وبذلك فهي أول مدينة بناها المسلمون العرب ولا تزال باقية إلى زماننا هذا.[2]

---

[1] الفيروز آبادي: مصدر سابق، ج1، ص333.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق،ج1، ص430.

[3] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ج1، ص477.

[4]. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ص430.

[5] الموسوي: مرجع سابق، ص77.

[6] حسن: مرجع سابق، ص413.

[7] الكعبي، عبدالحكيم: موسوعة التاريخ الإسلامي " عصر الخلفاء الراشدين"، دار أسامة للنشر، الأردن_ عمان، 2009م، ص146.

[8] هو أبوعبدالله عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، صحابي جليل، من أوائل المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، شهد بدر والقادسية، وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أرض البصرة وكانت تسمى الأبُلة أو أرض الهند،

وكان الموقع الذي اختاره عُتبة بشط العرب على مقربة من ثغر الأبُلة[3] عند دلتا نهري دجلة والفرات ولذا فهي متصلة بالخليج العربي،[4] وتميز جغرافية البصرة بطبيعة أرضها المستوية الخالية من العوارض والمرتفعات الطبيعية، عدا جبلي سنام وسفوان اللذين يبعدان عن موقع المدينة حوالي خمسين ميلاً والمنطقة منخفضة لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من أربعة أمتار، غير أن الأراضي الغربية تزداد ارتفاعاً على ذلك،[5] ويرجع حسن موقعها إلى أنها مدينة بين بلاد فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين.[6]وكانت البصرة في أول أمرها أشبه بالقرية منها إلى المدينة،[7] حيث بنى عُتبة مسجداً من قصب، كما بنى دار الإمارة في رحبة سماها الدهناء، ثم بنى في هذه الرحبة السجن والديوان وكان ذلك في سنة 14هـ/636م، ثم بنى الناس بيوتهم من القصب، وكانت دورهم آنذاك الخيام والفساطيط ولم يكن لهم في الموضع بناء،[8]ثم قُسمت المدينة إلى خطط بعدد القبائل، ويرأس كل خطة رئيس قبيلة أو أمير فرقة حربية، وجعلوا عرض أكبر شوارعها وهو المربد ستين زراعاً، وعرض سائر الشوارع عشرين زراعاًا، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحه يربطون فيها خيولهم ويدفنون أمواتهم، وجعلوا منازلهم متلاصقة،[9] وقد اختلف المؤرخون حول زمن تمصير البصرة، فكان نزول المسلمين فيها سنة14هـ،

فأختطها عتبة ومصرها وبنى مدينة البصرة، توفى عام 17هـ/638م.ابن الجوزي: أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد، صفة الصفوة، ط2،ج1،تحقيق:محمود فاخوري و محمد قلعة جي، دار المعرفة،بيروت، 1979م،ص151.

[1] وقد ذكر أن عتبة بن غزوان نزل منطقة البصرة في أربعين وثمانمائة رجلاً واختطها، وبعد أن كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلاً:" إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، ويسكنون فيه إذا انصرفوا من غزوهم، فأجابه بأن يجمع أصحابه في موضع واحد ويسكن قريباً من الماء والمرعى وأن يكتب إليه بصفته". البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص341.

[2] زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، ط2، ج2، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1958م،ص176.

[3] الأبُلة: مدينة كانت على نهر الأبلة بين البصرة والخليج الفارسي، وكانت مرفأ للسفن القادمة من الهند وثغور الهند، وكانت عامرة كثيرة البساتين، فتحها المسلمون في رجب سنة 14هـ، وبقيت عامرة في أيام الخلفاء الراشدين والأمويين، وظلت على ذلك حتى خربها المغول في أيام العباسيين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص77.

[4] الخربوطلي، علي حسني: الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960م، ص302.

[5] العلي، صالح أحمد: خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1986م، ص28.

[6] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص117.

[7] حسن: مرجع سابق، ص415.

[8] الأعظمي، علي ظريف: مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت، ص14.

[9] الماوردي: الأحكام السلطانية، مصدر سابق، ص171.

إلا أن تخطيطها لم يتم إلا سنة 17هـ،[1] وذلك بعد أن وقع بها حريق كان له دور فعال في تغيير مورفولوجية المدينة، فأُعيد بناؤها بالطين واللبن، ذلك مما أعطاها بُعداً حضارياً جديداً.[2]

البصرة وتطورها العمراني إبان العصر الأموي: وفي مطلع خلافة بني أمية شهدت مدينة البصرة تطوراً عمرانياً كبيراً فقد تزايد عدد سكانها وتوافد عليها الناس من كل مكان، وسرعان ما أصبحت مركزاً لحياة اقتصادية وحضارية نشطة واسعة،[3] حيث اتخذها الأمويونمقراً لإمارة العراق في بادئ الأمرفعمرت أيامهم، واتسعت عمارتها، وازدهرت ثروة أهلها، وكثرت خيراتها،[4] فلما تولى زياد[5]بن أبيه في خلافة معاوية إمارة البصرة سنة 45هـ/667م، قام بإصلاحات عمرانية عديدة بها،[6] حيث أعاد بناء المسجد الجامع بالآجر وزاد وزاد فيه،[7] كما أعاد بناء دار الإمارة بالآجر،[8] وبنى بها دار الرزق وحفر نهر الأبلة ومعقل، وبنى سكة و و أسكنها أربعة الآف من البخارية فسُميت باسمهم،[9] كما أنه أعاد تنظيم المدينة وجدد تقسيماتها الطبغرافية والسكانية فقسمها إلى خمسة أخماس، يضم كل خمس منها مجموعة من العشائر التي تنتمي إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة، كما أسس الأسواق،[10] وحذا أهل البصرة حذو زياد في التعمير والبناء فأمتازت

---

[1] عبده، عبدالله كامل موسى: المسلون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م،ص134.

[2] طرشاوي: مرجع سابق، ص78.

[3] الخربوطلي، علي حسني: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي الاجتماعي الاقتصادي، دار المعارف، القاهرة، 1959م،ص291.

[4] القصيري، اعتماد يوسف: أضواء على التراث الحضاري المعماري الإسلامي في العراق، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرابط، 2008م، ص2.

[5] زياد بن أبيه، هو أمير من الدهاة العرب، ومن كبار الولاة والقادة الفاتحين، وهو من أهل الطائف وقد اختلف في اسم أبيه، فقيل عبيد الثقفي وقيل أبوسفيان بن حرب، ولدته سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي في سنة 1هـ/ 622م، وتبناه عبيد الثقفي، أدرك النبي ﷺ ولم يره وكان إسلامه في خلافة الصديق رضى الله عنه، تولى إمارة فارس في خلافة علي رضى الله عنه، استقدمه معاوية إلى الشام بعد توليه الخلافة وألحقه بنسب أبيه أبي سفيان بعدما تبين له ذلك، ثم ولاه البصرة في سنة 45هـ/ 667م ثم جمع له ولاية العراق، فلم يزل عليها حتى وافته المنية سنة 53هـ/ 673م. الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1963م، ص355.

[6] الأعظمي: مرجع سابق، ص43.

[7] ابن قتيبة الدينوري، أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: المعارف، ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص246.

[8] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص365.

[9] ابن الفقية، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، عالم الكتب، بيروت، 1996م، ص191.

[10] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص177.

بيوتهم بالاتساع،[1] وقد بلغ عدد حمامات البصرة في ولايته أربعة عشر حماماً، أشهرها حمام عمرو بن حريث وحمام قطن بن عبدالله في جهة خطط الجانب الشمالي من المدينة، وكان التزود بالماء متيسراً، أما الحمامات الموجودة خارج المدينة كحمام أعين وحمام عمر بن سعد.[2] وقد سار عبيد الله[3] بن زياد سيرة أبيه في الإهتمام بتعمير البصرة فكان من منشآته بها القصر الأبيض[4] وقد أنفق في بنائه أموالاً كثيرة، كما أنشأ مدينة صغيرة قرب البصرة سماها مدينة الرزق[5] وبذلك تطورت البصرة تطوراً معمارياً هاماً من حيث التخطيط، فقد اتسعت رقعتها و ازداد عدد سكانها، وتعددت أسواقها ومحلاتها وفق خطط محكمة تسيطر عليها السلطة الحاكمة من قبل الولاة الأمويين.[6] وقد أهتم خالد القسري والي هشام بن عبدالملك على العراق العراق بتعمير البصرة، حتي بلغ طولها فرسخين وعرضها فرسخين.[7]

المسجد الجامع: يعتبر المسجد من أهم الأبنية بالمدن الإسلامية، لذلك فقد وجد المسجد الجامع بالبصرة إهتماما ورعاية شديدة من قبل الولاة الذين تعاقبوا على ولاية البصرة إبان العصر الأموي، فعندما تولى زياد بن أبية إمارة البصرة قام بهدم مسجدها كله، وزاد فيه مساحته زيادةً كبيرة،[8] وبناه بالآجر والجص والطابوق، والطابوق، وأقام سقوفه من خشب الساج على أعمدة حجرية طوال تتألف من عدة قطع أسطوانية يضمها إلى بعضها البعض سفود حديد يمر بمركزها، كما أتخذ للجامع مئذنة ومقصورة، وأمر بأن تكون دار الإمارة ملاصقة له من جهة جدار القبلة، وجعل بينهما مدخلاً يؤدي من الدار إلى بيت الصلاة، وفرش أرضه

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج6،ص185.

(2) جعيط، هشام: نشأة المدينة العربية الإسلامية " الكوفة"، ط3، دار الطليعة للطباعة وابنشر، بيروت، 2005م، ص295.

(3) عبيدالله بن زياد بن أبيه، ولد بالبصرة سنة 28هـ/648م، وكان مع والده لما مات بالعراق فقصد الشام، فولاه عمه معاوية إمارة خراسان 53هـ، ثم ولاه البصرة سنة 55هـ لقتال الخوارج، وأقره يزيد عليها سنة 60هـ، وظله بها حتى مات سنة 67هـ/686م. المرصفي:سيد بن علي، رغبة الآمل من كتاب الكامل، ج5، مكتبة طالب العلم، دمشق، 1435هـ، ص134.

(4) هي دارٌ عجيبة الشكل، فكان يقصدها الناس من كل مكان للتفرج عليها. القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1، دار صادر، بيروت، د.ت، ص310.

(5) هي إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يختطها المسلون، وهي مدينة تجارية واسعة تضم أسواقا عديدة، ولها أربعة أبواب كبيرة، تحتوي على نشاطات اقتصادية متنوعة، تميزت بموقعها الجغرافي إذ تحتل الجانب الغربي من ملتقى نهرى الأبُلة والمعقل. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق بن شمائل القطيعي الحنبلي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج2، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ص614.

(6) الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، مرجع سابق، ص292.

(7) الخربوطلي: الحضارة العربية الاسلامية، مرجع سابق، ص304.

(8) القصيري: مرجع سابق، ص28.

بالحصى، وكان ذلك في سنة 45هـ/665م.[1] وقد تكامل تخطيط المسجد بعد عمارة زياد، فأصبح يتكون من صحن و أربع مظلات تحيط بالصحن من جهاته الأربعة، ويُعد جامع البصرة من المساجد الأولى التي شُيدت خارج الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين، وباكتمال عمارته سرعان ما انتشر هذا الطراز في بناء المساجد الجامعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.[2]

دار الإمارة: وهي مكان إقامة الوالي وأهله طيلة مدة ولايته، وهي المركز الذي تُصرف منه شئون الإدارة وما تتطلبه من مقابلة المراجعين من الأفراد والوفود والجماعات، وبجوارها غالباً ما تكون أبنية الدواوين، والمسجد الجامع،[3] أما دار الإمارة بالبصرة في أيام الأمويين، فقد أعاد زياد بن أبية بناءها مع المسجد، واستعمل في بنائها مواد بنائية جديدة مثل الرخام والآجر وغيرها،[4] ويبدو أن دار الإمارة لم تعد بعد فترة ولاية زياد بن أبيه أبيه مقراً لأمير البصرة، فكان لعبيد الله بن زياد، قصراً بعيداً عن المسجد يدعى الدار البيضاء،[5] ولما تولى الحجاج بن يوسف[6] ولاية البصرة، أمره الخليفة عبد الملك بن مروان بهدم دار الإمارة بحجة رغبته في تجديد تجديد بنائها إلا أنه لم يفعل، فتركها مهدمة على حالها،[7]أما الحجاج فقد اتخذ لنفسه قصراً فخماً بالبصرة سماه باسمه، بموضع قصرٍ قديم كان قد بناه الفرس،[8] ولم تُبني في البصرة دار إمارة حتى خلافة سليمان

---

[1] عيسى سلمان وآخرون: العمارات العربية الإسلامية في العراق، ج1، دار الرشيد، بغداد، 1982م، ص49_50.

[2] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص178.

[3] نخبة من أساتذة التاريخ: المدينة والحياة المدنية، ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988م، ص39.

[4] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص347.

[5] الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960م، ص293.

[6] هو أبومحمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، كان قائدا داهية وخطيباً مفوها، في سيف رهق، ولد بالطائف ثم انتقل إلى الشام، فقلده عبدالملك بن مروان أمر عسكره، ثم جعله على إمرة العراق سنة 20هـ، وهو الذي بنى مدينة واسط، وهو أول من ضرب درهماً عليه رسم " لا إله إلا الله محمد رسول الله"، توفى بالعراق سنة 95هـ. الزركلي: خيرالدين محمود بن محمد بن محمد بن علي بن فارس،الأعلام، ج2، ط15، دار العلم للملايين، دمشق، 2002م، ص168.

[7] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص433.

[8] العمري: مسالك الأبصار، مصدر سابق، ص248.

بن عبد الملك إذ أمر عامله على خراج العراق صالح بن عبدالرحمن[1] بإعادة بناء دار الإمارة، فبنيت بالجص والآجر على أُسسها الأولى.[2]

خطط الأهالي: تأسست مدينة البصرة منذ أول تخطيطها وفقاً للنظام القبلي مثل مدن الجزيرة العربية مكة والمدينة،[3] وذلك لأن القبيلة و رابطة الدم هي الأساس في المجتمع العربي آنذاك، فقسمت البصرة إلى خطط خطط سكنت كلاً منها عشيرة معينة، وسُميت باسم العشيرة التي سكنتها[4] وبسبب تزايد عدد السكان وتوافد الناس على البصرة، حيث أصبحت مركزاً لإرسال الجيوش إلى الشرق لمتابعة الفتوحات الإسلامية، فبلغ عدد سكانها في خلافة معاوية بن أبي سفيان 300 ألف نسمة،[5] فوضع زياد بن أبية تقسيمات كبرى وجعل البصرة خمسة أخماس، يضم كل خمس عدداً من العشائر من قبيلة معينة، وقِيل أن هذه الأخماس كانت موجودة منذ ولاية أبي موسى الأشعري[6] على البصرة،[7] فأعطت هذا التقسيم تنظيماً دقيقاً وهيئةَ منظمة للمدينة، فكان لكل خطة مسجدها ومقبرتها ورحبتها التي تربط فيها خيلها، وكان لرئيس القبيلة السلطة و الأمر النافذة على أفراد قبيلته داخل الخطة، فهو إمام صلواتها وقاضيها وحاكمها باسم الأمير، ذلك مما سهل على الولاة شؤون إدارة المدينة و استنفار الجند عند الحاجة.[8] وهذه الأخماس هي خمس أهل العالية وخمس وخمس بني تيم وخمس بني بكر بن وائل وخمس بني عبد القيس وخمس الأزد، وبالإضافة إلى هذه الأخماس

---

[1] هو صالح بن عبدالرحمن التميمي بالولاء، ويلقب بالكاتب، أصله من سبى سجستان، وهو أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية في العراق، جعله الحجاج بن يوسف كاتباً لديوانه حيث نقلها إلى العربية سنة 78هـ، ثم ولاه سليمان بن عبدالملك خراج العراق، وأقره عمر بن عبدالعزيز على عمله، استعفاه بعد ذلك فأعفاه. الزركلي: مصدر سابق، ج3، ص192.

[2] القصيري: مرجع سابق، ص30.

[3] ناجي: مرجع سابق، ص163.

[4] العلي: خطط البصرة، مرجع سابق، ص51.

[5] الراوي، ثابت إسماعيل: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسة والإدارية والاجتماعية، مكتبة النهضة، بغداد، 1965م، ص116.

[6] هو أبوموسى عبدالله بن قيس الأشعري، صحابي جليل، كان عالماً صالحاً تالياً لكتاب الله تعالى، وإليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، استعمله النبي ﷺ مع معاذ على اليمن، ثم ولاه عمر بن الخطاب إمارة البصرة والكوفة، توفى فى ذي الحجة من سنة 44هـ. ابن الأثير، أبوالحسن على بن أبى المكارم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري: أسد الغابة في تمييز الصحابة، ج6، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص306.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص163.

[8] عبدالستار: مرجع سابق، ص65.

هنالك طبوغرافيات لا تدخل ضمن الخطط القبلية،[1]اتخذها الناس محلات لسكانهم أمثال الخُربية والزابواقة والباطنة والزاوية.[2]

وقد امتازت مدينة البصرة إبان فترة الخلافة الأموية بكثرة المباني وفخامتها، وكانت البصرة غنية بالقصور، خصوصاً في أطرافها بعيداً عن مراكز المدينة،[3] أبرزها قصر أنس بن مالك[4] بالزاوية على بعد ميلين من المسجد، والقصر الأحمر الذي بناه عمرو[5] بن عتبة بن أبي سفيان، وقصر النواهق الذي بناه زياد بن أبيه، أبيه، وقصر النعمان[6]بن صهبان، وقصر المسيرين وغيرها، وقد شُيدت هذه الدور والقصور في غير خطط العشائر التي ينتمي إليها أصحابها، كما أن عدداً من الأفراد امتلك كل منهم أكثر من دار واحدة متفرقة في عدة أماكن،[7] وكذلك اشتهرت البصرة بمتنزهاتها الكثيرة، أشهرها وادي القصر، وقد كان النخيل يمتد في البصرة خمسين فرسخاً متصلاً، أما حمامات البصرة فقد عُرفت بفخامتها، أشهرها حمام فيل، وكانت الحمامات لا تبنى في البصرة إلا بإذن من الولاة.[8]

الأسواق: كانت مدينة البصرة خالية من الأسواق باستثناء سوق واحدة، وهي سوق المربد التي تقع في خارج المدينة عند ملتقى الطرق بين المدينة والبادية، وكانت هذه السوق تضم مختلف المبادلات التجارية.[9] وفي

---

(1) العلي: خطط البصرة، مرجع سابق، ص51.

(2) ناجي: مرجع سابق، ص163.

(3) العلي: خطط البصرة، مرجع سابق، ص53.

(4) هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك، اختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره، فقيل توفي سنة إحدى وتسعين، وقيل سنة اثنين وتسعين وقيل سنة ثلاث وتسعين، وكان عمره مائة سنة وثلاث سنين وقيل مائة وعشر سنين وقيل بضع وتسعون سنة، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، وكان موته بقصره بالطَّفِّ، ودفن هناك على فرسخين من البصرة. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، مصدر سابق، ج1، ص294.

(5) هو عمرو بن عتبة بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي العتيبي، كان من رجالات قريش وقدم على عمه معاوية وسمع منه ومن جماعة من الصحابة وسكن البصرة، ثم وفد على يزيد بن معاوية وعبدالملك بن مروان من بعده. ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص111.

(6) هو النعمان بن صهبان الراسبي، من رجال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه الذين قالوا يوم الجمل: من دخل داره فهو آمن. الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكوفي: الغارات، ج1، أنجمن اثار ملى، تهران، 1975م، ص467.

(7) العلي: خطط البصرة، مرجع سابق، ص53.

(8) الخربوطلي: تاريخ العراق، مرجع سابق، ص293_294.

(9). طرشاوي: مرجع سابق، ص83.

ولاية عبدالله[1] بن عامر بن كُريز، تم إنشاء سوق جديدة حيث اشترى عبد الله بعض الدور الواقعة على النهر النهر المنسوب إلى والدته"نهر أم عبد الله" فهدمها، واتخذ مكانها سوقاً، فكان سوق عبد الله السوق الرئيسية في داخل المدينة، إلا أنها لم تفِ بالغرض،[2] حيث كانت أشبه بفسحة واسعة من الأرض يعرض فيها الباعة الباعة بضائعهم في المكان الذي ينزلون فيه يومهم، فهي خالية من الأبنية ليست فيها دكاكين معينة للبائعين، وتباع فيها مختلف السلع من دون تخصيص،[3] وظلت هذه السوق من دون سقوف حتى ولاية زياد زياد بن أبيه الذي تولى بناء سقوفها، وتعد فترة ولايته من الفترات المهمة في مسألة تأسيس أسواق البصرة، ومن أهم إنجازاته بناء مدينة الرزق أو دار الرزق[4]، وقد شجع ذلك على بناء الوحدات المعمارية كالمحلات التجارية والحمامات،[5] وفي عام45هـ أمر زياد باستعمال القصب والخشب كأبواب للحوانيت، بعد أن تعرضت للسرقة عدة مرات، ثم استعملت الأقفال فيما بعد وخُصصت سوق معينة لصناعتها، ولتضليل الحوانيت استخدم القصب والقماش.[6]

وعندما ولي إمارة البصرة بلال[7] بن أبي بردة قام بتحويل سوق عبد الله من موقعه إلى نهر حفرة وسمي باسمه، فجعل بجانبي هذا النهر النافذ إلى المدينة الحوانيت وصار سوقاً مهمة في البصرة،[8] وبمرور الزمن وبالنظر للتطورات الكبيرة التي شهدتها مدينة البصرة لم تعد سوق بلال كافية لسد الاحتياجات اليومية لأهل المدينة، لا سيما بعد أن تحولت وظيفة مدينة البصرة من مدينة عسكرية إلى مدينة تجارية، فازداد نشاطها التجاري واجتذبت الأيدي العاملة والتجار من مختلف البلدان، الأمر الذي ساعد علىتعدد أسواقها وإعادة

---

[1]. هو عبدالله بن عامر بن ربيعة الأموي، ولي إمارة البصرة في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وسلم، ثم تولى إمرتها مرة ثانية في خلافة معاوية بن أبي سفيان لمدة 3 سنوات، ثم انصرف عنها فأقام بالمدينة، ومات بمكة عام 54هـ. الزركلي: مصدر سابق، ج1، ص167.

[2]. ناجي: مرجع سابق، ص167.

[3]. العلي: خطط البصرة، مرجع سابق، 127.

[4]. هي عبارة عن مجموعة من الأسواق تضمها دار واسعة، تحتوي على أربعة أبواب، وتقوم دار الرزق بوظيفة المخزن الكبير الكبير للطعام والمؤن التي توزع شهرياً كأرزاق للجند وعوائلهم، وتُعرف أيضاً بسوق الطعام. العلي، صالح: الإدارة في العهود الإسلامية الأولي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2001م، ص142.

[5]. عبدالستار: مرجع سابق، ص65_67.

[6]. الشهري: مرجع سابق، ص109.

[7] هو أبوموسى بلال بن أبى بردة الأشعري، أمير البصرة وقاضيها، كان فصيحاً بليغاً، ولاه خالد القسري إمارة البصرة سنة 109هـ، فأقام عليها حتى قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة 125هـ، فعزلة وحبسه حتى مات سجيناً. الزركلي: مصدر سابق، ج2، ص27.

[8]. العلي: التنظيمات الاجتماعية، مرجع سابق، ص238.

تنظيمها وفق المهن والبضائع المعروضة فيها،[1]وقد تعددت أسواق البصرة وصارت أسواقاً متخصصة، وفي داخل السوق يجتمع كل أصحاب مهنة في محل واحد مكونين سوقاً فرعية صغيرة داخل السوق الكبير، منها سوق الدباغين وسوق الطحانين وسوق القصابين وغيرها،[2] بالإضافة إلى أسواق فرعية في أماكن مختلفة من المدينة، فكان سوق البزازين في باب عثمان، وسوق القساطون قرب دار الرزق،[3] كما جُعلت بعض الدور للمبيعات فكان دار الزبير في الكلاء لتجارات أهل البحر، وتميزت هذه الدور بأن مكان البيع ثابت، ويمكن حفظ السلع فيها، وهي أشبه بالخانات،[4] وأشهرها سوق المربد[5] والتي كانت سوقاً للإبل وتباع فيها التمور والأسلحة، فحولت من سوق موسمية إلى سوق عامة ودائمة وشملت بداخلها سوق العطارين وسوق الوراقين وسوق الوزانين وغيرها.[6] وكانت الأسواق بالبصرة تخضع لرقابة موظف خاص يدعى عامل السوق يعينه الأمير، وهو يتمتع ببعض السلطات القضائية والتنفيذية، ويساعده عدد من الأعوان على القيام بواجباته في مراقبة وضبط السوق.[7]

مدينة الكُوفة

أصل التسمية: الكُوفة بالضم تعني الرملة الحمراء المجتمعة، وقيل المستديرة أو كل رملة مخالطها حصباء، أو الرملة ما كانت، والبعض يسمى الأرض التي فيها الحصباء مع الرمل والطين كوفه،[8]وقِيل سُميت بالكوفة بالكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب " رأيت كُوفاناً أوكَوفاناً " بضم الكاف وفتحها للرمال المستديرة، وقيل الكوفة هي القطعة من الأرض، حيث يقال: " أعطيت فلأنا كيفةً فالكوفة قطعة من هذا انقلبت الياء فيها واواً لسكونها وانضمام ما قبلها،[9] وقيل أن الكوفة من التكوف ويعني الإجتماع،[1] وذُكر أن سعد[2] بن أبي

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص167.

[2] العلي: التنظيمات الاجتماعية، مرجع سابق، ص238_239.

[3] ناجي: مرجع سابق، ص167_168.

[4] نخبة من أساتذة التاريخ: مرجع سابق، ج2، ص59.

[5] المربد هو أشهر موضع بالبصرة، كان سوقاً للإبل ثم صارت محلة عظيمة سكنها الناس وبها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء، ترسل إليها القبائل وفودها لحضور المناظرات الأدبية، وظلت أهميتها تزداد بازدياد أهمية مدينة البصرة وازدهار نشاطها التجاري. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص98.

[6] الخولي، علي مفتاح عبدالسلام: تخطيط المدن الإسلامية في العصر الراشدي "13هـ - 40هـ/ 634م - 661م"، دار زهران للنشر، الأردن_ عمان، 2011م، ص184.

[7] العلي: التنظيمات الإجتماعية، مرجع سابق، ص239.

[8] الزبيدي، أبوالفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ج12، دار الهداية، الكويت، 1965م،ص469.

[9] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص490.

وقاص رضي الله عنه عندما أراد أن ينزل بهذا الموضع قال للمسلمين: تكوفوا في هذا المكان، أي اجتمعوا فيه، وقال لهم: كوفوا هذه الرمال، أي اجمعوه، وقيل أنها سُميت بهذا الاسم نسبة إلى جبل صغير في وسطها، يقال له كوفان، وعليه اختطت، وقيل: سُميت بذلك نسبة إلى جبل "ساتيدسا" المحيط بها كالكفافة عليها، وقيل: أنها بُنيت في منطقة قديمة كانت تُعرف بكويفة بن عمر،[3] ويرى البعض أن تسمية الكوفة من أصل كلمة "كوبا" وهي آرامية، ثم حُرفت بعد الفتح الإسلامي وقالوا: كوفة، حيث عدوها من العربية، وقد ورد في تسميتها غير ذلك.[4]

الموقع والنشأة: شُيدت مدينة الكوفة في موضع منبسط، على الضفة الغربية للفرات الأوسط، شرقي مدينة الحيرة، وكان بينها وبين النهر لسان من الرمل، يقترب عمودياً من الفرات يسمى الملطاط،[5] وكانت توجد على حافة البادية مسلحة تحرس " جسر الزوارق" المنصوب على الفرات،[6] الذي يفضي إلى طريق يؤدي إلى المدائن، وفي هذا السهل الخصيب المحصور بين الفرات شرقاً والبادية الواسعة المطلة على مشارف الشام غرباً،[7] اختط المسلمون مدينتهم الجديدة، ويقع هذا الموضع عند دائرة عرض إحدى وثلاثون درجة وثلثان، بينما يقطعه خط طول تسع وستون درجة ونصف شرقاً، ويتضمن هذا الموقع مساحة بلغت حوالي ستة عشر ميلاً وثلثي الميل.[8]

وكان تأسيس مدينة الكوفة إحدى الضرورات الحربية التي فرضتها دواعي الفتح الإسلامي لبلاد فارس في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه،[9] حيث أمر قائد جيشه المرابط على ثغر بلاد فارس

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص275.

[2] هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، وهو رضى الله عنه أحد العشرة المشهود له بالجنة وأحد أصحاب الشورى الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، استنابه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الكوفة وهو الذي بناها وهو الذي فتح المدائن، توفى بقصره بالعقيق سنة إحدى وخمسين وقيل ست أو ثمان وخمسين. ابن حجر: الإصابة، مصدر سابق،ج2، ص31.

[3] البراقي، السيد حسين بن السيد أحمد النجفي: تاريخ الكوفة،ط4، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1978م، ص109.

[4] الجنابي، كاظم: تخطيط مدينة الكوفة "عن المصادر التاريخية والأثرية خاصة في العصر الأموي"، مطابع دار الجمهورية، بغداد، 1967م، ص16.

[5] هو طريق على ساحل البحر، وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملطاط. النويري: مصدر سابق، ج19، ص285.

[6] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص82.

[7] الموسوي: مرجع سابق، ص82.

[8] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج24، ص492.

[9] الموسوي: مرجع سابق، ص83.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، بأن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيرواناً، يرابط فيه الجنود يسمونها أحياناً المقاتلة وأحياناً المهاجرة،[1] فتخير سعد رضي الله عنه المواقع[2] التي تلائم العرب وإبلهم من حيث البيئة والمناخ، ثم نزل بهم موضع الكوفة، فاخطتها و أقطع الناس المنازل وأنزل القبائل منازلهم، وبنى مسجدها وذلك في سنة 17هـ.[3] وقد أشرف على بنائها وتخطيطها أبو الهياج بن مالك الأسدي[4] فاختط شوارعها وأزقتها وأسس جامعها، وجعل المسجد ودار الإمارة في وسط المدينة حيث تتفرع الطرق والدروب،[5] وقد أمرهم الخليفة الفاروق بعدم الإسراف في البنيان قائلاً: " افعلوا، ولا يزيد أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان، وألزموا السُنة تلزمكم الدولة"،[6] وتُعد الكوفة المدينة الإسلامية الثانية التي شُيدت خارج الجزيرة العربية بعد البصرة، وقد ارتبط المصران ارتباطاً قوياً بحيث صار يُطلق عليهما اسم العراقين أو المصرين.[7]
المصرين.[7]

الكوفة وتطورها العمراني إبان العصر الأموي: نمت مدينة الكوفة وتحضرت وكثر فيها العمران ووصلت أوج عظمتها في العصر الأموي، على الأخص قبل بناء مدينة واسط، حيث كان بها مقام ولاة بنو أمية و دار إمارتهم، وقد اهتم الولاة بعمارتها،[8]فعندما ولي زياد بن أبية العراق قام بإعادة تنظيم كل من الكوفة والبصرة بما يؤمن الاستقرار والنظام،[9] وفي عهده أصبح الآجر هو المادة الرئيسة المستعملة في البناء، فأخذ أهل الكوفة يشيدون دورهم به بدلاً من الطين و اللبن، وإليه تنسب الكثير من الأعمال العمرانية والحضارية

---

[1] البلاذري: فتوح البلدان، ص274.

[2] نزل سعد قبل تمصير الكوفة بالمدائن فاستوخموها ثم تحولوا إلى الأنبار، ثم إلى موضع آخر فلم يصلح فأتوا موضع الكوفة فنزلوا به وهو موضع على الشاطئ الغربي من نهر الفرات فنزلوا على بعد ثلاثة أميال جنوبي الحيرة. أبويوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري: الخراج، تحقيق: طه عبدالرؤسوف وسعد حسن، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت، ص17.

[3] البلاذري: فتوح البلدان، ص279.

[4] اسمه حيان بن حصين الكوفي، تابعي روى عن علي وعمار رضي الله عنهم أجمعين. المزي، أبوالحجاج جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج23،تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ص383.

[5] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج4، ص191_192.

[6] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج2، ص412.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص181.

[8] القصيري: مرجع سابق، ص34.

[9] نخبة من أساتذة التاريخ: مرجع سابق، ج2، ص46.

بالعراق.[1] ومن أهمها الحمامات التي أقيمت بالبصرة والكوفة خلال فترة ولايته على العراق، وكانت تبنى خارج حدود المدينة، ثم تكاثرت بعد مدة فصارت تبنى داخل المدينة، وكان عدد الحمامات المعروفة بالكوفة خمسة حمامات، حمامان كانا خارج المدينة وثلاثة داخلها.[2]ومن أهم المنشآت المعمارية التي شيدها الأمويون بالكوفة القنطرة أو الجسر المبني وهو جسر دائم من المراكب على نهر الفرات، يعبر عليه من الكوفة إلى أرض السواد، وكان ضيقاً نسبياً ولما كثر عليه الزحام قام عمر بن هبيرة ببناء قنطرة بمواد صلبة في عام 103هـ، ثم قام القسري بتجديد بنائها وحسنها، وقدجرى إصلاحها عدة مرات بعد ذلك إبان العصر الأموي.[3]

المسجد الجامع: هو أول ما اختط بالمدينة عندما عزموا على بنائها، وكان على هيئة مربعة مكون من صحن وظلة للقبلة، شُيد بالقصب ثم أُعيد بناؤه من اللبن والطين،[4] وقد تكامل تخطيط المسجد في عهد زياد زياد بن أبيه، حيث قام بإعادة بنائه بالآجر والجص، ورفع سقفه على أعمده أسطوانية[5] من الرخام،[6] و أصبح المسجد يتكون من صحن أوسط مكشوف و أربع ظلات مسقوفة لم يكن لها جدران و إنما كانت كالرواق مفتوحة من كل جوانبها، وكان ذلك في سنة 50هـ–670م،[7] وبعد إصلاحات زياد أصبح المسجد يسع ستين ألفاً بعد أن كان لا يسع غير أربعين ألفا مصلى فقط،[8] وبقى كذلك حتى ولاية الحجاج الثقفي فقام بهدمه وإعادة بنائه من جديد،[9] وبذلك أصبح مسجد الكوفة فريداً بين مساجد زمانه، مما دفع الشعراء إلى الإشادة به، ومما قِيل فيه:

لعمرك ما من مسجد بعد مسجد **** بمكة ظهراً أو مصلى بيثرب

بشرق ولا غرب علمنا مكانه **** من الأرض معموراً ولا متجنب

---

[1] الموسوي: مرجع سابق، ص90.

[2] جعيط: مرجع سابق، ص295.

[3] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج6، ص207.

[4] عيسى سلمان وآخرون: مرجع سابق، ج1، ص57.

[5] تجلب هذه الأساطين ورخامها من جبال الأهوار وكانت تنقر ثم تثقب وتصب في ثقوبها الرصاص والحديد " السفافيد"، وبعد وبعد ذلك يرفع عليها السقف ويجعل لها مجبنات ومواخير. الجنابي: مصدر سابق، ص109.

[6] عبده: الأمويون وآثارهم المعماري، مرجع سابق، ص179.

[7] العلي، صالح أحمد: الكوفة وأهلها في صدر الإسلام " دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم"،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003م، ص46.

[8] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج7، ص297.

[9] البراقي: مرجع سابق، ص16.

بابين فضلاً من مصلى مبارك **** بكوفان رحب ذي أراس ومحصب[1]

دار الإمارة: تعد دار الإمارة في الكوفة من أقدم ما عُثر عليه من عمائر إسلامية في العراق،[2] بناها الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص جوار المسجد، وجعل فيها بيت المال، وسكن ناحيته،[3] وعندما آلت الخلافة إلى بني أمية، قام زياد بن أبيه بإعادة بناء دار الإمارة على طراز القصور الفارسية[4] وأحاطها بسور بسور خارجي، كما قام بتدعيم وإعادة بناء السور الداخلي، وقد استخدم في ذلك البناء الآجر والجص،[5] وفي وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان جرت على دار الإمارة تعميرات وتجديدات،[6] فأصبحت الدار تتألف من وحدات بنائية عديدة لكل منها فناء واسع ويحيط بها سوران داخلي وخارجي مربعا الشكل، ويبلغ طول ضلع السور الخارجي 170مترا، وهو مبني بالآجر والجص وتدعمه أبراج نصف دائرية، ستة منها في كل ضلع عدا الضلع الشمالي الذي يدعمه برجان فقط، أما السور الداخلي فيتصل ببناية القصر الرئيسة وهو مربع الشكل طول ضلعه 110مترا، ودُعم بأبراج نصف دائرية أربعة أبراج على كل من أضلاعه الأربعة.[7]

خطط الكوفة: كانت خطط الكوفة من جانبين، شرقي الجامع وهو الأفضل والأقرب من الماء لليمانيين، وغربي الجامع لبني نزار، وقد قسمت إدارتها إلى أسباع على كل سبع زعيم يقوم بإدارته،[8] وعندما ولي زياد بن أبيه إمارة العراق قام بإعادة تنظيم خطط الكوفة، فجعلها مقسمة إلى وحدات عشائرية تتكون كل واحدة من ألف مقاتل وقسم العشائر إلى عدة وحدات صغيرة، أما العشائر القليلة العدد فضمها إلى عشائر أخرى ليصبح العدد ألف مقاتل، ويقوم هذا التنظيم على أُسس عشائرية فكل وحدة تسمى باسم العشيرة التي ينتمي إليها أفرادها، كما أن العشائر الصغيرة التي ضُمت إلى غيرها قد احتفظت بوحدتها الاجتماعية والنسبية،[9] وبهذا التنظيم جعل زياد خطط الكوفة أرباعا بدلاً من الأسباع التي كانت عليها في السابق،[10] وصار هذا

---

(1) حسن: مرجع سابق، ص426.

(2) جعيط: مرجع سابق، ص218.

(3) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج4، ص46.

(4) حسين، بثينة: الدولة الأموية ومقوماتها الأيدلوجية والاجتماعية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، د.ت، ص271.

(5) العلي: الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، مرجع سابق، ص81.

(6) القصيري: مرجع سابق، ص37.

(7) القصيري: مرجع سابق،ص37_38.

(8) البراقي: مرجع سابق، ص141.

(9) نخبة من أساتذة التاريخ: مرجع سابق، ج2، ص46_48.

(10) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق،ج4،ص48.

التنظيم الرباعي[1] سمة لها، حتى أصبحت توصف بالمدينة البرية البحرية المربعة،[2] وسار عبيد الله على سيرة أبيه في التعمير والإنشاء وكان من أبرز منشآته بالكوفة الدار البيضاء[3]، وقد اهتم خالد القسري[4] والي والي هشام بن عبد الملك على العراق بالتعمير والبناء،[5] فاشترى خططاً كثيرة بالكوفة وبنى بها مباني عديدة عديدة أشهرها بيعة[6]خالد ثم اتسعت الكوفة و ازداد عدد سكانها،[7] فقام يزيد[8]بن عمر بن هبيرة ببناء مدينة مدينة جديدة بالكوفة على نهر الفرات، ثم بناء قصر بالقرب من جسر سورا[9]. وكانت الكوفة أحسن هواء و أعذب ماء من البصرة، لكنها رغم ذلك تعرضت لمرض الطاعون، كما تعرضت لبعض الزلازل، فكان لها أثرها على المدينة وخططها وأهلها.[10]

---

[1] قسمت أرباع الكوفة كالأتي: ربع أهل العالية وربع ربيعة وكندة وربع منحج وأسد، وبقى هذا النظام معمولاً به حتى زوال شأن الكوفة وانحطاطها في أوائل القرن الرابع الهجري. ماسينيون، لويس: خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي الدين بن محمد المصعبي، بيت الورق، الرياض،2009م، ص29.

[2] ابن الفقية: مصدر سابق، ص164.

[3] هي دار عمرها عبيدالله بن زياد بالكوفة، وقد أمر بأن لايمنعوا أحدا من دخولها، وجعل باب القصر الأبيض الذي كان يعود يعود لكسرى عليها، وكان يقضى الصيف في البيضاء بالكوفة والشتاء بالحمراء وهي دار بناها بالبصرة. القيسي، عاطف عباس حمودي: ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص136.

[4] هو أبوالهيثم خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي أمير العراقين في خلافة هشام بن عبدالملك وولي قبل ذلك مكة للوليد وسليمان ابنى عبدالملك بن مروان. الذهبي:أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج5، ص426.

[5] ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، ج2، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص210.

[6] وهي منسوبة لخالد بن عبدالله القسري أمير الكوفة، بناها لأمه وكانت نصرانية وبنى حولها حوانيت بالآجر والجص ثم صارت تُعرف بسكة البريد وهي بموضع في الجهات الجنوبية الشرقية من المسجد الجامع. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص769.

[7] قد بلغت مساحة الكوفة خلال العصر الأموي ستة عشر ميلاً وثلثى ميل، وكان بها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرون داراًلسائر العرب وسته آلاف دار لليمانية. نفسه: ج7، ص297.

[8] وهو يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية الفزاري، أصله من الشام ولي قنسرين للوليد بن يزيد بن عبدالملك، وكان مع مراون بن بن محمد يوم غلب على دمشق فجمع ولاية العراقيين، وهو آخر من جمع له ولاية العراقيين ابان خلافة بنى آمية. الصفدي: مصدر سابق، ج28، ص15_18.

[9] وهو جسر على نهر سورا، وسورا هو قسم من نهر الفرات يمر بقرى وضياع عديده، وتتفرع من أنهار كثيرة تسقى طوج سورا. سهراب: عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمار، مطبعة أدولف هوكزهوزن، فينا، 1929م، ص124.

[10] الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، مرجع سابق، ص299.

الأسواق: عندما اختطت مدينة الكوفة في المرحلة الأولى، خُصص صحنها ليتضمن المسجد الجامع و دار الإمارة والأسواق، وبقى كذلك كي لا تتجاوز عليه القبائل أو الخطط السكنية،[1]وقد كانت الأسواق في بادئ الأمر، أرضاً خالية من الأبنية وليست فيها دكاكين أو محلات تجارية مثبتة للبائعين،[2] وليس لها سقوف، سوى أن الباعة كانوا يصنعون الحصران لتظلهم في الأماكن التي يختارونها، ولم تكن هناك مواقع محدودة للباعة، فالسوق مثل المسجد من سبق إلى مكان فهو أحق بما جلس عليه، فإذا قام فجلس عليه آخر كان الآخر أحق به من الأول،[3]وبقيت الأسواق على هذه الهيئة غير المستقرة فترة من الزمن، حتى ولاية خالد القسري فهو أول من أنشأ السوق التجارية المتكاملة بالكوفة،[4] حيث بنى عددا من الحوانيت تطل على عدد من الشوارع، وجعل لكل منها سقوفاً بالآجر والجص،[5] وخصص لكل نوع من التجارة شارعاً معيناً، فتمددت الأسوق من جسر الكوفة حتى مركز المدينة، ومنها شاع هذا النظام في مختلف أسواق المدن الإسلامية بعد ذلك،[6] وبنى أخوه أسد[7] القسري سوقاً أخرى حملت اسمه "سوق أسد" ثم حول إليها الحوانيت، ولعلها كانت كانت سوقاً جديدة أو ملحقة بالسوق التي أسسها خالد من قبل،[8] وجعل عدد من أصحاب القطائع دُرهم أسواقاً، منها دار الوليد للقصارين، ودار عمرو بن حريث لأصحاب الخز، ودار بن حكيم بها أصحاب الأنماط،[9] وانشئت حوانيت يؤخذ من شاغليها أجور وكانت السوق بالقرب من المسجد الجامع بالكوفة،[10]ومن أهم الأسواق والمراكز التجارية بالكوفة دار الرزق التي تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات، فقد بنيت في بادئ الأمر لتكون مخزناً لجمع غنائم الحرب وبيعها،[11] بالإضافة إلى الكناسة[12]التي بها عدد

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص198.

[2] العلي: خطط البصرة ومنطقتها، مرجع سابق، ص127.

[3] الخيرو: رمزية عبدالوهاب، إدارة العراق في صدر الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م، ص171.

[4] اليعقوبي: البلدان، مصدر سابق، ص76.

[5] الحداد: عبدالله عبدالسلام، مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 2003م،ص68.

[6] البلادري: فتوح البلدان، مرجع سابق،ص284.

[7] وهو أسد بن عبدالله القسري البجلي، أمير من الأجواد والشجعان، ولد ونشأ في دمشق وولاه أخو خالد إمارة خراسان سنة 108هـ، فأقام فيها زمناً وجدد بناء مدينة بلخ وأنزل بها جيشه. الزركلي: مصدر سابق، ج1، ص291.

[8] جعيط: مرجع سابق، ص295.

[9] العلي: الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، ص100.

[10] نخبة من أساتذة التاريخ: مرجع سابق، ج2، ص59.

[11] الدوري، عبدالعزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1948م، ص132.

[12] وكانت الموضع أولاً كناسة لبني أسد، أي محل رمي الأنقاض والقمامة لهذه القبيلة عند مخرج الكوفة من الغرب، ومن ثم أصبحت تجارة النقليات وصناعتها متمركزة هناك بطبيعة الحال لأنها كانت مناخة لإبل القوافل وموضعاً لتحميل البضائع

من المخازن وأسواق الإبل والمنتجات الصحراوية،[1]وهي مثل مربد البصرة في اتخاذها مكاناً لمفاخرات الشعراء وكانت تجاور البادية،[2]وسوق البرراذين وهي سوق لشراء واستئجار الحمير والبغال والإبل وغيرها، وتقع هذه السوق بجانب سوق الحدادين، وسوق الصاغة وهي التي تصنع فيها المصوغات الذهبية كالحلي وأدوات الزينة وقد أصحبت هذه السوق أهمية كبرى حيث أوغل أهل الكوفة في حياة الترف وازداد اهتمامهم بالكماليات وأدوات الزينة،[3] وأيضاً هنالك أسواق خاصة بالصيارفة والسماسرة وكان حوانيتهم بجوار مسجد بني جذيمة، وكان هؤلاء الصيارفة أكثرهم من النصارى الذين نزحوا من الحيرة واستوطنوا الكوفة، فأصبحوا يتحكمون في المسكوكات الفارسية الفضية والبيزنطية الذهبية.[4]وقد وضعت جميع هذه الأسواق تحت مراقبة دقيقة، فقد اهتم ولاة بنو آمية بتفتيش الأسواق، وتفقد المكابييل والموازين ومراقبة الأسعار، ذلك مما جعل التجارة تزدهر وتتوسع بالكوفة ابان العصر الأموي.[5]

وقد أشرفت البصرة والكوفة على الشئون الإدارية في العراق وماجاوره شرقاً وشمالاً من الأقاليم المفتوحة، باعتبارهما مصرين أنشأهما العرب المسلمون لأغراض الإدارة والفتح فكانت البصرة ولاية تُدير شؤون جنوب العراق وما ارتبط به من أقاليم البحرين و أقاليم فارس وسجستان وكرمان، أما ولاية الكوفة فهي تُدير الإقليم الأوسط من العراق وما اتصل به إدارياتً من أقاليم الجزيرة وأرمينية و أذربيجان وبلاد الجبل وخراسان وبلاد فارس.[6]

وتفريغها، وبها سوق البغال والحمير والإبل بجانب سوق الحدادين وبها سوق خاصة لبيع الرقيق. ماسينيون: مرجع سابق، ص56.

(1) الشهري: مرجع سابق، ص110.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص114.

(3) هادي، رعد صالح: أسواق العراق الإسلامية في العصر الأموي، مجلة دراسات تربوية، العدد الرابع والعشرون، تشرين الأول 2013م، ص 167_168.

(4) الزبيدي،محمد حسين: الحياة الإجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، المطبعة العالمية، القاهرة، 1970م، ص163.

(5) الخربوطلي: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، ص374_375.

(6) لسترنج، كي: بلدان الخلافة الشرقية، ط2، ترجمة بشير قرانيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص19_20.

مدينة واسط

أصل التسمية: ذكر المُؤرخون والجغرافيون عدة أسباب لتسميتها بواسط، فقيل: لأنها تتوسط بين البصرة والكوفة والأهواز،[1] إذ أن بين واسط وكل هذه المدن خمسين فرسخاً،[2] وقيل إنها سُميت واسطاً لأن الموضع الذي اختاره الحجاج لبناء مدينته كان يُسمى واسط القصب،[3] وهي قرية أو موضع يقع على الجانب الغربي من نهر دجلة،[4] وقيل إن أرضها كانت أرض قصب لذلك سُميت واسط القصب،[5] وقيل إنها سُميت باسم القصر الذي بناه الحجاج بين البصرة والكوفة،[6] وقيل إن الحجاج عندما فرغ من بناء مدينته، كتب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان قائلاً:" إني اتخذت مدينة في كرش[7] من الأرض بين الجبل والمصرين وسميتها واسطا"،[8] وُذكر أن هنالك اثنين وعشرون مدينة وقرية وموضعاً يطلق عليها اسم واسط، واسط، أشهرها واسط العراق التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفى.[9]

موقع المدينة ودوافع بنائها: بذل الحجاج عناية فائقة في اختيار الموقع المناسب لبناء مدينته الجديدة، فأرسل الرواد، ووجه الأطباء[10] ليرتادوا له موضعاً مناسباً، كما شارك بنفسه في عملية البحث عن المكان

---

[1] وتسمي خوزستان وهي سبع كور بين البصرة وفارس، ولكل كورة اسم ويجمعهن الأهواز، أما البلد الذي يغلب عليه اسم الأهواز هي منطقة سوق الأهواز من كورها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص284.

[2] ابن المنجم، إسحاق بن الحسين: آكام المرجان في ذكر المدائن المشورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ، ص7.

[3] بحشل، أسهل بنسهل بن حبيب الرزاز الواسطي: تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، 1968م، ص40.

[4] ناجي: مرجع سابق، ص293.

[5] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص298.

[6] الزمخشري، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد: الجبال والأمكنة والمياة، تحقيق أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة، للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص224.

[7] الكرش هو نبات ينبت في الشتاء ويهيج في الصيف، وهو عشب الربيع يلصق بالأرض ولايكاد ينبت إلا في السهل، ويعد من أنجع المراتع تُسمن عليه الإبل والخيل. ابن منظور: مصدر سابق، ج12، ص70.

[8] البلاذري: فتوح البلدان، ص355.

[9] ياقوت الحموي، أبي عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله: المشترك وضعاً المفترق صقعاً، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م، ص431.

[10] قد أكد له الأطباء بأن المكان صالح للسكن، طيب الهواء، عذب الماء، يستمرء طعامه وشرابه، وكان ذلك بعد إجراء اختبارات عديدة للتحقق من طيب مناخها، حيث كانوا يعلقون قطع اللحم في مواضع متفرقة أصلحها ما أفسد اللحم بعد غيره. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص753.

المطلوب،[1] الذي وُضعت له صفات معينة يجب توفرها قبل البدء في عملية البناء، وهي أن يكون الموقع مرتفعاً وعلى ضفة نهر جار عذب الماء،[2] وأن يكون مناخ المنطقة جيداً، وأن يكون في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين، وأن يكون موضعاً صحياً خال من الحشرات والهوام غير موبوء، ملائم للسكن،[3] فوقع فوقع الاختيار على موضع مرتفع من الأرض، يتوسط ما بين الكوفة والبصرة والأهواز، فأعجب به الحجاج نظراً لما يتمتع به هذا الموضع من مزايا عسكرية ومناخية واقتصادية، فبعث من يشتري له[4] الموضع ليقيم عليه مدينته، وذلك بعد أن أذن له الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك.[5]

وتقع مدينة واسط[6] في جنوب العراق، على جانبي نهر دجلة في موضع يتوسط البصرة والكوفة، وتمتد في سواد العراق ما بين بغداد شمالاً والبصرة جنوباً والأهواز شرقاً والكوفة غرباً،[7]ولقد كانت مدينة واسطمنذ تأسيسها، ذات شطرين يفصل بينهما نهر دجلة، الشطر الشرقي وهو أقدمها، وكان فيه قبل مجيء الحجاج بلدة ساسانية قديمة تُسمى كسكر[8]، فاستحدث الحجاج بلدته قبالتها على شاطئ دجلة الغربي،[9]وجعل بينهما بينهما جسراً من السفن، وخص بها العرب ولم يسمح لغيرهم من الأقوام بسكنها إلا بعد وفاته، حيث اختلط العرب بالعجم على مر الزمن،[10]واتخذ الشطران الشرقي والغربي يتمازجان شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مدينة واحدة أطلق عليها البلدانيون اسم واسط.[11]

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج2، ص126.

[2] طه، عبدالواحد ذنون: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1985م، ص154.

[3] عيسى سلمان وآخرون: مرجع سابق، ج1، ص68.

[4] كان موضع واسط لرجل من الدهاقين يقال له داوران، فساومه بالموضع فابتاعه منه بعشرة ألف درهم، وابتدأ في البناء في أول سنة 83هـ وأتمه في سنة 86هـ. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، صص401_402.

[5] القصيري: مرجع سابق، ص48.

[6] تقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الحى في محافظة واسط على بعد 15كم، وتدعى بين سكان المنطقة المنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل المدينة القديمة وهما في غاية الفخامة من الناحيتين المعمارية والزخرفية. فرنسيس، بشير يوسف: موسوعة المدن والمواقع في العراق، ج2، E_Kutubltd، لندن، 2017م، ص122.

[7] بحشل: مصدر سابق، ص22.

[8] وهي بلدة ساسانية قديمة يسكنها الفرس والنبط وهم الأرميون، وهي ناحية بين واسط والبصرة على طرف البطيحة، وهي نيف وثلاثون فرسخاً في مثلها وكانت قرى ومزارع في زمن الأكاسرة. القزويني: صدر سابق، ج1، ص446.

[9] بحشل: مصدر سابق، ص23.

[10] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، 322ص.

[11] المعاضيدي، عبدالقادر سلمان: واسط في العصر العباسي " 324هـ _ 656هـ/ 953م _ 1356م"، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م، ص101.

وقد أورد المؤرخون أسباباً عديدة دفعت الحجاج بن يوسف لبناء مدينة واسط، أولها الحاجة إلى ازدواجية الإدارة، فعندما جاء الحجاج والياً على العراق، أخذ ينتقل في إقامته كسابقيه من الولاة بين الكوفة والبصرة، حسبما تقتضي الظروف الإدارية والحربية،[1] فرأى أنه من الضروري اتخاذ مكان وسط بين المدينتين، يؤمن يؤمن من خلالها السيطرة الكاملة على الولاية.[2] ثانياً: انتشار حركات التمرد وكثرت الفتن التي أيدها أهل الكوفة والبصرة الناقمين على الحجاج و حكام بني أمية، فأدرك الحجاج تماماً حقد سُكان هاتين المدينتين عليه،[3] فأخذ يفكر ببناء مدينة جديدة تكون مقراً لإدارة ولايته الواسعة يطمئن بها على نفسه وأعوانه بعيداً عن أهل البصرة والكوفة.[4] ثالثاً: عزل جند الشام عن أهل العراق، وإبعادهم عن التيارات السياسية المختلفة والحياة الاجتماعية المترفة التي يعيشها أهل البصرة والكوفة آنذاك، وحفاظاً على روحهم العسكرية وانضباطهم وعدم انتقال روح الثورة والتمرد إليهم من أهل العراق، فبنى مدينته الجديدة ونقل إليها جند الشام وجعل منها مركزاً لقمع الثروات والفتن بالعراق،[5] وبذلك أصبحت واسط مركزاً إدارياً للإشراف على ولاية العراق، كما أصبحت المركز الوحيد لسك الدراهم بين عامي 104-128هـ،[6] فأقبل أهل العراق على استيطان واسط وبناء المنازل بها، يشجعهم على ذلك خصب أرضها، كما أنها أصح هواءاً من البصرة،[7] وكان أهل العراق يقصدونها للتفرج والتنزة، ولذا كثرت بها الفنادق،[8] وكان الحجاج يدقق في اختيار عناصر سكان واسط فلم يكن يدخلها أحد إلا بأذنه،[9]كماأنه لم يغفل الدافع العسكري في بناء المدينة، لأن اختيار موضعها المتوسط بين مدن العراق، ووجود دجلة في شرقها و الفرات في غربها، جعلها حصناً منيعاً[10]للحجاج ومن جاء بعده

---

(1) ابن خياط، أبو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة: تاريخ ابن خياط، ج1، مطبعة الآداب، النجف، 1967م، ص295.

(2) الموسوي: مرجع سابق، ص113.

(3) فلهاوزن، يوليوس: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ط2، ترجمة محمد عبدالهادي أبوريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م، ص203.

(4) الجنابي، جنان خضير منصور: المسكوكات الأموية المضروبة بمدينة واسط، رسالة ماجستير ، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 2003م، ص9.

(5) فلهاوزن: مرححع سابق، ص203.

(6) نخبة من أساتذة التاريخ: مرجع سابق، ج2، ص11.

(7) الأصطخري: مصدر سابق، ص82.

(8) الدينوري: الأخبار الطوال، مصدر سابق، ص339.

(9) الأصفهاني: أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، الأغاني، ج8، دار إحياء التراث التراث العربي، بيروت، 1415هـ، ص370.

(10) كان إذا ماقامت حرب في إحدى المدن فإنه يصعب على الثائرين العبور من دجلة أو الفرات إلى واسط، إذ ما قطعت الجسور، حيث أحاطها الحجاج بسور وخندق فلا يمكن الدخول إليها إلا من خلال الأبواب، وذلك لزيادة مناعتها ومقاومتها

من ولاة بنو أمية على العراق.[1] ومن ناحية اقتصادية أرادها الحجاج بأن تكون في موضع خصب،[2] بأراضٍ غير مستهلكة لتكون مورداً أساسياً لإيرادات الدولة، فضلاً عن توفير المواد الغذائية والاستهلاكية،[3] وقد منحها هذا الموقع أهمية تجارية عظيمة وجعل منها ملتقًى لطرقٍ برية وبحرية عديدة، ساعدت على تنشيط الحركة التجارية وتبادل السلع بين البلدان.[4]

تخطيط وبناء المدينة: اختلفت آراء المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ البدء في إنشاء مدينة واسط، إلا أن جُلهم يتفق على أن الحجاج قد شرع في بنائها سنة81هـ واستمر في البناء حتى نهاية82هـ، وأصبحت جاهزة للسكن في بداية عام 83هـ وقيل 86هـ،[5] وعلى الرغم من أن تخطيط مدينة واسط يُعد استمراراً لتخطيط البصرة والكوفة، إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطوراً، نتيجة تغيير الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة الإسلامية.[6] ونلتمس هذا التطور في خطط المدينة، حيث جاءت غير قبائلية، وإنما مهنية و إقليمية من حيث تقسيم الخطط، بخلاف خطط المدن السابقة لها،[7] حيث قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي إلى مركز المدينة، وقد جعل الحجاج المسجد الجامع و دار الإمارة في مركز المدينة بالقسم الغربي منها،[8] وبالقرب منهما أُقيمت الدواوين والمؤسسات الإدارية ودار الرزق والسجن الذي يُعرف بالديماس،[9] وكانت هذه المنشآت تؤلف قسماً منفرداً من أقسام المدينة له كيانه الخاص، حيث تُرك فراغاً حول هذا القسم يُسمى بالرحبة،[10] ليشرع منه الطرق، ثم عُين مكان السوق العامة منه، وبعد ذلك

ضد أي عدو أو ثائر. المعاضيدي: عبدالقادر سلمان، واسط في العصر الأموي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986م، ص73_74.

[1] ابن رسته: مصدر سابق، ص178.

[2] أفاض البلدانيون والمؤرخون العرب في ذكر الأراضي الزراعية التابعة لمدينة واسط، فقيل: إنها خصيبة كثيرة الشجر والنخيل والزرع وليس لها بطائح وأراضي رساتيقها متصلة معمورة. الإصطخري: مصدر سابق، ص58.

[3] علي: ندى جواد محمد، نافذة على مدينة واسط في العصر الأموي والعباسي " دراسة في مورفولوجية المدينة"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، 2014م، ص447.

[4] لسترنج: مرجع سابق، ص55.

[5] الموسوي: مرجع سابق، ص122.

[6] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص183.

[7] عيسى سلمان وآخرون: مرجع سابق، ص44.

[8] القيصري: مرجع سابق، ص49.

[9] ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج6، تحقيق محمد عبدالقادر ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص189.

[10] الموسوي: مرجع سابق، ص119.

شرع المخططون يقطعون القطائع ويقيمون فيها المرافق والدور والخطط،[1] وقد أُحيطت المدينة بسور وخندق وكان السور على شكل نصف دائرة يطوف بها من الشمال والغرب والجنوب الغربي ويحميها من شرقيها نهر دجلة، ثم تمددت المدينة من الجانب الشرقي فصار النهر في وسطها،[2] وجعلت على مداخل المدينة أبواباً حديدية، وكان لا يسمح للغُرباء بالمبيت فيه، حيث تغلق أبوابها عند المغيب، ولقد بلغت تكلفة بناء هذه المدينة خراج العراق لمدة خمس سنوات.[3]

المسجد الجامع: هو أول جامع يُشيد بمدينة واسط، بناه الحجاج بن يوسف عندما شرع في بناء المدينة سنة 81هـ–700م، وكان يقع في وسط المدينة مجاوراً للقصر،[4] أما شكل الجامع فإنه كان مربعاً تقريباً، وذلك لأن بين بأضلاعه الأربعة فروقاً يسيره، ومساحته مائتي ذراع في مثلها، أي أن أطوال أضلاعه شبه متساوية وطول الأضلاع ما بين "103–104" متر ما بين الطول والعرض،[5] وقد كانت أُسس الجامع وجدرانه مبنية مبنية بالآجر والجص ويتراوح سمك أضلاع هذه الأُسس ما بين" 2,40–2,60"،[6] ترتكز سقوفه على أعمدة أعمدة أسطوانية من الحجر الرملي، بحيث يتألف كل عمود منها من عدة مدورات يُجمع بينها بواسطة سفور حديدي أو رصاصي يمر في وسطها، وتتميز هذه الأعمدة بزخرفتها النباتية والهندسية المحفورة عليها،[7] ومن الداخل احتوى المسجد الجامع على صحن مستطيل الشكل مغطى بخمس بلاطات، يتألف كل منها وكل من تسعة عشر رواقاً، ويوجد في مؤخرة الصحن بلاطة واحدة فيها تسعة أروقة تقابل المصلى بنيت من الآجر،[8] وكانت أرضية المسجد مفروشة بالطابوق الأحمر، ثم استبدلت بالأصفر، وكان الدخول يتم من خلال أحد عشر باباً، أربعة منها في كل من الرواقين الجانبين والبقية في جدار المؤخرة،[9] وكانت في

---

(1) بحشل: مصدر سابق، ص39.

(2) ثريا محمود عبدالمحسن وآخرون: الجانب العمراني لمدينة واسط وسبل التحصينات الدفاعية فيها " دراسة تاريخية في جذور جذور بناء أقدم مدينة مدورة في العراق بعد الإسلام"، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، القاهرة، 2006م، ص66.

(3) بحشل: مصدر سابق، ص21_23.

(4) المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، مرجع سابق، ص127.

(5) يوسف، شريف: تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م، ص201_253.

(6) أبداح، ميسون علي: المدينة الإسلامية نشأتها وأثرها في التطور الحضاري، دار اليازوري، الأردن_ عمان، 2012م، ص51.

(7) عيسي سلمان وآخرون: مرجع سابق، ج1، ص76.

(8) يوسف: مرجع سابق، ص311.

(9) عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص184.

الجامع مقصورة و منبر و محراب،[1] كما كانت فيه ميضأة بصحنه، وكان الجامع آنذاك يتسع لعشرين ألف مصلٍ.[2]

دار الإمارة: بناها الحجاج بن يوسف بجوار المسجد الجامع في الجهة الجنوبية الغربية وفقاً للطراز المتبع في بناء قصور الإمارة حينئذ،[3] وتقع دار الإمارة في مركز المدينة مباشرة، وتؤدي إليها أو تتقاطع عندها شوارع شوارع المدينة الأربعة التي تفصل بين خطط الأهالي،[4] وأقيمت الدار فوق مساحة من الأرض مربعة الشكل الشكل أبعادها أربعمائة ذراعا في مثلها،[5] وكان لها أربعة أبواب كل منها يفضى إلى طريق عرضة ثمانون ذراعاً، وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة،[6] وقد اشتهر قصر الإمارة بقبته الخضراء التي تتوسط القصر، وهي عبارة عن قبة مرتفعة تحتوي على أربعة أبواب مطلة على أبواب القصر،[7] وكانت شاهقة وذكر أنها تُرى من مدينة فم الصلح، الواقعة على بعد سبعة فراسخ شمالي واسط،[8] وقد شيد القصر بالطابوق والجص، وجُعلت به حديقة واسعة وبركة ماء وقناة للمياه منقسمة على فرعين،[9] وكان في كل ركن ركن من أركان القصر برج مشيد على شكل ثلاث أرباع الدائرة، مبنية من الجص والآجر، وقد انفق الحجاج 43 مليون درهماً على بناء القصر والجامع والخندقين والسور فنصحهُ كاتبه، بألا يذكر المبلغ كله للخليفة، فلا يتهمه بالإسراف، وأن يحتسب جزءاً منه للحروب والجزء الآخر للبناء، ففعل الحجاج ذلك.[10]

---

[1] البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر: جمل من أنساب الأشراف، ج11، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م، ص39.

[2] لبيد إبراهيم أحمد وآخرون: الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1992م، ص269.

[3] علي: مرجع سابق، ص448.

[4] اليوزبكي، توفيق سلطان وأحمد قاسم الجمعة: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جامعة الموصل، الموصل، 1995م، ص336.

[5] عيسى سليمان وآخرون: مرجع سابق، ج1، ص77.

[6] نفسه: ص78.

[7] اليعقوبي، أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ص281.

[8] ابن رسته: مصدر سابق، ج7، ص187.

[9] طه: مرجع سابق، ص157.

[10] السواد هو موضع يمتد من حديثة الموصل حتى عبادان طولاً ومن العُذيب بالقادسية إلى حلوان عرضاً، وتبلغ مساحته مائة وستون فرسخاً وسمي بالسواد لخضرته بالزروع والأشجار. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر السابق، ج3، ص272.

خطط الأهالي: كانت البنية الأساسية لعناصر السكان في واسط تتألف من الجنود الشاميين، بالإضافة إلى بعض وجهاء الكوفة والبصرة الذين نقلهم إليها الحجاج، إلا أنه لم يفسح المجال أمام أي مجموعة أخرى من خارج واسط أن تتجمع في مكان واحد وتشكل محلة أو سكة، حيث لم يكن توزيع الخطط قبلياً، وإنما مهنياً،[1] فكانت مدينة واسط تتألف من محلات عديدة بجانبيها الشرقي والغربي، ومن أهم محلات الجانب الغربي، محلة الزاب وكانت تقع في الجهة الشمالية من المدينة،[2] ومحلة الوراقين والبزازين وكان موضعها في الجهة السفلى من المدينة،[3] ومحلة القراطيسيين وكانت تقع بالقرب من محلة الوراقين،[4] أما محلات الجانب الشرقي، فمنها محلة برجونية وهي محلة ذات أشجار ونخل ونزهة،[5] ومحلة الخرامون وهي من كُبريات محلات واسط وهي منسوبة إلى الذين يخرمون الأمتعة أي يشدونها،[6] ومحلة المهالبة ومحلة الحوز وهي مقابلة لمركز المدينة الغربية وهي متصلة بمحلة الخرامين،[7] وهنالك عدد من الدور والقصور المشهورة بواسط، منها دار الرمان وقصر الرصاص وقصر القسري وغيرها، ولقد تم بناء هذه المساكن والقصور من الطين والآجر الأحمر،[8] فضلاً عن تخطيطها بشكل يساعد على وجود فناء في مركز المسكن، والذي يُعد ميزةً تخطيطية للمساكن آنذاك بحكم طبيعة المناخ الحار الذي يتطلب إيجاد منافذ للتهوية، كما تم بناء الغرف بشكل يساعد على حجب أهل البيت عن الغُرباء وإنشاء دهاليز داخل المساكن، لمنع المارة من النظر إلى الغرف.[9]

السور والخندق: أراد الحجاج ببناء مدينة واسط عزل الجيش الشامي عن الاختلاط بغيرهم من أهالي الكوفة والبصرة وأهالي السواد والنبط[10]، فلذلك استحدث لأول مرة بناء الأسوار والخنادق، هذه الوحدات العمرانية

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص306.

[2] المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، ص122.

[3] ابن نقطة، أبوبكر معين الدين محمد بن عبدالغني بن أبي بكر بن شجاع: إكمال الإكمال، ج2، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ، ص132.

[4] المعاضيدي: واسط في العصر العباسي، ص103.

[5] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص374.

[6] نفسه: ج2، ص252.

[7] نفسه: نفسه، ص318.

[8]. علي: مرجع سابق، ص453.

[9] الموسوي: مرجع سابق، ص242.

[10] النبط وهم جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق، ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم والجمع أنباط. ابن منظور: مصدر سابق، ج14، ص177.

التي لم تكن قد اتخذت من قبل في بناء المدن الإسلامية التي سبقت واسط،[1] وبذلك أصبحت المدينة محصنة ضد أي هجوم مباغت من أهالي البصرة والكوفة وغيرهم من الثوار والناقمين على الحجاج وحكم بني أمية،[2] وقيل إن المدينة قد احيطت بسور وخندقين، بالشطر الغربي من المدينة فقط، حيث تكاملت استحكاماته بشاطئ دجلة فصار معسكراً آمناً منيعاً لا يدخله إلا من اجتاز من أبواب المدينة،[3] أما السورين السورين فكان تفصل بينهما ثكنات الجيش من الجنود والحرس، وذُكر أن ارتفاع الجدار يتراوح ما بين 2 إلى 3 أمتار، وتخترق الجدار بين مسافات متفاوته نوع من المجاري الخاصة المشيدة بالآجر تشييداً محكماً وعلى ارتفاع بلغ المترين، وينتهي الجدار بضفة نهر دجلة على بعد 500 مترا عن المدينة، أما من الجهة الجنوبية الغربية فإنه ينتهي عند الجدول القديم الذي يقع إلى الجنوب من أطراف المدينة ويبعد عنها نحو 500 مترا،[4] وزيادة في التحصين أنشأ الحجاج أبراجاً على الأسور ومواضع للحراسة مزودة بمزاغل لرشق السهام، السهام، ولسور المدينة عدة أبواب وهي، باب الزاب وباب القورج وباب الخلالين وباب البصرة وباب الفيل وباب المضمار،[5] ولم يستمر وضع سور المدينة بعد موت الحجاج طويلاً، حيث لم يهتم به الولاة من بعده، بعده، وقيل إنه قد تهدم في مطلع القرن الثالث الهجري.[6]

الأسواق: خططت الأسواق بمدينة واسط على مقربة من المسجد الجامع ودار الإمارة،[7] وكانت تمتد من دار دار الإمارة التي كانت تقع في وسط المدينة وحتى شاطئ دجلة شرقاً وحتى درب الخرازين جنوباً،[8] وعلاوة عليه، فإن هناك أسواقاً فرعية كانت تتفرع من هذه السوق المركزية، وكانت الأسواق منظمة تنظيماً جيداً،[9] حيث جعلها الحجاج أسواقاً متخصصة، فجمع أصحاب كل حرفة أو مهنة في سوق واحد، فكان تجار كل صنف من البضاعة يتعاطون تجارتهم في قطعة خاصة منها،[10]فكانت أسواق أصحاب الطعام والبزازين

---

[1] عبدالجبار ناجي: مرجع سابق، ص307.

[2] المعاضدي: مدينة واسط في الأموي، مرجع سابق، ص96_97.

[3] بحشل: مصدر سابق، ص24.

[4] الحمداني، محمود شوقي: لمحات من تطور الري في العراق قديماً وحديثاً، مطبعة السعدون، بغداد، 1984م، ص18_19. ص18_19.

[5] العميد: طاهر مصطفى، تخطيط المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1986م، ص209.

[6] ناجي: مرجع سابق، ص308.

[7] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص118.

[8] بحشل: مصدر سابق، ص44.

[9] عبدالناجي: مرجع سابق، ص306.

[10] المعاضيدي، عبدالقادر سلمان، واسط في العصر العباسي: الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م، ص106.

والصيارفة والعطارين تقع عن يمين السوق وتمتد حتى درب الخرازين،[1] وكما نزل البقالين وأصحاب باعة السقط والفاكهة إلى جانب المقابل للسوق المركزية،[2]أما أسواق الخرازين[3]والروزجاريين[4] والصناع فقد كانت كانت تقع عن يسار السوق وتمتد من درب الخرازين حتى دجلة، وكان درب الخزارين هذا يشكل النهاية لمجموعات الأسواق المتفرعة من السوق المركزية،[5] وكانت هنالك أسواق بعيده ومنفصله تماماً عن السوق المركزية منها سوق الحدادين وسوق الجزارين.[6] أما أسواق الجانب الشرقي من واسط فلم تكن بحجم السوق المركزية بالجانب الغربي منها، وأهمها سوق أبي عُينية وسوق الخشب،[7] وهناك أسواق أخرى كانت متفرقة بواسط منها، سوق الأنماطيين[8]وسوق الصيادلة وسوق الغنم،[9]وكان في واسط سوق تباع بها الخيل في مواسم معينة من السنة، وكان موضعها قريباً من الجسر.[10]وزيادة في التنظيم والتيسير في عمليات البيع والشراء، فإن الحجاج قد جعل في كل سوق أو لكل تجارة صيرفياً يقوم بعمليات الصيرفة لتسهيل النشاط التجاري داخل الأسواق،[11] كما قام بتحديد المكاييل والمقاييس والموازين فسهل الأعمال التجارية وضبط الأسعار،[12] وبذلك شهدت مدينة واسط في عهد الحجاج نمواً وازدهاراً اقتصادياً واسعاً،[1] فتهافت الناس إليها من كل صوب وحدب، حيث ارتفاع مستوى المعيشة و زيادة الترف و الرفاهية بواسط.[2]

---

[1] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص118.

[2] بحشل: مصدر سابق، ص44.

[3] والخزر فصوص من جيد الجوهر ورديئه من الحجارة ونحوه، والخزر بالتحريك الذي ينظم والواحدة خزره، والخزار صانع ذلك. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج5، ص59.

[4] الروزجايين هو لفظ فارسي يتألف من كلمتين، روز وتعني نهار، وجار كار وتعني عمل، فيكون معناها عمل اليوم، والمراد به العامل الذي يعمل بأجرة يومية. التونجي، محمد: المعجم الذهبي، ط2، دار العلم للملايين، 1980م، ص301.

[5] ناجي: مرجع سابق، ص307.

[6] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص350.

[7] ابن الساعي، أبو طالب تاج الدين علي بن أنجب: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج9، المطبعة السريانية الكاثولوليكية، بغداد، 1934م، ص118.

[8] الأنماط ضرب من البسط. ابن منظور: مصدر سابق، ج7، ص418.

[9] ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج9،دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص27.

[10] لبيدإبراهيم أحمد وآخرون: مرجع سابق،ص269.

[11] المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، مرجع سابق، ص144.

[12] فروخ: عمر، تاريخ الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، 1970م، ص162.

مدينة الموصل:

أصل التسمية: اختلفت أقوال المؤرخين حول أصل تسمية الموصل، فقيل لأنها وصلت بين دجلة والفرات، وقيل لأن الملك الذي أحدثها كان يُسمى الموصل، أو لأنها وصلت بين سنجار[3] والحديثة،[4] وقيل لأنها وصلت بين الجزيرة والشام،[5] وقيل سموها بهذا الإسم لأنها تقع بين الجزيرة والعراق،[6] وقيل إن اسمها خولان فلما وصل العرب عمارتها ومصروها سُميت بالموصل،[7] وقيل إن العرب كانوا يُطلقون على الموصل اسم الحصنين،[8] وكانت تسمى بأم الربيعين لأن فصل الخريف فيها يشبه الربيع[9] وتسمى أيضاً بالفيحاء لجمال ربيعها وكثرة أزهارها،[10] كما عُرفت أيضاً بالبيضاء لأن دُورها مبنية بالجص والرخام، وبالحدباء لاحتداب في دجلتها و أعوجاج في جريانه،[11] ويرى بعض المستشرقين أن أصل كلمة الموصل مأخوذ من اللغة البابلية قديمة "maspll" وتعني المخربة، حيث كانت الموصل قلعة آشورية قديمة، استولى عليها البابليون و خربوها، فلما جاء اليونان أخذوا الاسم و أبدلوا حرف الشين سيناً من الاسم، لتوافق الكلمة اللفظ اليوناني، فصارت "موسيل" ثم تطور الاسم بكثرة الاستعمال فعُرب وصار "موصل" والسين أخت الصاد في

---

[1] كان الرخص موجوداً فيها من جميع الأشياء ما لايوصف، حيث كان كوز الزبد بدرهمين، واثنتي عشرة دجاجة بدرهم، والسمن أثنا عشرة رطلاً بدرهم، والخبز أربعون رطلاً بدرهم، واللبن مائة وخمسون رطلاً بدرهم، وجميع مافيها بهذه النسبة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج،4، ص189.

[2] المعاضيدي: واسط في العصر الأموي، مرجع سابق، ص443.

[3] وقيل إنها معربة من سنكار، وهي مدينة طيبة يشقها نهر وبها بساتين ذات نخيل وأشجار كثيرة، وهي بموضع مشهور بنواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. القزويني: أثار البلاد، مصدر سابق، ص393.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص223.

[5] ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، مصدر سابق، ص128.

[6] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص138.

[7] الزمخشري: مصدر سابق، ص156.

[8] والحصنين مراد بها الحصن الغربي فوق تل قليعات حيث الحصن الأشوري القديم، والحصن الشرقي فوق تل توبة بنينوى الذي أنشأها سكان الموصل بعد عودتهم إليها، وكانوا قد فروا منها على أثر تدمير الكلدانيين للموصل. علي: مرجع سابق، ج1، ص169_171.

[9] الأزدي: أبوزكريا يزيد بن إياس، تاريخ الموصل، ج2، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1967، ص227.

[10] الديوه جي: سعيد، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العراقي، بغداد، 1982م، ص23.

[11] ابن خلكان: مصدر سابق، ج4، ص365.

اللفظ.[1] والملاحظ أن معظم المؤرخين قد عللوا تسمية الموصل من كلمة "وصل" بمعنى الوصل أو الربط، ذلك مما يدل على أهمية موقعها الجغرافي وبيان أثره في إضفاء صفة الوصل بين منطقة وأخرى.[2]

جغرافيتها: تعتبر الموصل من أجمل مدن العراق و أشهرها، وتلي بغداد سعة، وتبعد عنها بمسافة ثمانون فرسخاً إلى الشمال منها على ضفتي نهر دجلة،[3] وعندها تلتقي طرق المواصلات الرئيسية التي تربط البحر البحر الأحمر والخليج العربي، فهي صلة الوصل[4] بين الشرق والغرب،[5] ويقع موضع الموصل في منطقة منطقة سهلية خصبة تعد من الناحية التضاريسية والجيولوجية جزءاً من منطقة جغرافية واحدة متشابهة تمتد من وادي الفرات غرباً حتى دجلة شرقاً، وتتصل هذه المنطقة جنوباً بالأرض التي يجري فيها نهرا دجلة و الفرات حتى مصبها في الخليج العربي.[6]

تمصيرها: فُتحت مدينة الموصل في عام 16هـ/ 637م وكان على رأس الجيش الفاتح ربعي[7] بن الأفكل،[8] الأفكل،[8] واتخذها الخليفة الفاروق مركزاً للفتوحات وجعل بها أحد الأجناد الستة التي جندها، وجعلها تابعة للكوفة،[9] وفي سنة 20هـ ولاها عرفجة[1] بن هرثمة اليارفي، فقام بتمصيرها، واختط منازل العرب الفاتحين و و ابتنى دار الإمارة والمسجد الجامع على غرار ما خططت به الكوفة والبصرة.[2]

---

[1] الجومرد: محمود، اللهجة الموصلية دارسة وصفية ومعجم مافيها من الكلمات الفصيحة، مركز البحوث الآثارية والحضارية، والحضارية، الموصل، 1988م، ص11.

[2] سلام: حورية عبده، إقليم الموصل في العصر الأموي دارسة حضارية، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ص28.

[3] الموسوي: مرجع سابق، ص95.

[4] قيل إن بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها، فهي إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كثيرة الخلق واسعة الرقعة محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان،. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ج4، ص181.

[5] القصيري: مرجع سابق، ص40.

[6] الموسوي: مرجع سابق، ص96.

[7] هو ربعي بن الأفكل العنزي، أسلم في عهد النبي ﷺ ، شارك في فتح نينوى وتكريت وكان على مقدمة الجيش الفاتح فأمره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على حامية الموصل. العفاني: سيد بن حسين، فرسان النهار من الصحابة الأخيار، ج4، مكتبة الكيان، الرياض، 1426هـ، ص422.

[8] ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، ج7، ص37.

[9] اليعقوبي: مصدر سابق، ج2، ص258.

الموصل وعمائرها في العصر الأموي: نالت الموصل اهتمام الخلفاء الأمويين، وذلك نظراً لموقعها المتميز ومركزها الاقتصادي، وبعدها عن مواضع الاضطرابات والفتن التي كان يثيرها أهل الكوفة و البصرة ضد الخلافة الأموية،[3] ومن مظاهر اهتماهم بالموصل أنهم كثيراً ما كانوا يولون عليها أميراً من البيت الأموي،[4]أمثال محمد[5] بن مروان والحر[6]بن يوسف وسعيد[7]بن عبدالملك، وقد سكن الموصل من الخلفاء الأمويين هشام بن عبد الملك، وكان ذلك قبل خلافته، فبنى له قصراً في ربضها الأسفل وزرع النخيل والأثمار حوله، وبقى هذا القصر قائماً حتى مطلع الخلافة العباسية.[8] وظلت الموصل موضع اهتمام الخلفاء الأمويين حتى آخر عهد الخليفة محمد بن مروان الذي جعل لها ديواناً يرأسه بنفسه، وقيل إنه كان أول من عظم مدينة الموصل و ألحقها بالأمصار الكبيرة.[9]

خطط الأهالي: وكانت خطط الأهالي بمدينة الموصل قائمة على أساس التوزيع السكاني القبلي،[10] وفي عهد بني أمية توسعت المدينة وازداد عدد سكنها لكثرة من هاجر إليها من القبائل العربية،[11] كما نقل إليها محمد بن مروان في ولايته قبائل الأزد و ربيعة من البصرة، وعين لهم خططهم ومنازلهم،[12] ولما تولى سعيد بن

---

(1) هو عرفجة بن هرثمة بن عبدالعزى بن زهير البارقي، أسلم في عام الوفود سنة 9ه، له صحبةولكن لم يرد له ذكر في غزوات الرسول ﷺ، شارك في حروب الردة وفتح البحرين وبلاد فارس والقادسية وغيرها، وهو والي جند الموصل. ابن الأثير: أسد الغابة، مصدر سابق، ج3، ص401.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص323.

(3) ناجي: مرجع سابق، ص391.

(4) الخالدي: مرجع سابق، ص78.

(5) هو أبوعبدالرحمن محمد بن مروان بن الحكم الأموي، تولى ولاية الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وكان أحد أركان الدولة الأموية في عهد أخيه عبدالملك، ولقب بصاحب الجزيرة والثغور، لغزوة بلاد الروم سنة 75ه. ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطلي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العمية، بيروت، 1983م، ص87.

(6) هو الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموي، أخو أم حكيم زوجة الخليفة هشام بن عبدالملك ، كان قد تولى مصر فوقع نزاع بينه وبين عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج، فولاه هشام الموصل سنة 106ه، وولى ابن الحبحاب مصر. ابن تغري بردي: مصدر سابق، ج1، ص258.

(7) أبومحمد سعيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، وكان يلقب بسعيد الخير، ولاه أبوه على الموصل إبان خلافته. ابن قتيبة: المعارف، مصدر سابق، ص358.

(8) الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص40.

(9) ناجي: مرجع سابق، ص392.

(10) نفسه: ص404.

(11) الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص40.

(12) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، مصدر سابق، ص168.

عبد الملك ولايتها، سعى إلى تنظيم خططها وشوارعها،[1] حيث كانت خطط الموصل مقسمة إلى أحياء ومحلات، تدور حول المسجد الجامع، وكانت كل خطة تسمى باسم القبيلة التي تنزلها،[2] وأشهرها خطة كندة كندة وخطة ثقيف وخطة قريش وخطة خزرج، ومحلة اليهود ومحلة القطعة ودرب دراج،[3] وقد استخدم أهالي الموصل الحجارة والجص كمادتين رئيسيتين في بناء دورهم وأبنيتهم، وكانوا قلما يستخدمون الخشب في بناء سقوف بيوتهم.[4]

دار الإمارة: تقع دار الإمارة على السطح الغربي من تل قليعات بجوار المسجد الجامع، وبالقرب منها تقوم ساحة الميدان،[5] وفي عام 102هـ/720م قام مروان بن محمد بإعادة بنائها وتوسيعها، وذلك بإضافة جزء من مساحة الميدان إليها والجزء الآخر إلى الجامع، وتمتد دار الإمارة من باب الجسر من سوق الميدان إلى سوق الشعارين،[6] وقد اتخذ بينهما وبين الجامع باباً يؤدي إلى ممر طويل، فرشه بالبلاط ، وفي نهايته ستر يحجز المصلين عن دار الإمارة، فإذا ما وصل الأمير إلى المصلى رفع المكبرون الستر.[7] وعندما تولى الحر بن يوسف إمارة الموصل في عام 106هـ/724م رفض النزول في دار الإمارة القديمة، و أمر بأن تبنى له دار جديدة سُميت بالمنقوشة، ابتدأ بعمارتها فور وصوله إلى الموصل وسكنها سنة 107هـ،[8] وكانت كبيرة واسعة، أدخل عليها الزخارف، وزينها بالتصاوير ونقشها بخشب الساج والفسيفساء و استخدم في بنائها الحجارة الملونة والرخام الأبيض المصقول، وطلى سقوفها بماء الذهب،[9] فأصبحت مقراً لإقامته و داراً للإمارة في الوقت نفسه، وهي تمتد من سوق القتابين إلى الشارع المعروف بشارع الشعارين ثم إلى سوق الأربعاء وبعدها إلى سوق الحشيش،[10] وظلت على حالها حتى صادرها ولاة العباسين في عام 135هـ، وبقيت آثارها حتى أوائل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.[11]

---

[1] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص40.

[2] ناجي: مرجع سابق، ص404.

[3] الأزدي: مصدر سابق، ج2، ص25.

[4] ابن حوقل: مصدر سابق، ص295.

[5] القصيري: مرجع سابق، ص45.

[6] الأزدي: مصدر سابق، ج2، ص14.

[7] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص50.

[8] القصيري: مرجع سابق، ص45.

[9] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص43.

[10] الصائغ، القس سليمان صائغ الموصلي: تاريخ الموصل، ج1، المطبعة السلفية، 1923م، ص64.

[11] ابن الأثير: الكامل، مصدر سابق، ج5، ص133.

المسجد الجامع: وهو المسجد الجامع الذي بناه الفاتحون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما وضعت خطط الموصل وسكنتها القبائل العربية، ويقع في الجانب الغربي من المدينة الذي يُعرف بتل قليعات، وكان ملاصقاً لدار الإمارة من الجهة الجنوبية.[1] ولقد مر الجامع بأدوار بنائية عديدة إبان خلافة بنيأمية، أهمها التي قام بها مروان بن محمد الأموي، وذلك عندما أخذ الجامع يضيق بالمصلين، قام مروان بهدمه وتوسيعه وإعادة بنائه، فأصبح يتسع لأكثر من أحد عشر ألف مصلٍ،[2] كما بنى له منارة[3]، وأضاف وأضاف إليه مقصورة في بيت الصلاة لكي يصلي فيها، وأحاطه بالأسواق، وبنى بجانبه مطبخ يُطبخ به للفقراء في شهر رمضان، وجعل له أبواباً عديدة.[4] وقد أنشأ الأمويون مساجد عديدة بمدينة الموصل، منها مسجد سعيد الذي بناه سعيد بن عبد الملك في خلافة أبيه عندما ولاه الموصل، وقد عُرف هذا المسجد باسم "مسجد عبيدة" نسبة إلى مؤذن فيه اسمه "عبيدة"، ومسجد ابن أكمة القطران[5] في الربض الأعلى من الموصل،[6] ومسجد باب سنجاروقد بناه أخوة سليم بن معن بن مالك، عندما كان باب سنجار بأيديهم.[7]

السور والمنشآت المائية: عندما تولى سعيد بن عبد الملك إمارة الموصل قام برصف طرقها بالحجارة وبنى بها سوقاً عُرف بسوق سعيد،[8] كما شق بها نهراً ينسب إليه أيضاً "نهر سعيد" دون الرقة من ديار مضر، بأرضٍ أقطعها إياها أخوه الوليد إبان خلافته، فحفر النهر وقطع ما حوله وعمر ماهناك فكانت من أخصب مناطق الزراعة، وسكن فيه بعد اعتزاله ولاية الموصل، ثم أحاط المدينة بسور،[9] أتم بناءه عمه محمد بن مروان[10]، وقد حفر مروان بن محمد خندقاً حول هذا السور، ونصب عليه جسراً لتدعيم تحصينات المدينة.[11]

---

[1] محمد، غازي رجب: العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، جامعة بغداد، بغداد، 1989م، ص60.

[2] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص46.

[3] بدج، واليس: رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، دار الزمان، بغداد،1966م،ص275.

[4] الخالدي: مرجع سابق، ص79.

[5] هو القطران بن أكمة الشيباني، ولاه مروان بن محمد الأموي على الموصل سنة 127هـ. ابن مسكوية، أبى علي أحمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج2، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص530.

[6] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص53.

[7] الأزدي: مصدر سابق، ج2، ص92.

[8] الخالدي: مرجع سابق، ص79.

[9] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص40.

[10] العبايجي، ميسون ذنون: الكامل في التاريخ لابن الأثير " ت 630هـ/ 1232م" مصدراً لدراسة خطط الموصل في العصر الأتابكي 521هـ _660هـ/ 1127م _ 1261م"، مجلة إضاءات موصلية، العدد 76، تشرين الأول 2013م، ص2.

[11] القصيري: مرجع سابق، ص43.

ولما تولى الحُر بن يوسف، وجد أن السكان يلاقون عناء ومشقة[1] في نقل الماء، خصوصاً وأن نهر دجلة بعيداً عن المدينة، فاستأذن الخليفة هشام بن عبد الملك في حفر نهر يأخذ ماؤه من دجلة إلى المدينة، فأذن له،[2] وفي سنة 108هـ/726م ابتدأ الحر في حفر النهر، إلا أن المنية قد عاجلته قبل إتمام الحفر، فأتمه الوليد[3] بن تليد، وعُرف النهر "بنهر الحر" ورصف شارعاً محاذياً لمجراه، وغرس على جانبيه الأشجار، فكان أهل المدينة يتنزهون به في الأمسيات.[4]

الأسواق: كانت أسواق الموصل الرئيسة إبان العصر الأموي حول المسجد الجامع، وهو مركز المدي آنذاك وتجاوره دار الإمارة،[5] ويعرض فيها كل مايحتاجه الجيش وأهل الموصل من حاجيات وطعام ومسلتزمات الخيل والإبل والحيوانات الأخرى.[6] ومما اشتهرت به مدينة الموصل كثرة وتعدد أسواقها و انتظام توزيعها بحسب الحِرف والتجارات،[7] ومن أهم هذه الأسواق سوق الشعارين التي يباع بها ما يتخذ من الشعر والصوف، وهي تمتد من جامع النبي جرجيس إلى شارع نينوى، وسوق البزازين وتُعرف بسوق الداخل أيضاً وسوق الطعام وتقع بالقرب من سوق الحشيش التي تقع جنوب الحصن الغربي، وسوق القسط قبلي المسجد الجامع وسوق الدواب وكانت خارج المدينة بالقرب من مقابر قريش بجنوب غربي جامع النبي جرجيس،[8] وسوق القتابين، وكان يتخذ به أقتاب الإبل، وتقع شرقي سوق العشارين وسوق السراجين، بجنوب المسجد الجامع وتقابل باب جابر أحد أبواب المسجد الجامع، وقد هدمها العباسيون وأضافوها إلى المسجد الجامع عند توسعته، وسوق سعيد بن عبد الملك[9]، وسوق الحر بن يوسف، وسوق الأربعاء وكانت تقع بين باب

---

[1] قيل إن الحر بن يوسف قد رأى امرأة تحمل جرة ماء جاءت بها من دجلة، وقد أجهدها حملهافاستعظم ذلك، وكتب إلى الخليفة هشام بن عبدالملك يستأذنه في شق نهر من دجلة إلى المدينة، فأذن له بذلك وبأن ينفق عليه مايحتاجه من خراج الموصل وأن لايحمل إليه شيئاً من خراجها حتى يتم حفر النهر، وقد توفى الحر قبل إتمام حفر النهر فأتمه الوليد بن تليد سنة 121هـ/ 738م، وبلغت النفقة عليه ثمانية ملايين درهم. الديوه جي: مرجع سابق، ج1، 44.

[2] العمرو، علي عبدالرحمن: هشام بن عبدالملك والدولة الأموية، ط2، مصورات عبدالرحمن الجندي، 1992م، ص110.109.

[3] هو الوليد بن تليد العبسي، والي هشام بن عبدالملك على الموصل، وهو الذي أكمل حفر نهر الحر بالموصل سنة 113هـ/ 732م، وفي خلافة يزيد بن الوليد تولى ابن تليد إمارة دمشق. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج4، ص569.

[4] الخالدي: مرجع سابق، ص79.

[5] نفسه: ص87.

[6] هادي: مرجع سابق، ص169.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص405.

[8] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص51_52.

[9] سلام: مرجع سابق، ص3635.

الجسر وسوق القتابين.[1] وقد اشتملت هذه الأسواق على حمامات وخانات وفنادق لنزول التجارومن يقصد البلد، وبها فنادق بناها الحر بن يوسف وابنه يحى[2] من بعده،[3] ومن حماماتها حمام الجدالين الذي دخله الخليفة الأموي مروان بن محمد عندما حاصر الخوارج بالموصل،[4] وقد نشطت الصناعات بهذه الأسواق كالحياكة والسراجة والبناء والخياطة، وبذلك كانت الموصل على عهد الأمويين من أهم المراكز الإسلامية سعةً وتنظيماً وتنسيقاً، يقصدها التجار من مختلف البلدان.[5]

---

[1] الأزدي: مصدر سابق، ج2، ص24.

[2] هو يحيى بن الحر بن يوسف الأموي، تولى إمارة الموصل بعد وفاة والده سنة 113هـ/ 732م، ثم عزله الخليفة هشام وولاها الوليد العبسي. الأزدي: مصدر سابق، ج2، ص33.

[3] سلام: نرجع سابق، ص36.

[4] الأزدي: مصدر سابق، ج2، ص74.

[5] الديوه جي: مرجع سابق، ج1، ص52.

المبحث الثاني

تجديد وبناء المدن في خراسان وبلاد ماوراء النهر إبان العصر الأموي

وبلاد ماوراء النهر يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان[1]، وتقع بالإقليم الخامس وهي الأراضي المحصورة بين حوضي نهري سيحون وجيحون هي بلاد واسعة كثيرة المدن، فما كان في شرقي نهر جيحون يقال لها بلاد الهياطلة وقد سماها المسلمون بعد الفتح ماوراء النهر، وما كان في غربيه فهي خراسان وولاية خوارزم وهي ليست من خراسان وإنما هي إقليم برأسه.[2] وكانت هذه البلاد تضم مناطق جبلية معقدة التضاريس قاسية المناخ تتساقط عليها الثلوج في الشتاء بغزارة، فتتقطع طرق المواصلات بها، وتتجمد أنهارها حتى قيل إن القوافل كانت تعبر فوق الجمد،[3] ويسكن هذه المنطقة الترك بمختلف أجناسهم ومسمياتهم.[4]وتضم بلاد ماوراء النهر مدناً عديدة تتبع كل منها قصبات ونواح وقرى عديدة، ولكل مدينة نمطها الخاص بها، ولكنها جميعاً تشترك في سمت البناء وطراز العمارة المدنية والعسكرية من حيث الأسوار المحيطة بالمدن ووحداتها السكنية من حيث التركيب والتخطيط، وكذلك في القصور ودور العبادة.[5]

وقد فتح المسلمون مدناً و أقاليم عديدة في بلاد ماوراء النهر إبان خلافة بنى أمية، وكانت هذه المدن تتمتع بأصالة تمدنية وحضارية قديمة فيما يتعلق بوحداتها العمرانية وشوارعها وسككها وحصونها وقلاعها وأسوارها، وتبين الأوصاف الجغرافية المتوافرة عن هذه المدن في المشرق الإسلامي بأن المسلمين العرب قد اتخذوا عدة إجراءات عمرانية وإدارية تجاه هذا المدن، فقد اهتموا بتأسيس المساجد الجامعة ودور الإمارة وهما وحدتان عمرانيتان أساسيتان في المدن الإسلامية العربية،[6]وفتحوا الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وبنوا المساجد الصغيرة داخل الخطط السكنية لتعليم الصلاة وأحكام الشريعة والدعوة الى الإسلام.[7] كما اهتموا بتطوير

---

[1] هي بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق وهما بخراسان وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها، وإنما هو من أطراف حدودها وتشمل خراسان على أمهات من البلاد مثل نيسابور ومرو وهراة وبلخ. مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق والمغرب، ترجمة عن الفارسية وحققه يوسف الهادى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002م، ص114.

[2] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص45.

[3] ابن حوقل: مصدر سابق، ص384.

[4] ابن الأثير: الكامل، مصدر سابق، ج3، ص260.

[5] سلطان، طارق فتحي: النشاط العمراني في بلاد ماوراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، مجلة التربية والعلم، المجلد 19، العدد 5، عام 2012م، ص50_51.

[6] ناجي: مرجع سابق، ص457.

[7] الغنيمي، عبدالفتاح مقلد: الإسلام و المسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، دار الأمين، القاهرة، 1996م، ص51.

المدن القديمة وأضافوا إليها وحدات عمرانية جديدة وعمروا ما تهدم من وحداتها العمرانية القديمة، بذلك تحسنت وظائف بعض المدن فجعلوا منها قصبات أو أمصار صارت تتوافق مع المبادئ الفقهية والجغرافية للمدينة الإسلامية التي تجمع إليها الدواوين وتنفذ منها الأعمال،[1]كذلك لم يغفلوا عن مسألة توفير المتطلبات الأساسية للمدن كالمياة العذبة بشق الأنهار والقنوات وحفر الآبار وبناء السدود والخزانات لحفظ مياة الأمطار.[2]

وفي خلافة معاوية بن أبي سفيان وصلت الفتوحات الإسلامية بالمشرق إلى **مدينة بخارى**[3] فولاها سعيد[4] بن عثمان بن عفان.[5] وتؤكد أوصاف الجغرافيين أن وضعية المدينة قد تحسنت كثيراً من شتى النواحي بعد أن فتحها المسلمون، حيث اتسعت رقعتها وازداد عدد سكانها وعمرت دُورها وازدهرت أسواقها بالتجارة[6] وكثرت رساتيقها الزراعية وضياعها المنتجة.[7] وقد أسس بها الفاتحون مسجداً جامعاً وجعلوه على باب القهندز باتجاه المدينة، كما ابتنوا بها سجناً وكانت المدينة تشتمل على سبعة أبواب حديدية وهي باب القهندز وباب نور وباب حفرة وباب المدينة وباب بني أسد وباب بني سعد، وقد سمى هذين البابين الأخرين بهذه الأسماء نسبة لقربهما من خطط هاتين القبيلتين وذلك مما يدل على التوزيع القبلي لسكان المدينة.[8]

وفي عهد الخليفة هشام بن عبدالملك 105_ 125هـ/ 724_ 743م، كانت جهود الأمويين منصرفة إلى تثبيت السيادة العربية والتمكين للنفوذ الإسلامي من الإنتشار بالطرق السلمية في خراسان وبلاد ماوراء النهر،

---

[1] ناجي: مرجع سابق، ص458.

[2] الإصطخري: مصدر سابق، ص73.

[3] وهي إحدى مدن إقليم السغد، وتبعد عن سمرقند سبعة وثلاثين فرسخاً، وكانت سمرقند مركز السغد السياسي وبخارى مركزه الديني. ياقوت الحموي: معجم البلدان،مصدر سابق، ج1، ص353..

[4] سعيد بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، من الفاتحين نشأ في المدينة المنورة وبعد وفاة أبيه وفد على معاوية، فولاه خراسان سنة 56هـ ففتح سمرقند، وأصيبت عينه بها، وعزل عن ولاية خراسان سنة 57هـ، ولما مات معاوية، انصرف إلى المدينة فقتله أعلاج قدم بهم من سمرقند. ابن العماد: أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، شذرات الذهب من أخبار من دهب، ج1، تحقيق عبدالقادر ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م، ص61.

[5] ناجي: مرجع سابق، ص463.

[6] قد اشتهرت أسواق مدينة بخارى بتجارة الرقيق وأوبار السمور والثعالب والبسط والمحاريب و أنواعاً من الثياب والمنسوجات الفاخرة التى كانت تعرف بالثياب البخارية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص353.

[7] ابن حوقل: مصدر سابق، ص402.

[8] ناجي: مرجع سابق، ص463.

ومن أهمها توظيف المسجد في المهام الدعوية والتعليمية وتوطين القبائل العربية في المدن الكبري،[1]خاصة في عهد الوالي أشرس[2] السلمي، فهو أول من أنشأ الرابط والخوانق والمدارس وعمل على تثبيت قدم الثقافة العربية ببلاد ماوراء النهر.[3]

وقد أورد الجغرافيون والمؤرخون العرب أن سعيد[4] بن العاص والي الأمويين على الكوفة، هو أول من مصر **مدينة قزوين**[5] بأرض الديلم[6]، وقد ابتنى بها مسجداً جامعاً قام بتجديده العباسيون بعد إذ.[7] وأيضاً وأيضاً قام محمد[8] بن القاسم الثقفي الذي ولاه الحجاج بن يوسف فتح بلاد السند ومكران والديبل بعدة أعمال واصلاحات تمدنية عمرانية في هذه البلدان، إذ ابتنى في الديبل[9] مسجداً جامعاً واختط للمقاتلين العرب الخطط وكانوا حوالي أربعة ألف مقاتل ينتمون إلى قبائل مختلفة، فأسكنهم بالمدينة.[10]وإليه يرجع الفضل في تجديد عمارة **مدينة شيراز** واختطاطها في الإسلام، فهو أول من تولى عمارتها بعد الفتح، فأعاد بناءها على أنقاض مدينة قديمة كانت تابعة لولاية أردشيرخره[11]، وقصبتها كورجور وهي فيروز أباد الحديثة،[12] وقد اتخذ منها قاعدة عسكرية أحل فيها المقاتلين العرب لفرض السيطرة على بقية المدن المجاوره لها وكان ذلك

---

[1] أبوالنصر، محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي لإقليم الصغد، بحث مشور في حولية الدارسات الأسوية، الحولية الأولى، المعهد الأسيوي_ الزقازيف، 1997م، ص205.

[2] هو أشرس بن عبدالله السلمي، أمير من الفضلاء، وكانوا يسمونة بالكامل لفضله، ولاه هشام بن عبدالملك إمارة خراسان سنة سنة 109ه فقدمها وسر به الناس، واستمرت ولايته بها سنة 112هـ. الزركلي: مصدر سابق، ج1، ص331.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، ج9، ص329.

[4] هو أبوعثمان سعيد بن العاص بن أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، ولي إمرة المدينة غير مرة لمعاوية، وقد ولي إمرة الكوفة لعثمان بن عفان، وكان ممن أعتزلوا الفتنة، ولما صفا الأمر لمعاوية وفد إليه سعيد فاحترمه وأجازه بمال جزيل، ولما كان على الكوفة غزا طبرستان فافتتحها. الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج3، ص446.

[5] هي مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً ، وهي في الأقليم الرابع طولها خمس وسبعون درجة وعرضها سبع وثلاثون درجة. ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج4، ص344.

[6] هو إقليم يقع حول بحر قزوين ويضم خمس كور، أربعة منها تطل على البحر وهي جرجان وطبرستان والديلمان والخزر، والخامسة تقع إلى الجنوب ويفصلها عن البحر كورة طبرستان وهي قوس. المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص353.

[7] ناجي: مرجع سابق، ص464.

[8] هو أبوعمر محمد بن القاسم بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف، وهو قائد أحد جيوش الفتح بالمشرق وفاتح بلاد السند، توفي عام 95ه بمدينة واسط . ابن خلكان: مصدر سابق، ج1، ص341.

[9] هي من أشهر مدن بلا السند، تقع على ضفة بحر الهند. ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج5، ص276.

[10] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص424.

[11] هي كورة من كور فارس ومعناها بهاء أردشير وهو ملك من ملوك فارس. كي لسترنج: مرجع سابق، ص283.

[12] الخالدي: مرجع سابق، ص189.

في سنة 74هـ/693م،[1] ومن أشهر الخطط والدروب التي سُميت بأسماء عربية بمدينة شيراز درب غسان ودرب أسلم وبيوت بني مازن وآل حبيب، وكان الأهالي يستخدمون الحجارة في بناء بيوتهم وقد اشتهروا بفن البناء والعمارة.[2] وفي خلافة عمر بن عبدالعزيز تم بناء العديد من المساجد والمؤسسات الخيرية ضمن حدود حدود مدينة شيراز،[3] وبمرور الزمن أضحت مدينة شيراز شحنة جيش بلاد فارس ونقلت إليها دواوين بلاد فارس وعمالها وولاة الحرب فيها، فتدفق عليها الناس من المناطق المختلفة وتزايد عدد سكانها واتسعت رقعتها حتى بلغت مساحتها نحو فرسخ مربع، وتصاعدت حركة البناء والعمران بها، وقد عُرفت المدينة برخائها ويسر حال أهلها، حيث كانت مشهورة بصناعة الأنسجة والثياب الحريرية الفاخرة.[4]

وفي سنة 89هـ/716م، غزا يزيد[5] بن المهلب منطقة طبرستان لما قدم خراسان، وبنى **مدينة جرجان**[6] ولم ولم تكن بنيت قبل ذلك، واستعمل عليها جهم[7]بن زحر الجعفي وكتب إلى الخليفة سليمان بن عبدالملك بالفتح ثم رجع إلى خراسان.[8] وفي عام 120هـ/ 737م، ابتنى أسد بن عبدالله القسري مدينة تدعى أسد أباذ وهي من أعمال مدينة بيهق في نيسابور[9]، وذلك عندما كان والياً على خراسان إبان خلافة هشام بن عبدالملك.[10]ومن أعماله أيضاً تجديد بناء مدينة بلخ،[11]وقد أسند الإشراف على بنائها إلى برمك جد

---

[1] الإصطخري: مصدر سابق، ص76_77.

[2] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص229_230.

[3] الخالدي: مرجع سابق، ص189.

[4] ابن حوقل: مصدر سابيق، ص246.

[5] أبوخالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولي المشرق بعد أبيه ثم ولي البصرة لسليمان بن عبدالملك، ثم عزله عمر بن عبدالعزيز بعدي بن أرطاة ، وطلبه عمر وسجنه. الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج4، ص503.

[6] جرجان مدينة عظيمة مشهورة بين طبرستان وخراسان، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من ذاك ولاتزال حتى يومنا الحاضر تسمى بجرجان وبها سمى الإقليم كله الواقع جنوب بحر قزوين في إيران. لسترنج: مرجع سابق، ص419.

[7] هو أبو الأسود جهم بن زحر بن قيس بن مالك بن معاوية بن سعنة الجعفي، والي جرجان ، كان من الشجعان الأشراف، أمره الحجاج على ستة آلاف من جند أهل الشام، وبعثه إلى الري ليجتمع بمحمد بن القاسم الثقفي ويسير معه إلى الهند. السحني، عبدالحي بن فخرالدين بن عبدالعلي الطالبي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ج1، دار ابن حزم، بيروت، 1999م، ص44.

[8] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج4، ص92

[9] وهي تقع في غرب خراسان، ويلفظ اسمها نيشابور وهو مشتق من نيوشاه بور وهي تعني في الفارسية القديمة " شئ أوعمل أو موضع سابور الطيب"، إذ هي منسوبة إلى الملك سابور الثاني. لسترنج: مرجع سابق، ص424.

[10] ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج1، ص176.

[11] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص418.

البرامكة،[1] ثم نقل إليها الدواوين والجند الذين كانوا بالبروفان[2] وأقطعهم مساكن في بلخ بقدر مساكنهم في المدينة التي جاؤا منها، وأقطع سكنا لكل من لم يكن له مسكن،[3] وكان أسد يريد أن ينزلهم على الأخماس[4]، إلا أنه خشي إثارة العصبية بينهم بعد أن حذر من ذلك.[5]

ومن المدن التي بناها الأمويون بإقليم السند[6] **مدينة المحفوظة**[7] التي بناها الحكم[8] بن عوانة الكلبي والي والي الأمويين على خراسان في عام 109هـ وقيل عام 110هـ/ 727_728م.[9] كما شيدوا مدينة المنصورة[10]، وهيأهم من المدن التي أحدثها المسلمون منذ القرن الأول للهجرة في بلاد السند، بجوار موضع قديم يُعرف برهمناباذ أو وهمناباذ، وقد اختلف في أصل تسميتها[11] ونشأتها الأولي، فقيل إن الذي بناها عمرو[12] بن محمد الثقفي والي إقليم السغد[1] ونزلها أثناء خلافة هشام بن عبدالملك،[2] ويقول البعض بأن

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج7، ص41.

[2] وهي موضع بينه وبين بلخ فرسخين. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج7، ص41.

[3] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص417.

[4] الأخماس يقصد بها الأحياء والخطط أي ينزل كل جماعة في حي خاص بهم، ويبدوا أنهم كانوا يتكونون من خمس قبائل أو أو جماعات أساسية. العمرو: مرجع سابق، ص98.

[5] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص41.

[6] هي بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، وهي خمس كور فأولها من قبل كرمان مكران ثم طوران ثم السند ثم الملتان، وقصبة السند مدينة يقال لها المنصورة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج3، ص26.

[7] هي مدينة بناها الحكم بن عوانة الكلبي، بموضع وراء البحيرة مما يلي الهند، ثم قال لمشايخ كلب من أهل الشام: ماترون أن نسميها؟ فقال: بعضهم دمشق أو حمص، وقال رجل منهم: سمها تدمر، فقال له الحكم:دمر الله عليك يا أحمق، بل أسميها المحفوظة، فنزلها وجعل منها مأوى لجيش المسلمين. البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص47_48.

[8] الحكم بن عوانة الكلبي القضاعي، كان والياً على خراسان من قبل أسد القسري، ولم يدم طويلاً بالولاية حيث عزله الخليفة هشام بن عبد الملك، ثم ولاه إمارة أرض السند، وظل بها حتى وفاته 122هـ. السحني: مصدر سابق، ج1، ص44.

[9] ناجي: مرجع سابق، ص477.

[10] هي مدينة كبيرة بأرض السغد وهي قصبتها، كثيرة الخيرات ذات جامع كبير. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص211.

[11] قيل أنها سميت بالمنصورة نسبة إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، ورأى آخرون بأنها قد سميت بذلك نسبة إلى اسم أحد العمال وهو منصور بن جمهور الكلبي. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مصدر سابق، ج5، ص211.

[12] هو عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي، كان عاملاً على السند، فوجه إليه منصور بن جمهور الكلبي وذلك في فتنة مروان بن محمد. هارون، عبدالسلام محمد: نوادر المخطوطات، ج2، مكتبة ومطلعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1973م، ص184.

الذي بنى المدينة لأول مرة هو محمد بن القاسم الثقفي وذلك أثناء فتحه لبلاد السند،[3] فبعدما نجح في فتح مكران والديبل تحول نحو مدينة البيرون فعبر نهر مهران ونجح في فتح مدينة رورعنوة، ثم توجه نحو موضع برهمناباد وكانت قرية قديمة وموضعها غيضة، وقداتخذ منها حاكم السند موقعاً عسكرياً لمجابهة الجيوش الإسلامية، وقد وقعت بها معركة حامية الوطيس بين الطرفين تمكن فيها ابن القاسم من عدوه ودحرهم من المنطقة،[4] ومن المحتمل أنه قد شرع في تنفيذ بعض الإجراءات العمرانية بالموضع فاختط الخطط وابتنى المسجد الجامع، وذلك نسبة لوجود عدة قرائن أهمهما اهتمامه بالجوانب العمرانية وأنه يتخذ مسجداً جامعاً في كل مدينة أو موضع يقوم بفتحه سواء كان ذلك في بلاد فارس أو ببلاد السند، ومن المحتمل أنه أطلق عليه اسم المنصورة تعبيراً عن انتصاره على حاكم السند.[5] وأرجح الأقوال أن أول من بنى المدينة هو عمرو بن محمد الثقفي، وذلك بعد أن قلده الحكم بن عوانة والي خراسان قيادة الجيش لفتح ماتبقى من المدن في بلاد السند، وقد أفلح عمر في تحقيق انتصارات عدة، فأمره الحكم على البلاد التى فتحها وأمره بأن يبنى مدينة في تلك المنطقة التي تقع دون البحيرة وأن يُنزل بها المقاتلين العرب الذين رافقوه في الحملة ويختط لهم خططاً السكنية، ويجعل لهم بها مسجداً جامعاً وقد سماها بالمنصورة، فصارت منذئذ مدينة مركزية ينزلها الولاة والعمال،[6]وقد اتخذ منها منصور بن جمهور مقراً لولايته في عام 129هـ/746م.[7] وقد وصف الجغرافيون مدينة المنصورة بأنها مدينة كبيرة المساحة، وتقدر مساحتها بميل مربع، وتشتمل المدينة على أربعة أبواب وهي باب البحر وباب طوران وباب سندان وباب الملتان، ولها سور ضخم كما أنها محاطة بنهر أو خليج يتفرع من نهر مهران ولذلك صارت عبارة عن شبة جزيرة محاطة بالمياة، وتعتبر مدينة المنصورة قصبة بلاد السند ومصر الإقليم، ومحل إقامة الولاةإبان فترت الخلافتين الأموية والعباسية.[8]

ومن الملاحظ أن الأمويين لم يقدموا على إنشاء مدن إسلامية خاصة بالعرب الفاتحين دون أهل البلاد الأصليين في بلاد ماوراء النهر، فلم يكن تقسيم الأخماس في بلاد ماروراء النهر مثلما كان بالبصرة والكوفة،

---

[1] السغد أو الصغد هو إقليم كبير من أقاليم ماوراء النهر، يقع في الجهة الشرقية لبحر قزوين ويفصل بينهما إقليم جرجان ومفازة الغز، وقصبتاه بخارى وسمرقند. لسترنج: مرجع سابق، ص476.

[2] العمرو: مرجع سابق، ص87.

[3] ناجي: مرجع سابق، ص476.

[4] البلاذري: فتوح البلاد، مصدر سابق، ص424_226.

[5] ناجي: مرجع سابق، ص476.

[6] البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ص430.

[7] نفسه، ص431.

[8] المقدسي: أحسن التقاسيم، مصدر سابق، ص479.

وإنما قسمت الأخماس في خراسان وفق التنظيم العسكري فحسب بمعنى أن خراسان لم تعرف الخطط القبلية السكنية التي عرفتها البصرة والكوفة،[1] وقد حاول أسد القسري أن ينزل العرب على أخماس قبيلة لتوطينهم في بلخ لكنه لم ينجح في ذلك،[2] وكان أصحاب الخمس الواحد في خراسان ربما نزلوا في أماكن متباعدة ومتفرقة، كما أنه لم يكن لرؤساء الأخماس أهمية قيادية كبيرة بل إن مهمتهم أقرب إلى أن تكون تشريفية وذلك على نقيض ما هو متبع في مدن العراق، ونتج من ضعف نفوذ رؤساء الأخماس أن وجدت بعض القبائل لا يعرف رئيس لخمسها لفترة طويلة،[3] وفي أواخر أيام بني أمية كادت الأخماس أن تتلاشى بحيث أصبحت الكتل القبلية تحمل اسم ربيعة واليمن ومضر. فالوضع في بلاد ماوراء النهر مختلف تماماً من ناحية الاستيطان،[4] فلم تعرف تلك البلاد مدناً إسلامية خاصة بالعرب كما في العراق ولم تحفل السياسية الأموية بتوطين القبائل في أماكن جديدة مغايرة في تخطيطها لمراكز الاستقرار الفارسية القديمة،[5]بل إن العرب قد دفعوا إلى الاختلاط والامتزاج بأهل البلاد الأصليين في خراسان وبلاد ماوراء النهر، وكان من بين شروط الصلح التي تواضع عليها المسلمون وأهل خراسان أن يُفسح الخراسانيون للعرب في السكنى، وقد عمل قتيبة بن مسلم على دمج العرب بالعناصر الأصلية بالبلاد فأنزلهم في وسط البلدان فيما وراء النهر ببخارى وسمرقند وغيرها من أمهات المدن بالإقليم.[6] ولم يُؤثر عن الأمويين أنهم صرفوا هممهم في بناء مدن خاصة بالفاتحين العرب ولعلهم أرادوها أن تكون كالشام، التي كانوا يقيمون فيها في المدن القديمة، من غير أن يخصوا العرب بأماكن جديدة، فقد ظلت الأجناد الشامية تحمل أسماءالبلدان السابقة للفتح الإسلامي، ولكن الأمويين كانوا يرون كل ذلك قد أصبح عربياً إسلامياً وربما أرادوا من بلاد ماوراء النهر أن تكون كذلك بدون إقامة مدن جديدة.[7]

المبحث الأول

تجديد وبناء البيمارستانات والحمامات إبان العصر الأموي

---

[1] ابن قتيبة الدينوري: مصدر سابق، ص361.

[2] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص197.

[3] العفنان: عبدالرحمن فريح ، القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي، رسالة دكتواره، غير منشورة، منشورة، جامعة أم القرى _ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1413هـ، ص145.

[4] العلي، صالح أحمد: امتداد العرب في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص50.

[5] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج8، ص247.

[6] العفنان: مرجع سابق، ص146.

[7] العلي: امتداد العرب، مصدر سابق، ص64_ 71.

بناء وعمارة البيمارستانات:

والبيمارستان بفتح الراء وسكون السين،[1] كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار وتعنى مريض أو عليل، وستان وتعنى مكان أو دار أو محل، وبهذا يكون معنى بيمارستان دار المرضى،[2] واختصرت فيما بعد في الاستعمال فأصبحت تلفظ مارستان، وأطلقت هذه اللفظة على المستشفيات في العصور الإسلامية، وأخذت أحياناً تسمية أخرى منها دار الشفاء وهي بمثابة المستشفيات العامة التي تعالج فيها جميع الأمراض الباطنية والجراحية الرمدية والعقلية،[3] ويستعمل المغاربة لفظ بيمارستان بمعنى بيمارستان للأمراض العصبية فقط، ولم يتم العثور على مرادف لكلمة بيمارستان في المصادر التاريخية ولم يستخدم المسلمون سوى كلمة بيمارستان حتى نهاية العصر العباسي.[4]

نشأة البيمارستانات في الإسلام: وتعود جذور البيمارستان إلى أزمان ضاربة في التاريخ،[5] وقد كان لدى العرب قبل الإسلام معرفة بالطب، لكنها على الأغلب كانت مبنية على التجربة وخبراتهم التي اكتسبوها عن طريق اتصالهم بالأمم الأخرى،[6] إلا أنهم لم يعرفوا وجود أماكن خاصة لمعالجة مرضاهم، ومن أشهر الأطباء عندهم الحارث[7]بن كلدة المعروف بطبيب العرب، وقد استدعاه الرسول ﷺ عندما مرض سعد بن

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج6، ص217.

[2] ابن أبي أصيبعة، أبوالعباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص47.

[3] ظلت البيمارستانات تعالج هذه الأمراض إلى أن اصابتها الكوارث ودار بها الزمن وحل بها البوار وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها، فصات كلمة مارستان إذا سمعت لاتنصرف إلا إلى مأوى المجانين. عيسى بك، أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2011م، ص8.

[4] البابا، مؤمن أنيس عبدالله: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية " 1_ 656هـ/ 622_ 1258م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غزة _ كلية الآداب_ قسم التاريخ والآثار، 2009م، ص13.

[5] ذُكر أن الملك مناقيوش بن أشهوم أحد ملوك القبط، هو أول من أتخذ البيمارستان لعلاج المرضى و أودع فيه العقاقير، وجعل فيه الأطباء وأجرى عليه الرواتب والعطاءات، وقيل بل أن بقراط بن أبوقليدس هو أول من اتخذ البيمارستان، وعندما بنى بجوار منزله داراً وجعلها للمرضى، وعين لها أناسا لخدمة المرضى وسماها أصدولين، أي مجمع المرضى. المقريزي: الخطط، مصدر سابق، ج2، ص405.

[6] ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، ج1، ص493.

[7] هو أبو وائل الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج الثقفي، من أشهر أطباء العرب العرب قبل الإسلام وفي عهد النبوة والخلفاء الراشدين، وله آراء وتجربة واسعة في الطب، وله قوله المشهور: البطن بيت الداء والحمية رأس الدواء. وقد أختلف في تاريخ وفاته، وقيل أنه توفي في نهاية خلافة عمر بن الخطاب. ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص54.

أبي وقاص في مكة ليعالجه.[1]وقد كان في عهد النبوة أناس[2] يعلمون الطب ويعملون به، منهم الشمردل[3] بن قباب وضماد[4] بن ثعلبة وغيرهم، وكان النبي ﷺ هو أول من اتخذ البيمارستان في الإسلام ، وكانت عبارة عن خيمة نصبها في صحن المسجد لعلاج الجرحى يوم الخندق، وكانت رفيدة[5] الأنصارية أول طبيبة طبيبة في الإسلام تقوم بمداواة الجرحى في تلك الخيمة، وكان ﷺ إذا أصيب أحد المسلمين يقول: " اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب"،[6] وبذلك يكون النبي ﷺ أول من أمر بالبيمارستان الحربي المتنقل.[7]وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسول ﷺ في الاهتمام بالشؤون الصحية، ومن ذلك ماقام به عمر بن الخطاب عندما أمر بحجر قوم مجذومين من نصارى الجابية، ولسد حاجتهم أمر بإعطائهم الصدقات وإجراء القوت عليهم.[8]

بناء البيمارستانات وتطورها في العصر الأموي: وقد تطورت عمارة البيمارستانات كمنشآت معمارية مستقلة ذات وظيفة محددة في العمارة الإسلامية إبان العصر الأموي، ويُعد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من أوائل من أنشأ البيمارستان الإسلامي بشكله المنظم في عاصمة الخلافة الأموية دمشق، حيث بنى بيمارستان إسلامي عام تحت المئذنة الغربية للمسجد الجامع وكان ذلك في عام 60هـ/679م،[9] وقد عُرف معاوية

---

(1) ابن أصيبعة: مصدر سابق، ص161.

(2) عن هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة، فقلت: يا خالة، ممن تعلمتي الطب؟ قالت: كنت أسمع الناس يعنت بعضهم لبعض فأحفظه. الذهبي: سير أعلاغم النبلاء، مصدر سابق، ج2، ص185.

(3) هو الشمردل بن قباب الكعبي النجراني، كان من وفد نجران بني الحارث بن كعب فنزل بين يدي النبي ﷺ، فقال: يارسول الله، بأبي أنت وأمي، إني كنت كاهن قومي في الجاهلية وإني كنت أتطبب، فما يحل لي فإني تأتيني الشابة؟ فقال ﷺ: "فصد العرق ومجسة الطعنة إن اضطررت، ولاتجعل من دوائك شبرُما، وعليك بالسنا، ولا تداو أحداً حتى تعرف داءه" فقبل ركبتيه وقال: والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني. ابن حجر: الإصابة، مصدر سابق، ج2، ص155.

(4) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي، وهو من أزد شنوءة، قدم مكة معتمراً قبل الهجرة فقابل النبي ﷺ وسمع منه فأسلم وحسن إسلامه. ابن سعد: الطبقات، مصدر سابق، ج4، ص241.

(5) هي رفيدة بنت سعد الأسلمية الأنصارية، صحابية جليلة، أمر النبي ﷺ بأن تقام لها خيمة في مسجده بالمدينة أثناء غزوة الخندق تداوي فيها الجرحى من المسلمين، وتقوم بخدمتهم. ابن حجر: الإصابة، مصدر سابق، ج4، ص303.

(6) ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، ج3، ص303_305.

(7) ضاهر، عبدالوهاب مصطفى: عمارة المجتمعات والمباني الطبية " البيمارستانات" في الإسلام، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي _ موسوعة العمارة في الإسلام، المجلد العاشر، د.ت، ص18.

(8) البلاذري: فتوح البلدان، مصدر سابق، ج1، ص153.

(9) ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ص335.

باهتمامه بالبيمارستانات المتنقلة الخاصة بالحجيج وعين لهم الأطباء.[1] وكذلك ضرب عبدالله بن الزبير فسطاطاً من ناحية المسجد الحرام لمعالجة الجرحى من أصحابه، عندما حاصره الأمويون بمكة، ويُعرف هذا الفسطاط عند العرب بالبيمارستان العربي.[2] وقد بنى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك أول بيمارستان فعلي فعلي ثابت في دمشق[3] وجعل به أطباء لهم أرزاق محددة لقاء معالجة المرضى،[4] وأمر بحبس المجذومين المجذومين لكى لا يخرجوا فيختلطوا بالناس وتنتقل العدوى للعامة، وأجرى عليهم وعلى العميان والمقعدين الأرزاق، وأوقف ديواناً مخصصاً لخدمتهم عُرف بديوان الزّمْنى[5]، وكان ذلك في سنة 88هـ/707م.[6]وبذلك 88هـ/707م.[6]وبذلك شرع الأمويون في تشييد البيمارستانات بالولايات الإسلامية، حيث أقاموا أول بيمارستان في مصر بدار أبي زبيد بزقاق القناديل بالفسطاط وقيل إنه قد استخدم لمرضى الجذام،[7] وفي خلافة عمر بن عبدالعزيز تم إنشاء ملجأ للفقراء مزوداً بالزيت والطحين والأغذية، واعتبر هذا الملجأ كبيمارستان لوجود الأدوية وبعض حاجيات المرضى ومستلزماتهم.[8]

وقد تطورت وظائف البيمارستانات إبان العصر الأموي حيث أصبحت عبارة عن مؤسسات علمية وعملية على غرار كليات الطب ومستشفياتها التعليمية اليوم، مع فوارق الإمكانات، حيث كانت تُعقد فيها الدروس تحت إشراف أطباء متخصصين، ويتم بها مداواة جميع الأمراض الجسدية والعقلية والعصبية والنفسية، وقد تلقت البيمارستانات الدعم المادي والمعنوي من قبل خلفاء وولاة بني أمية.[9] وتألفت البيمارستانات من أنواع عدة فمنها الثابتة وهي ماكان بناؤها ثابتاً في مكان خاص لاينقل عنه، وكان هذ النوع موجوداً في معظم

---

[1] القلقشندي: مصدر سابق، ج1، ص431.

[2] السامرائي، كمال: مختصر تاريخ الطب، ج2، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1984م، ص268.

[3] جعله بالقرب من الباب الشرقي بمرج عذراء، وهي محل يسمى الآن بالأعاطلة.علي، محمد كرد: مرجع سابق، ج6، ص156.

[4] ياغي، غزوان مصطفى: المعالم الأثرية للحضارة الإسلامية، منشورات المنظمة الإسلاكية للتربية والعلوم والثقافة _ إيسيسكو، الرباط،2011م، ص150.

[5] الزَّمِنى هم ذوي الأمراض المزمنة وأصحاب الإعاقات، وكان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم، فجعل لكل مقعد خادم ولكل أعمى قائد، وقال: لأدعن الزمِن أحب إلى من أهل الصحيح، فكان يؤتى بالزمِن حتى توضع في يده الصدقة. خماش، نجدة: خلافة بني أمية في الميزان، دار طلاس، دمشق، 2002م، ص178.

[6] المقريزي: الخطط، مصدر سابق، ج2، ص187.

[7] ابن دقماق: مصدر سابق، ج1، ص99.

[8] محمود، يوسف: الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ط2، دار الأوائل للطابعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م،ص106.

[9] عمر، عبيد الفضل: الطب عبر القرون، دار الشواف، الرياض، 1989م، ص60.

البلدان الإسلامية، لاسيما العواصم والحواضر الكبرى،[1] وتقسم البيمارستانات الثابتة بشكل عام إلى قسمين: قسم للذكور وقسم خاص بالإناث، وكل قسم منها به قاعات للأمراض المختلفة ومجهز بما يحتاجه من آلات ومعدات طبية، وجُعل الماء في جميع هذه الأماكن،[2] وتعتبر الصيدلية من أهم أركان البيمارستان الثابت لاحتواها على أنواع الأدوية والعقاقير الضرورية للمرضى وعليها مسؤول يسمى المهتار[3]، واتصل بالبيمارستان مطبخ للطعام و مخزناً لحفظ الأثاث والطعام وغيرها من احتياجات المرضى، بالإضافة إلى حمام للرجال وآخر للنساء،[4] ويرأس البيمارستان شخص يُعرف بالساعور[5] يجعل لكل قسم رئيس يدير شؤونه الداخلية، وتخضع البيمارستانات عموماً للرعاية والراقبة المشددة من قبل المحتسب، كما أن الُمكلف بمتابعتها إدارياً هو نائب السلطان شخصياً، وذلك مما يدل على اهتمام الدولة البيمارستانات حينئذ.

وأما البيمارستانات المتنقلة أو المحمولة فهي التي تُنقل من مكان إلى آخر بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها، وقد كانت على نوعين مدني يرافق قوافل الحج أو عسكري مرافق للجيوش، وكان الدافع لقيام هذه البيمارستانات هو توفير الرعاية الصحية والطبية للرعية،[6] فتجهز مواكب الحج المتجهة نحو مكة بجميع مايلزم للمرضى من مواد اسعافية وأدوات وأدوية وأطعمة وأشربة وملابس وكل مايعين على ترفيه الحال على المرضى والعجزة والمزمنين، بالإضافة إلى تواجد الأطباء والممرضين والصيادلة، وقد حرص الخلفاء الأمويون على اصطحاب الأطباء معهم أثناء رحلاتهم للحج، وقد كلفوا الأطباء بمصاحبة أمراء الحجيج، وأول من قام بهذا العمل من البيمارستانات هو معاوية بن أبي سفيان إبان فترة خلافته، وكان ذلك عندما

---

[1] عيسى بك: مرجع سابق، ص67.

[2] الوقاد، محاسن محمد علي: الطب في بلاد الشام زمن الخلافة الأموية، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام بجامعة دمشق، 2009م، ص24.

[3] هو الموظف المسؤول عن جماعة الصيادلة، ويسمى بمهتار الشراب خاناه والمراد بها الصيدلية. القلقشندي: مصدر سابق، ج4، ص9.

[4] الوقاد: مرجع سابق، ص24.

[5] هي كلمة سريانية معناها منقذ المرضى، وهو رئيس البيمارستان. السراج: مرجع سابق، ص43.

[6] طرواة، حجازي حسن علي: مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م، ص417.

أرسل أبا الحكم الدمشقي[1] أحد أطباء الشام مع ولده يزيد إلى مكة عندما ولاه إمارة الحج ليشرف عليه، وعلى من في القافلة من المرضى.[2]

ومن صور البيمارستانات المتنقلة البيمارستان الحربي أو العسكري وهو الذي يرافق الجيوش في حالتي حربها وسلمها، وله أطباء وصيادلة مختصون وكل مايلزم للعناية بالجرحى والمرضى والجنود،[3] وقد ورد ذكر لهذا النوع من البيمارستانات في العصر الأموي وذلك حينما وضع عبدالله بن الزبير مستشفى للجيش عندما حُوصر في مكة المكرمة، وضرب فسطاطاً من ناحية المسجد الحرام، فكلما أُصيب أحد من أتباعه بجرح ينتقل إلى ذلك الفسطاط للمعالجة.[4]ثم تطور الحال بعد ذلك حتى صار يصحب الجيش أطباء وصيادلة وعقاقير وغلمان، وكل مايحتاجونه من الآت وأدوات وخيام ومحامل مريحة واسعة مفروشة بالأثاث اللين، ينقل عليها المرضى والجرحى، تحمل على الجمال، وكان أول من اتخذ هذه المحامل هو الحجاج بن يوسف الثقفي.[5]

اهتمام الأمويين بالطب والصحة ونظافة البيئة

لقد استفاد الأمويون من خبرات وعلوم الأطباء الأعاجم من أهالي المدن المفتوحة ببلاد الروم وبلاد ماوراء النهر، فكان خلفاء بني أمية من أوائل الذين أدخلوا الأطباء الأعاجم إلى حاشيتهم ومنهم ابن آثال النصراني[6] و ماسرجوية[7]، ويتضح ذلك من كثرة عدد المشتغلين بالطب حينئذ، فعندما طعن زياد بن أبيه أبيه في يده، جمع مئة وخمسين طبيباً لمداواته.[8] وأيضاً كانت النظافة والمحافظة على البيئة من اهتمامات

---

[1] كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة و مشهورة، وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منه. وقد قال الطبيب أبوالحكم: " ولي الموسم في أيام معاوية بن أبي سفيان، ابنه يزيد فوجهني معاوية مع ابنه يزيد متطبباً له وللحجاج". ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص157.

[2] القفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م، ص123.

[3] المقريزي: الخطط، مصدر سابق، ج3، ص350.

[4] الديوه جي، سعيد: الموجز في الطب الإسلامي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1989م، ص77.

[5] نفسه: ص78.

[6] هو طيب معاوية بن أبي سفيان، كان كثير الافتقاد له، والاعتقاد فيه والمحادثة معه ليلاً ونهاراً، وكان ابن آثال متمكناً من علمه في الطب، خبيراً بالأدوية والسموم. ابن أبي أصيبعة: مصدر سابق، ص175.

[7] هو طبيب بصري يهودي، عمل بالطب وبتأليف الكتب الطبية والصيدلة، بالإضافة إلى الترجمة فهو الذي ترجم كتاب أهرن أهرن الذي أخرجه عمر بن عبدالعزيز إلى الناس. ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص61.

[8]. ابن كثير: البداية والنهاية، مصدر سابق، ج8، ص60.

خلفاء وأمراء بني أمية، حيث عملوا على تنظيف الأنهار الكبيرة من الأوساخ التي تعيق جريان الماء، وتنظيف القنوات التي تقل المياة من الأنهار إلى السكك والحمامات العامة، ففي عهد سليمان بن عبدالملك شكا الناس قلة الماء في نهر بردى، فأمر الخليفة بكراية[1] أصل عين الماء،[2]كما حرص الأمويون على نظافة الطرق والبيوت، حيث ألزم زياد بن أبيه أهل البصرة بتنظيف أقنية بيوتهم من الطمي، وخاصة بعد هطول الأمطار، ومن يتخلف منهم في ذلك يُلقى الطين في بيته حسب أوامر زياد، كما أمرهم بتنظيف طرقهم من القذر، ثم اشترى عبيداً ووكلهم بذلك،[3] كما اهتم ولاة بني أمية بنشر الثقافة الصحية بين الناس، وحرصوا على توعيتهم وتعريفهم بخطورة الأمراض الوبائية، فكانوا يأمرون بتعليق نشرات صحية في الأماكن العامة خاصة بالمساجد، فقد أمر زياد بن أبيه بتعليق صحيفة في المسجد الأعظم في البصرة كُتب فيها معلومات عن داء الكلب، لتحذير الناس من هذا المرض واتباع الإجراءات الصحية والطبية تجنباً لإصابتهم بهذا المرض،[4] كما أصدر بعض الولاة قوانيناً وعقوبات صارمة على الأشخاص الذين يتسببون في تلوث البيئة، ومنها الأمر الذي أصدره الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث منع التبول في الأماكن والطرقات العامة، بسبب انتشار الأوبئة، وقام بمعاقبة كل من خالف ذلك بالحبس.[5]

بناء وعمارة الحمامات:

والحمام بتشديد الميم في اللغة هو الموضع الذي يستحم فيه الإنسان ويغتسل، ويُعرف أيضاً بالمستحم أي مكان الاستحمام، وقيل إن العرب قد سمت الحمام اشتقاقاً من حم الماء أي سخنه، والحمة هي العين الحارة التي يستشفي بها الأعلاء والمرضى،[6] وحممت الماء سخنته، والحميم والحميمة الماء الحار،[7] ثم أطلقوا اللفظ على المكان الذي يسخن فيه الماء بقصد الاستحمام، وقولهم استحم أي اغتسل بالحميم، ثم صار كل

---

[1] كرى النهر أي حفره. ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج14، ص219.

[2] ابن عساكر: تاريخ دمشق، مصدر سابق، ج2، ص30.

[3] البلاذري: أنساب الأشراف، مصدر سابق، ج5، ص244.

[4] الجاحظ: الحيوان، مصدر سابق، ج2، ص12.

[5] الإبراهيم: مرجع سابق، ص168.

[6] كان دخول المريض الحمام إيذاناً بشفائه، أو دليلاً على برئه، فالحمام موضعاً لعلاج الكثير من الأمراض، كالبرص والجزام والجزام والروماتيزم وغيرها. الحداد، محمد حمزة إسماعيل: العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، ج1، دار المقتبس، بيروت، 2014م، ص263.

[7] الرازي: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص167.

اغتسال استحماماً وكل مكان للاغتسال بالماء الحار أو البارد حماماً، و كلمة حمام ترد في النصوص مؤنثة وليست مذكرة وتجمع حمامات،[1] أما صاحب الحمام فيسمى حمامياً.[2]

وتعد الحمامات أحد أشكال المعمار المائي، ومؤشراً عمرانياً مهماً يعكس تحضر المجال، ويدل على تنامي الحس التجميلي من جهة أخرى، ولأن القصد من بناء الحمامات يكمن في النظافة والتجميل بوصفها من توابع الحضارة، ولذلك فهي لاتوجد إلا في الأمصار المستحضرة المستبحرة في العمران، لما يدعو إليه الترف والغنى من التنعم ورقد العيش، ولا تكون في المدن المتوسطة.[3] وبناء الحمامات كان مألوفاً لدى الأمم السابقة كاليونان والرومان وغيرهم، ولم يكن معروفاً عند العرب قبل الإسلام ولا في صدره الأول، وذلك لأن العرب لم يألفوا استعمال الماء الغزير ولم يعرف المسلمون الحمامات إلا بعد اتصالهم بالحضارات المجاورة لهم، فالحمامات من مظاهر التمدن والرقي التي لم يعرفها العرب قبل الإسلام ولا في صدره الأول، ولكن سرعان ماظهرت الحمامات في الحضارة الإسلامية العربية وشجع على ظهورها دعوة الإسلام إلى الطهارة و النظافة وفرض الغسل.[4]وكانت الحاجة إلى الحمامات في المدن الإسلامية غيرها في المدن الرومانية بمعنى بمعنى أن لها وظيفة وأشكال مختلفة، فحمامات الرومان كانت حكراً على الأثرياء والرياضيين والنخبة من المجتمع الروماني، يقصدونها للنزهة والتسلية والمتعة والترفيه فوظيفتها اجتماعية، حيث كان الشكل التكويني البنائي للحمام الروماني الذي كان يحوي برك السباحة والصالات لايراعى مايراعيه الحمام الإسلامي من الستر ومن فصل النساء عن الرجال ومن اقتصار العمل فيه على الغسل والاغتسال، أما الحمام في المدينة الإسلامية فقد أسس لحاجة دينية صحية، فهو من المرافق العامة التي يقصدها جميع أفراد المجتمع للاغتسال والتطهر والتطبيب أحياناً،[5] فالإسلام دين النظافة وقد حث عليها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الأمر الذي جعل المسلمين يهتمون ببناء الحمامات العامة حيث لم يكن من المألوف وجود حمامات بالبيوت فيما عدا بيوت الحكام والأمراء والموسرين،[6] وقد انتشرت الحمامات بكثرة في مختلف المدن العربية الإسلامية كالبصرة والكوفة ودمشق وأصبحت وفرة الحمامات من مزايا المدن ومظهراً من مظاهر التحضر والرقي، ونتيجة لذلك فقد اشتدت المنافسة فيما بينها بحيث يحرص كل منها على إظهار

---

[1] الزبيدي: تاج العروس، مصدرسابق، ج2، ص258.

[2] البخيت، محمد عدنان ومحمد يونس العبادي: حوث في تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، مكتبة المهتدين الإسلامية، الأردن_عمان، 1990م، ص137.

[3] ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق، ص418.

[4] عزب: مرجع سابق، ص87.

[5] نفسه: ص88.

[6] طرشاوي: مرجع سابق، ص42.

محاسنه وتقديم أكبر قدر من سبل الراحة لعملائه، أما حمامات المغرب فكانت متواضعة بالنسبة لمثيلاتها في المشرق ولكن ما لبثت أن ظهرت نماذج أكثر تطوراً وجمالاً بعد تطور فن العمارة الإسلامية إبان العصرين الأموي والعباسي.[1]

وقد اختلفت آراء الفقهاء حول حكم دخول النساء الحمامات، فرأى بعضهم كراهة ذلك، وذهب البعض إلى تحريمه،[2] وقد وضعوا آداباً عامة يجب مراعاتها عند دخول الحمام من قِبل الرجال والنساء، منها الحرص على أن تبنى الحمامات في وسط المدينة ليسهل وصول عامة الناس إليها، وأن تكون غرف خلع الثياب "المخلع" واسعة، وأن يكون الماء المستعمل طاهراً، وأن تكون مصارف الحمام فيها واسعة ومستقلة مخافة استردادها، وتسند وظيفة مراقبة الحمامات إلى المحتسب،[3] حيث يشرف بنفسه على نظافة الحمامات ويأمر أصحابها بتنظيفها وغسلها بالماء الحار يومياً، و يأمرهم بدلك البلاط بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها السدر والصابون فتزلق أرجل الناس عليها، كما يأمرهم بغسل الخزانة من الأوساخ المجتمعة في مجاريها في كل شهر مرة، لأنها إن تُركت أكثر من ذلك فسوف يتغير لونها ورائحتها، وشعل البخور في كل يوم مرتين،[4] كما يأمرهم بأن يتحققوا من طهارة الماء ودرجة حرارتها، ومراقبة سلوك المستحمين وإلزامهم بالأخلاق العامة التي تتماشى وروح الشريعة الإسلامية،[5] فكان يخصص للنساء يوم أو أكثر من الأسبوع، وحرصاً على الآداب العامة واجتناب اختلاط الرجال بالنساء في الحمامات المشتركة كان يُعلق على باب الحمام أو عند مدخله منديل أو قطعة قماش من الكتان في فترة دخول النساء فلا يطأ الرجال عتبته قط، ويكون الخدم قد غادروا الحمام قبل فترة بسيطة وحلت الخادمات محلهن، ثم خُصصت بعد ذلك حمامات للرجال وأخرى للنساء،[6] وحرص على الخصوصية فقد كان الحمام الخاص بالنساء يقوم على العمل فيه نساء تقوم

---

[1] غالب، عبدالرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، 1988م، ص138.

[2]. قد ذكر أن الرسول ﷺ قد نهى في بداية الأمر عن دخول النساء والرجال الحمام حيث روت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ نهى الرجال والنساءعن دخول الحمام، ثم رخص للرجال أن يدخلوه بالمئزر، وفي مرحلة ثانية أباح للنساء دخول الحمام بعذر شرعي كالمرض أو النفاس فيما أباحه للرجال بشرط لبس المئزر فقال: (ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار وأمنعوا النساء إلا لمريضة أو نفساء) أخرجه أبو داود. أبوداود: السنن، مصدرسابق، ص10.

[3] ابن مفلح، أبوعبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ج3، عالم الكتب، بيروت، 1999م، ص321.

[4] مصطفى: مرجع سابق، ج2، ص665

[5] طرشاوي: مرجع سابق، ص44.

[6] وليم لاين، إدوارد: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، ترجمة سهير دسوم، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م، ص347.

بالإشراف عليهن مشرفة خاصة تكون مسؤولة عن سير نظام العمل والمحافظة على الآداب والآخلاق بداخل الحمام، والفصل في المنازعات التى تحدث دائماً في حمام النساء،[1]وكل هذه الشروط والآراء الفقهية تدل على حرص الشريعة على أن يكون الحمام مستوفياً للغرض الذي بني من أجله مؤدياً لوظيفته على أكمل وجه. أما العمال القائمين على خدمة الحمام فهم كُثر وأهم الحمامين المعلمة وهو مستغل الحمام ومديره، والقيم ويطلق عليه المدلك أو المكيساتي ومهمته تعهد أرض الحمام بالكنس والغسيل، وتدليك أجساد المستحمين وتجميلهم، أما الناطور أو الناطورة فهو الحارس الذي يقف في باب الحمام للحراسة وتقديم المآزر وأدوات الاستحمام للمستحمين وتحية الداخلين والخارجين والدعاء لهم،[2] والمزين وهو أيضاً من أهم العمال بالحمام ويعرف بالبلان أو البلانة وهو الذي يقوم بالحلاقة والحجامة والختان لمن يريد من الزبائن، ومنه أيضاً الماشطة هي وظيفة خاصة بحمامات النساء ومهمتها تزيين النساء وتصفيف الشعر وتسريحه، وكذلك الوقاد ومهمته إشعال النار لتسخين الماء، والسواق ومهمته إدارة ساقية الماء وإصلاح أدوات الماء، والزبال ومهمته إحضار وقود الحمام.[3]

أنواع الحمامات: وهي نوعين حمامات عامة وهي التي أُقيمت بشكل عمائر مستقلة بهدف الكسب والربح ويدخل إليها كل قادر على دفع مصاريفها من عامة الناس، وتتفاوت أجرة الاستحمام بتفاوت فخامة الحمام وخدماتهم التي يقدمها للزبائن،وقد وجد من هذه الحمامات ماخُصص للرجال فقط أو للنساء كما كان أغلبها يفتح للرجال قبل الظهر وللنساء بعد ذلك،[4] أما النوع الأخر فهي الحمامات الخاصة وهي التي أضافها المسلمون كأجنحة خاصة ملحقة بقصور ومنازل الأمراء والأغنياء أو ألحقت بالبيمارستانات وغيرها من دور العلاج، ولم تكن الحمامات قبلهم تلحق بالمنشآت بل كانت تبنى مستقلة بذاتها.[5]

تخطيط الحمامات: وقد عرفت الحمامات الإسلامية نوعين من التخطيط وهما، التخطيط المركزي وهو الذي تدور فيه جميع عناصر الحمام حول عنصر أساسي مركزي، والتخطيط المستطيل المتتالي وهو الذي تتتابع

---

[1] سعاد محمد حسن: الحمامات في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة_ كلية الآثار، 1983م، ص171..

[2] الطايش، علي: العمارة في مصر الإسلامية، مكتبة الصفا والمروة، الأسكندرية، 1996م، ص201.

[3] الحداد: مقدمة في الآثار الإسلامية، مرجع سابق، ص51.

[4] إيكوشار، ميشيل وكلود لوكور: حمامات دمشق، ج1، تعريب ممدوح الزركلي ونزيه الكواكبي، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1985م، ص45.

[5] ياغي، غزوان مصطفى: المعالم الأثرية للحضارة الإسلامية في سورية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة_ إيسيسكو، الرباط،2011م، ص139.

فيه عناصر الحمام بشكل متتالٍ، أي على محور عرضي واحد،[1] ويكون التخطيط المعماري للحمام مكونا من قسمين رئيسين: أحدهما هو الحمام نفسه وهو أشبه مايكون بالقوقعة المغلقة، خلا من النوافذ والفتحات التي تسمح بالنظر إلى من بالداخل، وتمنع دخول التيارات الهوائية الباردة التي قد تؤذي من بداخله، ومدخل الحمام هو الفتحة الوحيدة فيه للدخول والخروج، وهي عادة ماتكون منكّبة بالنسبة لمداخل المنشآت المقابلة، أي أن مدخل الحمام لا يكون مقابلاً أبدا لمداخل المنشآت الأخرى وخاصة إذا كانت هذه المنشآت وحدات سكنية، والمدخل في الحمام لايؤدي مباشرة إلى غرفة الاستقبال، وإنما يمر الداخل عبر دهليز منكسر لايسمح بأن يرى المارة من بداخل الحمام، وهذا من أجل توفير بعض الخصوصية لمرتادي الحمام خاصة النساء،[2] أما القسم الثاني فهو للتشغيل ويضم الموقد والمرجل وخزانات المياه الباردة والحارة التي تنطلق منه إلى الحمام عبر أنابيب من مواد مختلفة أو تنطلق مكشوفة أو في الجدران أو تحت الأرض ثم تنصرف عبر بلاليع ومجارير خاصة ومن هذا القسم تتم تهوية الحمام الخالي من النوافذ.[3]

أقسام الحمام: وأما الحمام نفسه فيتألف من من أربعة أقسام رئيسة وهي: **أولاً: القسم البارد** " **البرانيأ و المشلح**"، وهي القاعة التي ينتهي إليها المدخل، وتكون على شكل مستطيل تعلوها قبة نصف اسطوانية تنتهي بقبوين يعرفان بالخلوتين، ويفصلهاعن باقي القاعات عقدان يستندان فيما بينهما إلى عمود مركزي،[4] وبها مقاعد خشبية أو حجرية ويتوسطها قصرية وتتصل بالقاعة التي تليها عن طريق ممرات متعرجة طويلة نسبياً للفصل بين الجو الحار والبارد، وفيها يضع المستحمون ثيابهم عند دخولهم ثم يلبسونها عند خروجهم، وبها أيضاً مكان مخصص لجلوس صاحب الحمام أو الشخص المسؤول الذي يسير أعمال الحمام، ويقبض الأجور ويحفظ أغراض الناس وأموالهم،[5] وفي الحمامات المترفة تسبق هذه الغرفة، غرفة تُعرف ببيت المستراح، لكي يستريح المستحمون بها قبل أو بعد خروجهم من الحمام.[6]

ثانياً: القسم الدافئة "الوسطاني": وهي عبارة عن وسيط حراري بين قاعة نزع الثياب وبين القاعة الحارة حتى لا يتأذى المستحم من الانتقال المباشر من قاعة الملابس إلى القاعة الحارة، وهذه القاعة أكثر اتساعاً من البراني، يتوسطها فراغ مركزي مربع الشكل تعلوه قبة، وتحيط بها أربع ممرات مقببة، محمولة على أعمدة

---

[1] الحداد: العمارة والفنون، مرجع سابق، ج1، ص320_321.

[2] طرشاوي: مرجع سابق، ص42.

[3] الباشا، حسن: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، 1990م، ص159.

[4] سالم: السيد عبدالعزيز: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية،1986م، ص141.

[5] طرشاوي: مرجع سابق، ص44.

[6] العزاوي، رغد جمال مناف: العمارة الأندلسية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد _ كلية ابن رشد للعلوم الإنسانية، 2013م، ص241.

ويتخلل هذه القنوات الجانبية والوسطى فتحات تسمى مضاوي لإدخال الضوء دون الهواء،[1] وتحلق بهذا القسم مقصورة وأحواض للماء الساخن وتفرش أرضيته بالرخام.

ثالثاً: القسم الحارة " الجواني": وهي مكان الاستحمام الحقيقي، وهي قاعة ذات شكل مستطيل مزودة بمغاطس وخلوات ومخادع وبمقاعد ومصاطب حجرية وأجران من حجر أو رخام،[2] ويبلغ فيه الماء الساخن أقصى درجاته، وتكون أرضيته مفروشة بالرخام فهو يثبت الحرارة كما أنه سهل التنظيف، وعادة ماتعلو هذه القاعة قبوات أو عقود نصف برميلة بها فتحات مغلقة بالزجاج بحيث تسمح الماء بمرور الضوء دون الهواء.[3]

رابعاً: القميم أو المستوقد "بيت النار": وهو موضع الخدمات الفنية والتشغيل ويعرف أيضاً بالمرجل، به خزانات المياه الباردة والحارة، وهو القسم الذي تسخن فيه مياه الحمام، ثم يمر الماء عبر قنوات فخارية أو حجرية لتصل إلى وحدات الحمام المختلفة ويبنى منفصلاً عن الحمام بصرياً وحركياً بيد أنه ملاصقاً للقسم الجواني وله مدخل خاص به،[4] وهو يتألف من أربعة أقسام: أولها الخزانة وبها قِدران تعرف بالبرمة أو الفرنس الأولى داخلية كبرى وتسمى النارية والثانية أقل حجماً ومنخفضة وتسمى الدخانية ومنها يفيض الماء الساخن ليملأ الخزانة بارتفاع حوالي 40 سم، وهذا ما يؤمن احتياطي مهم من الماء الساخن كما يؤمن سطح كبير للتبخر قادر على تشكيل البخار بسرعةٍ، ويعتبر تأمين غزارة الماء الساخن والبخار الكثيف أهم شرطين لتشغيل الحمام لينتقل بعد ذلك لأحواض الاستحمام المنتشرة في أجزاء الحمام عبر أقصاب مغيبة تعرف بالبواري،[5] ثمالموقد ويقع أسفل القدرة النارية وبه يوضع الوقيد المكون من الخشب وقضبان القبب أو روث الحيوانات، وبه ثقب يحمل الدخان عبر ممرات التسخين أسفل القسمين الوسطاني والجواني حتى ينتقل لتطرد عن طريق المدخل، وأما بيت الرمادفهو يرتبط مع الموقد أعلاه بثقب يسمح بنزول الرماد وصغير الجمر إليه، ويأتي في الآخر سكن القميمي وهو يتألف من غرفة ملحقة بفناء صغير تابع للحمام ويستثمر هذا الفناء بنشر الزبل وتجفيفه إضافة لإسطبل صغير للدابة التي تجلب عليها الوقيد.[6]

---

[1] مورينو، مانويل جوميث: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ولطفي عبدالبديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص200.

[2] أبوخلف، مروان: معالم الحضارة الإسلامية بفلسطين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة _ إيسيسكو، 2001م، المغرب، ص117.

[3] عثمان: مرجع سابق، ص246.

[4] أبوخلف: مرجع سابق، ص117.

[5] سالم: المساجد والقصور، مرجع سابق، ص142.

[6] ياغي: مرجع سابق، ص141.

وتتصل أقسام الحمام فيما بينها عن طريق فتحات وأبواب تتخذ جميعها شكلاً مستطيلاً أو مربعاً حيث تدور حول غرفة مركزية، أما الحمام من الخارج فلا يختلف عما بجواره من المباني سوى بمدخنته الضخمة وكذلك قبابه المزينة بأعقاب الزجاجات الخضراء والزرقاء في تشكيل هندسي وهي تعد منفذ النور الوحيد إلى الحمام، وقد انتشرت الزخرفة والتصوير في الحمامات بكثرة ومن أهم الحمامات التي احتوت على صور حمام قصير عمره شيده الأمويون بالشام.[1]

بناء وتجديد الحمامات في العصر الأموي:

بناء الحمامات الإسلامية هو استمرار لتقاليد فن العمارة الرومانية، ولعل أول تلك الحمامات وأقدمها حمام الفأر الذي أقامه عمرو بن العاص رضى الله عنه في سويقة المغاربة بالفسطاط، وسماه الناس بذلك تهكماً لصغر حجمه مقارنة بالحمامات الرومانية حينئذ،[2] وكذلك حمام عياض بن غنم الذي شيده في مدينة القدس، ومن أوائل الحمامات الإسلامية أيضاً حمامات البصرة الثلاثة التي بناها عبدالله بن أبي العاص الثقفي في أواخر القرن الأول الهجري إبان خلافة بني أمية، وهي حمام فيل مولى زياد بن عثمان وحمام مسلم بن أبي بكرة وحمام بالقرب من قصر عيسى بن جعفر،[3] وقد انتشرت الحمامات بالمدن الإسلامية إبان العصر الأموي حيث تطور فن العمارة، وعرف الخلفاء والأمراء والأغنياء من الناس حياة الترف والتنعم، فكان الأمويون يفتخرون بحماماتهم وخاصة أهل دمشق، حيث ذُكر أن الخليفة الوليد بن عبدالملك حينما بنى المسجد الجامع بدمشق قال مخاطباً لأهلها:(تفخرون على الناس بأربع خصال، تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت أن يكون مسجدكم الخامسة)، وقد طور الأمويون الحمامات من الناحيتين الهندسية والمعمارية لكي تتناسب مع القواعد والقيم الإسلامية ومتطلبات البيئة العربية الإسلامية، وقد طورت الحمامات حينئذ تبعا لمرونة الاستخدام أو البذخ في التصميم والبناء، وكذلك أعادوا استخدام بعض الحمامات مع إدخال تعديلات في تخطيطها كما في حمام عمواس وحمام وادي اليرموك.[4]

حمام قصير عمرة[5]:

وقيل أنه من أقدم الحمامات الإسلامية، بناه الوليد بن عبدالملك فيما بين 86_96هـ/ 711_715م بقصر عمره ببادية الشام والذي ماتزال آثاره باقية حتى الآن دون بقية القصر، بالقرب من البحر الميت وعلى بعد

---

[1] غالب: مرجع سابق، ص138.

[2] شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص397.

[3] السراج: مرجع سابق، ص85.

[4] البخيت: مرجع سابق، ص140.

[5] ملحق رقم (3)، ص232.

خمسين ميلاً شرقي عمان عاصمة الأردن الحالية، ويعد هذا الحمام نموذجاً للحمام الإسلامي حيث بنيت كثير من الحمامات على غراره منها حمام الصرخ وحمام قصر خربة المفجر.[1]

وصف الحمام: يتكون هذا الحمام من قاعة ذات ثلاثة أجنحة تنتهي بقاعة تحاذيها على الجانبين مقصورتان ذات قادمتين واضحتين من الخارج، وتنفتح القاعة إلى اليسار أي من الجهة الشرقية على غرفتين، أما الجنوبية فهي مغطاة بقبوة مهدية والثانية مغطاة بقبوة متقاطعة، وتنفتح هذه القاعة من الشرق أيضاً على قاعة ثالثة ذات قبة لها مقصورتان وتتصل هذه القاعة بدهليز إلى قاعة كبيرة،[2] ويشكل هذا الحمام حلقة مستقلة من نشوء الحمامات الإسلامية بالشام، وذلك لأن التقسيم المعماري للحمام يكاد يكون مطابقاً للحمام الروماني، فهو مؤلف من قاعة واسعة لخلع الملابس، وثلاث قاعات للاستحمام، تأتي في مقدمتها **القاعة الباردة** وهي غرفة مستطيلة وأبعادها(2,83×2,30)، يدخل إليها عبر فتحة في الجدار الشرقي من قاعة الإستقبال، وهي مسقفة بقبو نصف برميلي ومحوره عمودي على محور قاعة الإستقبال، وتقتصر فيها الإضاءة على نافذة عاليةٍ قريبة من السقف في الجهة الجنوبية الشرقية،[3] وبمحاذاة الجدارين الشرقي والجنوبي توجد مصطبة صغيرة بارتفاع 0,30م، وعرض 0,22م، مغطاة بطبقة من المونة الكلسية والجص، ويعتقد أن هذه الغرفة كانت تستعمل لخلع الملابس والراحة بعد الاستحمام،[4]وتليها **القاعة الدافئة** وتقع إلى الشمال من الأولي وهي أكبر حجماً منها، مربعة الشكل أبعادها (2,50×2,80م)، ويتم الدخول إليها عبر مدخلٍ فتح في جدار القاعة الباردة عرضه حوالي (1,06م) وارتفاعه (1,70م)،[5]ويغطى سقف القاعة بأقبية بأقبية متقطعة نصف أسطوانية، ويتوسط الجدار الشمالي لهذه الغرفة حنية مربعة الشكل أبعادها (1,22×1,25م)، تعلوها نافذة صغيرة تفتح نحو الخارج بغرض الإضاءة، ويغطى الحنية عقد نصف دائري، وأرضيتها مقامة على دعامات من الآجر المشوي وأعمدة بازلتية، في الزاويتين الشمالية والجنوبية الشرقية من الغرفة أنابيب فخارية قطرها (0,7م)، وتتصل بالموقد الذي يقع في نهاية الممر المُقنطر، وظيفتها توزيع الحرارة داخل الغرفة،[6]وإلى الشرق منها تأتي**القاعة الحارة** وهي غرفة ذات مخطط بيضوي، مسقوفة بقبة محمولة على أربعة مثلثاتٍ كرويةٍ وضعت في الأركان العليا، بينها وبين القبة إفرمن الحجر الكلسي يبلغ

---

[1] الحداد: مقدمة في الآثار الإسلامية، مرجع سابق، ص50.

[2] بهنسي: جمال الفن العربي، مرجع سابق، ص140

[3] البخيت: مرجع سابق، ص143.

[4] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص100.

[5] زيادين: فوزي، قصير عمرة الأموي، دائر الثار العامة، عمان، 1977م، ص7.

[6] Vibert Guigue, Claude & Bisheh, Ghazi. Les Pintures de Qusayr Amra, Un Bin Omeyyede la Badiya Jrodanienne,2007, p20.

ارتفاعه0,30(م)، مزين بمسننات وتعاريج، وهنالك أربع نوافذ صغيرة فتحت فوق الإفريز مباشرة، ارتفاع كل واحد منها من الداخل (0,65م)ومن الخارج (0,85م)،[1] ويتخلل الجدارين الجنوبي والشمالي للغرفة حنيتان ينتهيان من الأعلى بنصف قبة، ويبدو أن هاتين الحنيتين كانتا بمثابة أحواض للاستحمام بالمياة الحارة حيث أن أرضيتها أكثر انخفاضاً من أرضية الغرفة نفسها، وتحوي هذه الغرفة على حوض ماء مبنى بالرخام، ويزود بالماء الساخن بواسطة أنابيب فخارية تتوزع تحت أرضية الغرفة التي ترتفع على دعامات من الآجر المشوي،[2]وإلى الشرق من الغرفة يوجد ممر عريض مسقوف بقبو نصف دائري أقيم عند أرضية طرفه البعيد الموقد الذي يزود القاعتين الحارة والدافئة بالهواء الساخن،[3] ويلي هذا الممر ساحة مربعة تركت مكشوفة حتى تسمح للرياح بدفع الهواء عبر القميم إلى غرفة الحمام المجاورة، كما كانت هذه المساحة تستخدم لخزن الوقود أيضاً، وقد بنى الحمام بالحجر الجيري الأحمر والأقبية والجدران تكسوها طبقة سميكة من الملاط، كما كُسيت الأرضية بالرخام يجري أسفله أنابيب رصاصية لنقل البخار والماء الساخن من غرفة المرجل إلى الغرفتين الحارة والدافئة كما هو الحال بالحمامات الرومانية.[4]

ولقد اشتهر حمام قصر عمرة بالصور والرسوم التي تزين جدرانه وقبواته، والتي تمثل مناظر صيد والطيور والحيوانات والأشجار، وخاصة العنب وأغصانه وثماره وأوراقه، وبعض اللوحات تمثل عدداً من النساء وهن يحملن الدلاء والأطفال أويقمن بالمساعدة في الاستحمام،[5] وفي غرفة غيار الملابس توجد لوحة تمثل دائرة البروج ويوجد في وسطها مجموعة الدب الكبير والدب الصغير، وبعض الزخارف النباتية المتنوعة وهي صور مرسومة بالألوان المذابة في الماء التي تعرف باسم الفريسكو[6].

حمام الصرح "السراح": ويقع هذا الحمام على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقي قصر الحلابات، وعلى مسافة 45كم إلى الشمال الغربي من قصر عمرة، وعلى بعد نحو عشرين ميلاً من حمام الزرقاء على طريق الحج

---

[1] الشرع، رائد رزق: رسوم أصحاب الحرف في قصير عمرة، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج 3، العدد 1، 2009م، ص2

[2] نويصر: الآثار الإسلامية، مرجع سابق، ص87.

[3] سامح، كمال الدين: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ص38.

[4] بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، مرجع سابق، ص139.

[5] ملحق رقم (4)، ص233.

[6] وكلمة فريسك (Fresco) لفظ إيطالي يفيد معنى رطبأو الطازج، وتستخدم للدلالة على التصوير الجداري أيا كان، ولكنها لا لا تنطبق في الواقع إلا على الأعمال المصنوعة وفق تقانة خاصة تقوم على وضع ألوان مائية مركبة أساساً من السيليكات، على طلاء جداري رطب هو خليط من الرمل والكلس، فتتكون بعد جفاف هذه العملية الكيميائية مادة قاسية كالأسمنت تعلوه قشرة شفافة. سلامة: زهران، الحفر على المعادن، دار طابا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص19.

على بعد اثنى عشر ميلاً شمال عمان بالأردن، وهويشبه إلى حد كبير حمام قصر عمرة من حيث التخطيط، ويرجع تاريخ بناءالحمام الصرح إلى الفترة مابين(111/106هـ _730/725م)، أي في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك الأموي.[1]

وصف الحمام: يتكون الحمام من ثلاثة عناصر رئيسة قاعة الاستقبال ومبنى الحمام والمنشآت المائية، ويتم الدخول إلى الحمام عن طريق باب عرضه 2,8 م، في منتصف الحائط الجنوبي لقاعة الاستقبال وهي غرفة ذات شكل مستطيل وتبلغ أبعادها 8,95×7,90 م، مسقوفة بثلاثة أقبية برميلية، رصفت أرضيتها ببلاط من القرميد الأحمر والأبيض بالتناوب،[2] وفي الزاوية الشمالية الشرقية منها توجد بركة فيها نافورة بعمق 90سم، وأبعادها 2,9م طولاً و5,05م عرضاً، وتأخذ النافورة مياهها من خزان ماء يقع إلى الشرق بواسطة أنابيب فخارية،[3] ويتم الدخول إلى مبنى الحمام عن طريق باب ارتفاعه 1,63م وعرضه 80سم في الزاوية الشمالية الغربية من قاعة الاستقبال حيث يؤدي إلى غرفة غيار الملابس أو الغرفة الباردة وهي مسقوفة بعقد أسطواني، ويبلغ طولها3,45م وعرضها 2,5م وهي مقسمة إلى ثلاثة أروقة طولية ممتدة من الشمال إلى الجنوب، ويفصل بينهما عقدان مدببان، وينتهي الرواق الأوسط في الجهة الجنوبية الشرقية بحنية، وتكتنفه غرفتان لنزع الملابس وترتفع أرضيتهما عن أرضية قاعة الاستقبال بحوالي 15سم وقد رصفت بالفسيفساء والرخام، وأضيئت الغرفتان بثلاث فتحات في كل غرفة على هيئة مغازل، وبكل غرفة فتحة مستطيلة مغطاة بقبو مدبب،[4]ويتوصل من هذه الغرفة إلى القاعة الدافئة وهي غرفة مستطيلة يبلغ طولها 3,4م، وعرضها 2,2م، ويغطيها قبو ذا عقودٍ متقاطعة، وفي جانبها الجنوبي الشرقي توجد دخلة مستطيلة بعرض1,7م، وبعمق 1,2م،[5] وعلى مستوى أرضية الغرفة توجد أنابيب بتصريف المياه الزائدة والمستعملة إلى الخارج، كما كما توجد ثلاثة أنابيب وضعت بشكل عمودي للجدار الجنوبي ممدودة إلى الخارج لإخراج الدخان،[6]وفي منتصف الجدار الشرقي بها باب يؤدي إلى القاعة الحارة وهي غرفة ذات مخطط مربع ويبلغ طول ضلعها حوالي 3,70م مغطاة بقبة ترتفع على أركان مثلثة كروية، وكانت القبة مغطاة بطبقة من الملاط ومغشاة بقطع من الخزف، وبها ثمانية نوافذ دائرية، وفي الشمال الشرقي من الغرفة يوجد ممر ذو سقف برميلي يقود

---

[1] كريزويل، ك: الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبدالهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، 1984م، ص124.

[2] طوقان، فواز: الحائر بحث في القصور الأموية، وزارة الثقافة والشباب، الأردن/ عمان، 1979م ص431_432.

[3] البخيت: مرجع سابق، ص144.

[4] عبده : الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص121.

[5] سامح: مرجع سابق، ص40.

[6] الرشدان، وائل منير: القصور الأموية في المملكة الأردنية الهاشمية، جامعة الملك سعود/ النشر العلمي والمطابع، الرياض، الرياض، 1430هـ/ 2009م، ص53.

إلى ساحة تركت مكشوفة لتسمح للرياح بدفع الهواء الساخن إلى الغرفة الساخنة من غرف التدفئة التي تحتوي على ستة عشر عمودا رتبت من أربعة صفوف،[1]وقد كانت جدران الحمام تزدان بنقوش وزخارف جميلة شبيهة بالزخارف الموجودة في حمام قصر عمرة، ومن المنشآت المائية الملحقة بالحمام، خزان ماء مربع الشكل مساحته من الداخل 4,30م، ويرتفع عن سطح الأرض بحوالي 2,50م، وذلك لتعزيز عملية دفع الماء بقوة للأسفل أي إلى داخل الحمام، كما وجدت ناعورة بالقرب من الحمام بلغ قطرها 5م، كانت تستخدم في رفع الماء من البئر،[2]أما فيما يتعلق بمادة البناء فقد شيد الحمام من الحجر ذى المداميك المنتظمة، وقد ساد هذ الطراز في عمارة الحمامات بمختلف البلاد الإسلامية على مر العصور ولم يختلف إلا في الشيء القليل، خاصة فيما يتعلق بحجم الحمام وبالزخارف التي وجدت فيه.[3]

حمام قصر الحير الشرقي

يقع في القسم الشمالي من القصر، وجاء مخطط [4] الحمام على شكل مستطيل أبعاده 30×50م، وهو عبارة عن كتلتين إحدهما مسقوفة والأخرى مكشوفة، وفي شرقيه توجد باحة كبيره ودرج، وقد بنى الحمام بالحجر المنحوت ويبلغ ارتفاع المدماك 2,5م، ومن ثم تعلوها مداميك من اللبن والقرميد،[5] أما الوصف المعماري للحمام فهو مشابه لطراز الحمامات الرومانية بالشام من حيث الشكل وتقنية التشغيل، فهو يتكون من ثلاثة أقسام بارد ودافئ وساخن،[6] بالإضافة إلى بيت النار حيث يتم تسخين المياه فيتصاعد منها البخار البخار الذي يمرر عبر أقنية وفراغات تحت أرضية الحمام، حيث بني القسم السفلي من الحمام بالحجر وكسي داخله بالرخام الفخم.[7]

حمام قصر الحير الغربي:

يقع شمال القصر من الخارج، وهو واسع المساحة شبه مستطيل بنى من الحجارة الجصية على نسق حمامات دمشق وترتيبها، ويتألف مبنى الحمام من قسمين حار وبارد، أما البارد فيتكون من أربع حجرات،

---

[1] كريزيل: مرجع سابق، ص141.

[2] الرشدان: مرجع سابق، ص54.

[3] زكي محمد حسن: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص47.

[4] ملحق رقم (5)، ص234.

[5] ياغي: مرجع سابق، ص108.

[6] جود الله، فاطمة: سوريا نبع الحضارة "تاريخ وجغرافية أهم الآثار في سورية"، دار الحصاد، دمشق، 1999م، ص6111

[7] يوسف، شريف: المدخل لتاريخ العمارة الإسلامية وتطورها، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1980م،ص43.

والحار من ثلاث حجرات، إضافة إلى حجرتين لتسخين الماء وحجرة لتخزين الحطب،[1] ويتم تزويد الحمام بالماء بواسطة قناةٍ متفرعة من القناة الريئسة الممتدة من سد خربقة.[2]

الوصف المعماري لأقسام الحمام: أولها غرفة صاحب الصندوق وهي مستطيلة الشكل وتقع على يمين الحمام، وهي خاصة بالشخص المسؤول عن الحمام، الذي يقوم بالسيطرة على مداخل الحمام التي تربطه بالسوق ودار الإمارة، وفي حال إغلاق هذه الأبواب يصبح الحمام معزولاً عن مرافق المدينة.[3] وتليها غرفة المنزع "المشلح" وهي مكونة من قسمين وتأخذ شكل الحرف (L) متصلة بالداخل بيد أنه لايستخدم فيها التسخين، وهي غير مزودة بأحواض، وأرضيتها مفروشة بالحصر الصغيرة، وجدرانها مطلية بالملاط وجانبها الغربي غير منتظم ويوجد في الجزء الشمالي منها مقعد للجلوس والراحة قبل وبعد الدخول إلى الحمام حتى لا يصاب المستحم بنزلات الملابس والأحذية وحفظها،[4] ومنها يدخل المستحم إلى غرف الحمام الأخرى.[5]ويليها القسم البارد وهو يحتوي على أربع غرف مبلطة بحجارة جصية كبيرة شبيه بالبلاط الموجود في باحة القصر،[6] أما الغرفة الأولي فهي مدخل وتمتاز بأنها مكشوفة، والثانية فهي مستطيلة الشكل، وفي الزاوية الجنوبية الغربية منها يوجد حوض للمياه وعلى جوانبه مقاعد حجرية،[7] ثم الغرفة الثالثة وهي مربعة الشكل ويوجد في أرضيتها أنبوب تتسرب منه المياه المستعملة إلى الخارج، وكذلك الغرفة الرابعة فهي مربعة الشكل بها حنية نصف دائرية في منتصف جدارها الجنوبي وهي مخصصة لأدخال الضوء. ويليه القسم الدافئ: وهو يحتوي على ثلاث حجرات متجاورات، مغطاة بسقوف على شكل المهد، ذوات أرضيات محمولة على الآجر، بها دعامات يمر عبرها الهواء الساخن، أما الغرفتان الأوائل فهما مزودتان بمقاعد عريضة للجلوس تمتد على طول الجدارن، وبالإضافة إلى خزان للماء الحار،[8] حيث ينتشر الماء الحار من الخزان

---

[1] بهنسي، عفيف: القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1986م،ص72.

[2] خماش، نجدة: دارسات في الآثارالإسلامية، مطبعة رياض، دمشق، 1981م ،ص52.

[3] المومني، سعد: العمارة الأموية في مدينة عمان في ضوء التنقيبات الآثرية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 2004م، ص240.

[4] عبدالحق، عادل سليم: إعادة تشيد جناح قصر الحير الغربي في متحف دمشق، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج 1، ج1، 1951م، ص13.

[5] البخيت: مرجع سابق، ص149.

[6]. Schlumberger:Daniel.1939.A."Les Fouilles De Qasr El_Heir El_Gharbi (1936_1938) Rapport Perliminair Syria20. Damasucus.P.215

[7] شلومبرجيه، دانيال: حفريات قصر الحير الغربي، مجلة المشرق، العدد4، 1938م، ص12.

[8] عبدالحق: مرجع سابق، ص14.

إلى أحواض الاستحمام في الغرفة الثالثة، وهي تحتوي على بركة مربعة الشكل تبرز قليلاً من الجهة الغربية.[1] ويليها القسم الساخن وهو يقع إلى الشرق من القسم الدافئ، ومستواه أقل من مستوى حجرات الحمام الأخرى، ويتألف من ثلاث غرف مبلطه،[2] الأولي تضم خزان المياة، والثانية تحتوي على مستلزمات تسخين المياة، أما الغرفة الأخيرة بها الموقد ويجمع فيها رماد المحروقات. ويليها المستوقد أو بيت النار وهي آخر غرفة في الحمام، وتحتوي على أنابيب فخارية تستخدم لنقل الهواءالساخن إلى غرفة الحمام الدافئة والحارة، كما تحتوي على أحواض لتسخين المياه التي توضع على قدور نحاسية تمد بالوقود من الساحة الموجودة جنوب المستوقد، وبها قناتين لتصريف المياة المستعملة إلى خارج الحمام.[3]

حمام خربة المفجر:

هو من مرافق قصر المفجر بالقرب من أريحا، ويعتبر من أكبر الحمامات الأموية، وهو حمام شبه خاص وقد بنى بغرض اللهو والتسلية أكثر منه لغرض النظافة، له مدخلان الأول في الجهة الجنوبية يؤدي مباشرة إلى القصر عن طريق ممر مغطى ويعتقد بأنه خاص بالخليفة،[4] أما الباب الثاني وهو الرئيس ويقع في الجهة الشرقية وهو باب واسع يقوم على برج مسقوف ومزخرف من الجهة الأمامية وعليه بعض التماثيل المصنوعة من الجبس الملون،[5] وهنالك خلاف حول باني هذا الحمام أهو الخليفة هشام بن عبدالملك؟ أم الوليد الثاني بن يزيد؟، ولم يعمر الحمام طويلاً فقد لحق به الدمار بعد فترة قصيرة من بنائه، نتيجة زلزالٍ أصابه في عام 746م.[6]

الوصف المعماري للحمام: يتألف مخطط الحمام من رحبة أمامية ومدخل مسقوف وقاعة ضخمة مربعة الشكل طول ضلعها 30م تقريباً، ويحمل سقفها على ست عشرة قاعدة ضخمة وهي أعمدة متداخلة عليها أقواساً مخففة، وبجدراها تجويف خمسه مغطى بقباب عالية،[7] بالإضافة إلى أربعة قاعاتأخرى وهي أقسام الحمام الرئيسة، في مقدمتها القاعة المربعة الواسعة وهي تمثل غرفة نزع الملابس مع الغرفة الباردة في وقتٍ واحد، وتوجد فيها بركة واسعة في الجهة الجنوبية طولها 68 قدماً وعمقها 4 أقدام وتشغل حوالي سدس المساحة الكلية من القاعة، وتليها الغرفة الخاصة وهي مربعة الشكل مزودة بمقاعد على طول جوانبها

---

[1] شلومبرجيه: مرجع سابق، ص20.

[2] طوقان: مرجع سابق، ص177.

[3] المومني: مرجع سابق، ص242.

[4] البخيت: مرجع سابق، ص150.

[5] عاشور وآخرون: مرجع سابق، ص504.

[6] البخيت: مرجع سابق، ص152.

[7] بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، مرجع سابق، ص163.

الشرقية والغربية، وقد بلطت الغرفة ومقاعد الجلوس فيها بالفسيفساء بأشكال هندسية مختلفة، وجدرانها مغطاة بالجبس المحفور، وتليها غرفة صغيرة مجهزة بمقصات من الدكة مبلطة بالرخام، تزود بالماء عن طريق خزانين ناحية جدارها الغربي،[1] وتليها القاعة الساخنة وتتكون من غرفتين الأولى مربعة الشكل وفيها فرن وهو عبارة دهليز طويل مستقيم فوقه سدة في الحائط تحتوي على قناة مياة مبطنة بالرخام، كما احتوت على مقاعد طويلة من الطوب حول الجدران من الداخل ومدفأة بواسة مواسير وأنابيب يمر عبرها البخار الساخن، أما الغرفة الثانية فهي دائرية الشكل وتكون فيها درجة الحرارة أعلى من الغرفة السابقة،[2] ويتم الدخول إليها بواسطة باب من الجهة الشمالية وهي مزودة بثماني حنيات تشبه حدوة الفرس، وفيها مدخنتان من الآجر وجدتا متقاطعتين في زوايا قائمة، وبهاخزان ماء موضوع مباشرة فوق الفرن، ويليها موضع تخزن فيه المحروقات وهو في الجهة الشرقية من الغرفة الساخنة.[3] وأما الزخارف وتزيين الحمام فقد فرشت أرضية إيوانه بالفسيفساء التجريدية والخطوطية ذات الزخرفة الشخوصية الرمزية، وتتقدم الفسيفساء الأرضية في حنية إيوان الحمام أشكال زخرفة تتمثل في شجرة رمان وعلى يمينها مجموعة من الغزلان وأسد،[4] وقد فسرت هذه الصورة على أنها رمز للسلام الملكي تحت مظلة الإسلام، وهي تظهر ثنائية الفن البيزنطي الساساني وأثرها في تكوين فن الزخرفة الإسلامية إبان العصر الأموي.[5]

حمام قصر أُسيس

وهو بالقرب من جبل أُسيس على مسافة 105 كم جنوب شرقي دمشق، ويقع الحمام على مسافة 150م شرقي القصر،[6] وهو بناء مربع الشكل تقريباً أبعاده (17×16م)، بُنيت الأجزاء السفلية من جدرانه بالأحجار بالأحجار البازلتية، أما بقية البناء فكانت من الآجر، وقد أكد الأثريون نسب هذا الحمام إلى العصر الأموي تحديدا عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان (96/86هـ _715/705م)،[7] ويتكون الحمام من قاعة مستطيلة الشكل أبعادها (10×4.37م) مغطاة بقبو برميلي، يحيط بها صف من المقاعد ويتم الدخول إليها عن طريق باب في منتصف الحائط الشمالي، وتنتهي بتجويف، نصف دائري يفصل بينه وبين القاعة عقد،

---

[1] البخيت: مرجع سابق، ص151.

[2] نفسه: ص152.

[3] بهنسي: الشام لحمات آثارية وفنية، مرجع سابق، ص163.

[4] ملحق رقم (6)، ص235.

[5] عاشور وآخرون: مرجع سابق، ص504.

[6] مجموعة كُتاب وباحثون: فن العمارة الإسلامية اتجاهات وتأثيرات، وكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، 2020م، ص15.

[7] البخيت: مرجع سابق، ص147.

وفي الجهة المقابلة للتجويف توجد قاعتان مستطيلتا الشكل، إحداهما أكثر اتساعاً من الأخرى غير أنهما يتفقان في العمق والذي يبلغ 3.5م،[1] وتنتهى القاعة ذات القبو البرميلي إلى قاعة أخرى مربعة الشكل، مغطاة لقبة معلقة وبها تجويفتان، ويعد هذا الحمام من أكثر الحمامات الأموية شبهاً بحمام قصر عمرة.[2]

حمام قصر عين السل:

يقع القصر في وسط واحة الأزرق على مسافة 20كم إلى الشمال الشرقي من مدينة عمان، أما الحمام فيقع في الجهة الشمالية من مبنى القصر،[3] وهو يتألف من ثلاثة غرف ملاصقة للسور الشمالي بصورة متتالية، تتقدمها الغرفة الباردة يتم الدخول إليها بواسطة مدخل ضيق عرضه 78سم، وهي تحتوي على منصة ترتفع عن سطح الغرفة بحوالي 30سم ويتراوح عرضها مابين 45_95سم، تمد بامتداد جدران الغرفة باستثناء الجدار الجنوبي، كما يوجد خزان للمياه موصل بقناة تخترق الجدار الغربي بعرض 38سم وتمد إلى خارج الغرفة،[4] ويتوسط الجدار الشمالي باب بعرض 1م يتم بواسطته الانتقال إلى الغرفة الدافئة وهي تحتوي على أنابيب فخارية دائرية يجري فيها الدخان الصاعد للخارج،[5] وتليها الغرفة الحارة وهي تحتوي على أربع دعائم دعائم مبنية من الطوب صفت على طول جوانب جدارنها الغربية والشرقية، وتتوسطها دعائم مبنية على عوارض من الأحجار البازلتية، وبها حوض مياه عرضه 1.8م وعمقه 70سم، بالإضافة إلى قناة صغيرة مفتوحة بأسفل الجدار الغربي لإخراج المياه المستعملة، وفي نهاية الغرفة من الجهة الشمالية يوجد ممر ضيق يؤدي إلى غرفة الموقد أو بيت النار حيث تسخن المياه، أما فتحة الموقد نفسها فهي ذات عقدٍ نصف دائري.[6]

---

[1] كريزويل: مرجع سابق، ص117.

[2] الشوابكة، رائد صطالح خلف وإبراهيم موسى محمد: العمارة المدنية في العصر الأموي " قصور الخلفاء الأمويين"، مجلة آداب النيلين، مج 3، ج2، 2018م، ص234.

[3] ذياب، سالم: التنقيبات الأثرية في قصر عين السل، مجلة منجزات دائرة الآثار العامة، الأردن/ عمان، العدد3، 2003م، ص70.

[4] الرشدان: مرجع سابق 85.

[5] البخيت: مرجع سابق، ص153_154.

[6] الرشدان: مرجع سابق، ص85.

المبحث الثاني

تجديد وبناء القصور في العصر الأموي

القصر في اللغة هو كل شيء خلاف الطول، وسمي بذلك لأنه تقصر فيه الحُرم، أي تُحبس وجمعه قصور، والمقصورة هي الدار الواسعة المحصنة، وقصارة الدار مقصورة منها لا يدخلها غير صاحب الدار،[1] وفي الاصطلاح هو كل بناء يبنى من الحجر ويكون منفرداً ضخماً محصناً ومشرفاً عالٍ،[2]ويطلق عليه أيضاً اسم الصرح وجمعه صروح والصرحة موضع، وقيل متن من الأرض بمستو، والقصور هي سكن علية القوم، وهي ألصق بالخلفاء والأمراء والأثرياء.[3]

وإن مفهوم القصر في العمارة الإسلامية لم يكن موجوداً قبل العصر الأموي، حيث كان في مرحلة النشوء والتكوين، ذلك مما جعلهم يتأثرون بالحضارات المجاورة الغنية بالتراث المعماري الضخم واستعارة بعض النمازج المعمارية منها، خصوصاً الحضارتين البيزنطية والساسانية وذلك بالاحتكاك والاتصال المباشر الذي كان بعد حركة الفتوحات الإسلامية من جهة، وازدياد الموارد الاقتصادية من جهة أخرى الذي أدى إلى بذوق مظاهر الرخاء والترف إبان العصر الأموي، التي انعكست بوضوح طراز العمارة المدنية خصوصاً عمارة القصور العامة والخاصة في بادية الشام والعراق.[4] ويعد بناء القصور في مقدمة أنواع العمائر الإسلامية المدنية التي حظيت بالاهتمام والرعاية الواسعة من قبل الخلفاء والأمراء إبان العصر الأموي، وذلك نظراً لما تمثله القصور من تعبير عن طابع الفخامة والثراء والهيبة وقوة الدولة، فكان معاوية بن أبي سفيان أول من شيد قصراً في بلاد الشام من المسلمين، يُعرف بقصر الخضراء وقد اتخذ منه معاوية داراً لإمارته أيام ولايته على الشام، ثم توارثه خلفاء بني أمية من بعده، وقد أصاب القصر الخراب بعد سقوط الخلافة الأموية،[5] وأما قصورهم ودورهم خارج دمشق،[6] فمنها قصر يزيد بن معاوية بحوارين، وقصراً لابنه خالد بالبلقاء، وآخر

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج12، ص116.

[2] المومني: مرجع سابق، ص183.

[3] ابن سيده: المخصص، مصدر سابق، ج1، ص451.

[4] حداد، نايف عادل يوسف: عمارة القصور الأموية في بادية الشام " دراسة تحليلة في الخصوصية"، مجلة الأمارات للبحوث الهندسية، مج 14، العدد1، 2009م، ص3.

[5] البلداوي، محمد ثابت: المفهوم الإسلامي للفضاء الداخلي السكني دارسة تحليلة لعينات من القصور الإسلامية، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، العدد2، مج 16، 2016، ص74.

[6] ملحق رقم (7)،ص236.

وآخر لمروان بن الحكم بالجابية،[1] ثم جاء الوليد بن عبدالملك وهو أكثر خلفاء بني أمية ولعاً بالعمارة فبنى الكثير من القصور ببادية الشام منها قصر عمرة وقصر الحرانة وغيرها.[2]

السمات العامة للقصور: من حيث التصميم الوظيفي فقد جمعت القصور بين وظيفتي السكن والإدارة وكانت متعددة الفناءات، لتعدد الوظائف فيها، ففي المدينة كانت تقام القصور الإدارية الرسمية التي تتضمن ديوان الخليفة وقاعة العرش وصالات الاستقبال، بالإضافة إلى سكن الخليفة ودار القضاء، كما يلحق بالقصر مسجد صغير وحمام، وقد شيدت ثكنات الجند فيه أيضاً لحراسة الخليفة، أما قصور الراحة والنزهة فكانت غالباً خارج مركز المدن، وفيها تقل مساحة الفضاءات الإدارية، وغالباً ماكانت تتخذ مواقعاً أمنية مميزة ولها أسوار عالية ضخمة،[3] وأما من حيث الوصف المعماري فقد قامت القصور الأموية وفق مخطط متشابه، وشكلاً معمارياً موحداً يقوم على مبدأ الشكل المربع الذي يميل إلى الاستطالة من الحيطان المحصنة في الزوايا بأبراج ثقيلة، ذات مسقط دائري أو نصف دائري على طول الجوانب، لها مدخل واحد يوصل إلى فناء مكشوف تحيط به مرافق القصر، كالأروقة والمساكن والاصطبلات والسلالم والأحواض التي تحتل أحياناً وسط الصحن،[4] أما غرف القصر تتكون من طابقين، الطابق العلوي للمعيشة وقاعة الاستقبال التي عادة ماتكون فوق المدخل مباشرة، أما السفلي فغالباً مايخصص لحاشية الأمراء وخدمهم،[5] وتلك القصور تشابه القصور الرومانية في عناصر بنائها، من الحيطان والبوابات والحنيات والعقود والحمامات، باستثناء الكسوة الزخرفية من الجص المنقوش فهي شرقية فارسية الأصل، وقد غطت واجهات وجدران القصور، وتشتمل المواضيع الزخرفية على صور وزخارف نباتية وهندسية ومشاهد من الطبيعة، كما أن جميع القصور الأموية لاتخلو من المساجد.[6]

وقد اختلف المؤرخون في سبب اختيار الأمويين الصحراء لتشييد قصورهم، فمنهم من أرجع ذلك إلى رغبة الخلفاء في التقرب إلى القبائل القاطنة في البادية، وكسبهم ولاءهم،[7] وأيضاً من أجل طلب الهدوء والراحة

---

[1] ابن الأثير: الكامل، مصدر سابق، ج4، ص116.

[2] علي، أحمد إسماعيل: تاريخ بلاد الشام منذ ماقبل الميلاد حتي نهاية العصر الأموي، ط3، دار دمشق، دمشق، 1993م، ص354.

[3] المالكي، قبيلة فارس: تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن/ عمان، 2011م، ص183.

[4] أبوخلف: مرجع سابق، ص147.

[5] الحمصي: مرجع سابق، ص99.

[6] عاشور، سعيد عبدالفتاح وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص502

[7] بهنسي: جمالية الفن العربي، مرجع سابق، ص143.

وبالبعد عن ضيق المدن وضواحيها، وحبهم الاعتزال عن العامة والبعد عن الغرباء حيث أن بعض الخلفاء والأمراء قد أنغمسوا في اللهو والمجون وشرب الخمر ومجالس الطرب، فكان لهم في تلك القصر ستراً وحجاباً عن أعين الناس، وأيضاً الهروب من الأوبئة والأمراض التي تصيب المدن وقتئذ،[1] وقيل إنهم اتخذوا القصور بالبادية من أجل ممارسة الرياضة والفروسية والصيد وتعليم أبنائهم الفصاحة وإبعادهم عن الهجنة والرطانة المنتشرة في المدن، بينما يزعم البعض أن الأمويين هم بالأصل أهل حاضرة، ومن أكثر سكان مكة أخذاً بأسباب التحضر، إضافة إلى ذلك فقد شاع في أواخر عهد الخلافة الراشدة أن أثرياء المدينة المنورة، فقد قاموا ببناء القصور والدور خارج المدينة، لتكون لهم ملاذ من أعين الناس، وكذلك فعل بنو أمية وبنسبة كبيرة منهم.[2]

قصر الحير الشرقي: يقع في قلب البادية السورية بالقرب من حمص، على بعد 150كم شمال شرقي تدمر، وعلى مسافة 60كم جنوب رصافة هشام،[3] وهوعبارة عن مدينة ملكية متكاملة مكونة من قصرين يبعد الواحد الواحد عن الآخر مسافة 40م، بالإضافة إلى مجموعة من الأبنية الملحقة بهما من مسجد وحمام ومنشآت مائية وبساتين واسعة،[4] ويرجع تاريخ بناء هذا القصر إلى عهد خلافة هشام بن عبدالملك الأموي في عام 110هـ/727م،[5]وتؤكد الدلائل المعمارية والدراسات التاريخية بأن هذا القصر قد احتفظ بمكانه حتى دُمر أثناء اجتياح تيمورلينك لبلاد الشام في مطلع القرن 9هـ/15م.[6]

الوصف المعماري للقصر: ومجمع قصر الحير الشرقي فسيح، يتكون من قصرين أحدهما كبير والآخر صغير بملحقاتهما، عليهما أسوار مبنية من المنحوت والآجر مدعمة بأبراج نصف دائرية، وبجوارهما سور

---

[1] الشوابكة، رائد صالح خلف ومحمد إبراهيم موسى: العمارة المدنية في العصر الأموي "661_746هـ"، مجلة آداب النيلين، مج3، العدد2، 2018م، ص229.

[2] طوقان: مرجع سابق، ص175.

[3] شريقي، زكريا: الفن العربي الإسلامي الجذور والمؤشرات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م، ص369.

[4] الريحاوي، عبدالقادر: العمارة العربية الإسلامية وخصائصها وآثارها في سورية، دار البشائر للطباعة والنشر، 1999م، ص68.

[5] حيث يؤكد ذلك النص الكتابي الذي عُثر عليه على إحدى دعامات المسجد الملحق بالقصر نسبة القصر وتاريخه ونصها: ونصها: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله، أمر بصنعة هذه المدينة عبدالله هشام أمير المؤمنين، وكان هذا مما عمل أهل حمص على يدي سليمان بن عبيد سنة عشرة ومئة للهجرة). كحالة، عمر: الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972م، ص129.

[6]. ياغي: مرجع سابق، ص106.

بطول يزيد عن ستة كيلومترات مدعم ببدانات،[1] **أما القصر الكبير** فهو ذو تخطيط مربع المسقط، طول ضلعه 160م، محاط بسور من الحجر ارتفاعه 3م، وتبلغ سماكته 2,10م، يتألف من مداميك عديدة يبلغ ارتفاع الواحد منها 70_50سم، تدعمه مجموعة من الأبراج المصمته ذات شكل نصف دائري، ويبلغ عددها 28 برجاً، يقوم بعضها على قواعد مربعة من ألواح الحجر الكلسي،[2] وهي موزعة على مسافات متساوية بمقدار 25,25م، بين كل برج وآخر، وبأعلى كل برج توجد غرفة صغيرة للمراقبة لها ثلاث نوافذ يتم الوصول إليها عن طريق درج داخل السور، وفوق السور هناك ممر دفاعي يصل بين الأبراج، وله متاريس للحماية تبلغ سماكتها حوالي 40سم، ودعمت هذه المتاريس بسلسلة من الدعائم، حيث تبلغ المسافة بين كل دعامة وأخرى 1,75م،[3] للقصر أربعة مداخل بعرض3م، موزعة على جهاته الأربعة، ويعلو كل مدخل عاضة أفقية معشقة ذات أقواس مدببة مفصصة مملؤة بالحجارة، وفوق كل مدخل سقاطتان دفاعيتان، ترتكزان على ثلاثة أكتاف وثلاث طبقات من الزخرفة، باستثناء المدخل الشمالي المزود بقساطتين أعرض من البقية، وترتكزان على خمسة أكتافٍ معقدة من الزخارف، الوسطى منها مزينة بوردةٍ دائرية،[4] وتمتد من هذه المداخل أربعة شوارع إلى داخل المدينة وتتقاطع في وسطها، إضافة إلى مدخلين على يمين المدخل الشرقي، بلغ عرض كل واحد منهما 1,47م.[5]

القصر الصغير: هو مربع الشكل ويبلغ طول ضلعه 70م، محاط بسور من الحجر مدعم باثني عشر برجا دفاعيا، أربعة منها دائرية على زوايا السور، وبرجان نصف دائريين في كل جهة من السور، متساوية في البعد عن بعضها، حيث تبلغ المسافة بين كل برجين متعاقبين حوالي 18,51م، وذلك باستثناء البرجين الذين يحيطان بالمدخل الرئيس للقصر في الجهة الغربية، فالمسافة بينهما 6,67م، وتغطي كل برج قبة دائرية، ويبلغ ارتفاع البرج مع القبة حوالي 15م،[6] وللقصر مدخل وحيد ارتفاعه 360سم وعرضه 280سم، وأرضيته مبلطة بألواح من الحجر المنحوت،[7] وقد بلغ ارتفاع السور بما فيه حاجز السقف حوالي 12,25م،كما يعلو السور ممر دفاعي عرضه حوالي 1,60م، عليه ستارة من الآجر سماكتها حوالي 0,50م،

---

(1) شريقي: مرجع سابق، ص369.

(2) كريزويل: مرجع سابق، ص155.

(3) شدود، رمزي شعلان محمد: دراسة تاريخية أثرية وفنية لعمارة القصور الأموية في بلاد الشام مع مثيلاتها الأموية في الأندلس، جامعة البعث/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ، 2017م، ص116.

(4) بهنسي، عفيف: القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، مرجع سابق،ص89.

(5) كريزويل: مرجع سابق، ص159.

(6) نفسه: ص156.

(7) ياغي: مرجع سابق، ص107.

تستخدم ليقف خلفها الجنود المدافعون عن القصر،[1] أما فناء القصر فهو ذو شكل مستطيل تبلغ أبعاده 36×28م، وأرضيته مبلطة بألواح منحوته من الحجر الكلسي الطري، وبها بركة لحفظ الماء يحيط بها رواق ذو أعمدة تفتح عليها بعض أبواب غرف القصر، وهي مسقوفة بالآجر، يعلوها طابق آخر كانت سقوفه من الخشب،[2] حيث أثبتت الدارسات والشواهد المعمارية بأن القصر الصغير يتألف من طابقين متشابهن من حيث عدد الغرف وشكلها وتوزيعها بتناسق منتظم حول الباحة،[3] وقد كانت الغاية في البداية من بناء القصر القصر لجعله خاناً للقوافل التجارية، ثم استخدم للأغراض العسكرية لأحكام تحصيناته ومدخله الوحيد الذي لايمكن الوصول إلى القصر دونه،[4] أما الزخارف فقد وجد في واجهة القصر جداراً من الآجر تغطيه نقوش جصية، تتألف من مجموعة محاري زخرفية تعتمد على سويريات جدارية مزدوجة تظهر فيها عروق نباتية، كما يتخلل دماميك الحجر في نهاية الجدار شريط من الآجر يتألف من مربعات بارزة تتجاور رؤوسها فتؤلف عنصراً زخرفياً يعكس تأثيرات الفن الساساني في طراز الزخارف الإسلامية حينئذ.[5]

أما الزخارف والنقوش بالقصر فهي على شكلين: النقوش الجصية والرسوم الجدارية، أما النقوش الجصية فكانت تغطي معظم أقسام القصر، وهي ذات مواضيع وأشكال متعددة فمنها النقوش الهندسية التي تعلو الأبواب ومنها النقوش النباتية التي تزين النوافذ والمناور التي تعلو الأبواب، ومن عناصرها أوراق الكرمة وسعف النخيل والورد وأزهار الزنبق، ومن العناصر المعمارية المستحدثة في زخرفة القصر، الأقواس حيث يظهر منها أول مرةٍ القوس ثلاثي الفصوص، والعمد المتنوعة الأشكال، والمحاريب القليلة العمق وغيرها من العناصر المعمارية،[6] وقد زينت أروقة الطابق العلوي من القصر بلوحات جصية مرسومة، وضعت بين الأعمدة والدرابزين المؤدي إلى الطابق العلوي، حيث تمثل هذه اللوحات صوراً لرجال ونساء بوضعيات مختلفة يحملون بأيديهم أدوات متنوعة كقرون الرخاء[7] وكؤوس فيها أزهار، بالإضافة إلى الطيور والحيوانات

---

[1] كريزويل: مرجع سابق، ص156.

[2] الحسني، جعفر: قصور الأمويين في الديار الشامية، مجلة المجمع العملي العربي بدمشق، مج17، ج5_6، 1942م، ص219.

[3] ياغي: مرجع سابق، ص107.

[4] جودالله: مرجع سابق، ص610.

[5] رايس، دافيد تالبوت: الفن الإسلامي، ترجمة منير الأصبحي، مطبعة جامعة دمشق، 1977م، ص24.

[6] الريحاوي: مرجع سابق، ص16.

[7] هو عنصر زخرفي استخدم في العصور الكلاسيكية، يشبه شكل القرن كثيراً مايحتوي بداخله على فواكهه، وتأثرت به الفنون الفنون الإسلامية، ويرمز هذا العنصر إلى الرخاء الاقتصادي. حمدان، أسامة وكالار وبنيلي: جسر من الفسيفساء عبر المتوسط، ستيديو ألفا، مدينة القدس، 2001م، ص48_49.

والحيوانات المحورة،[1] أما الرسوم الجدارية فقد غطت جدران الغرف الداخلية من القصر، ومن أشهر هذه الرسومات لوحة عبارة عن دائرة مركزية كبيرة، تتوسطها صورة نصفية لامرأة قسم شعرها إلى قسمين، وتمسك بيديها قطعة من القماش فيها أنواع مختلفة من الفواكة،[2] وتعتبر هذه الزخارف والرسومات التي زينت بها جدران قصر الحير الغربي، هي عبارة عن مزيج من فنون الزخارف التدمرية القديمة والفنون الفارسية والرمانية، مقدمة لولادة أسلوب جديد في الزخرفة أصبح فيما بعد أسلوباً خاصاً بفنون الزخارف الإسلامية.[3]
الإسلامية.[3]

مرافق القصر: ويأتي في مقدمتها **المسجد** ويقع في الزاوية الجنوبية من مجمع القصر،[4] ويتألف مبنى المسجد من فناء مكشوف مستطيل الشكل أبعاده 25×38م، ويضم ثلاثة أبواب يؤدي أحدها إلى مبنى دار الإمارة الملاصق للمسجد من الناحية الغربية، والثاني مفتوح على ساحة واسعة بين القصرين،[5] أما الثالث فيؤدي إلى المنشأة الصناعية[6]، أما قاعة المسجد فهي تتألف من ثلاثة أجنحةٍ طويلة موازية لجدار القبلة، ورابع متعرض أي قاطع عمودي على المحراب الذي يتوسط جدار المسجد الجنوبي، أما صحن المسجد فهو محاط بالأروقة من الجهات الثلاث مؤلفة من أقواس حجرية قائمة على عضائد،[7] ومئذنته قائمة بين القصرين بشكلٍ منفصل عنه، وهي مربعة المسقط ويبلغ ضلعها حوالي 2,94م، وارتفاعها 10م، ومدخلها في الجهة الجنوبية منها، ويتم الصعود عبره بواسطة درج حلزوني إلى أعلى المئذنة.[8]

البستان: ويقع في الناحية الشمالية من القصرين، ويبلغ محيطه حوالي 16كم، وطوله 6كم وعرضه 3كم، وله سور من الحجر المنحوت يبلغ ارتفاعه حوالي 4,5م وسمكه 1,55م،[9] مدعم بأبراجٍ نصف دائرية وبلغت المسافة بين كل دعامتين حوالي 12م، وهي ذات أقواس حجرية في وجهها الداخلي وآجرية في وجهها

---

(1) .Creswell; K.A.C. Early Muslim Architecture,2nd ed. Vals. 1. New york; Hacker Art Books. P.511.

(2) عبدالحق: مرجع سابق، ص33.

(3) عكاشة، ثروت: التصوير الإسلامي الديني والعربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977م، ص279.

(4) زعرور: مرجع سابق، ص257.

(5) ياغي: مرجع سابق، ص107.

(6) هي مبنى يحتوي على معصرتين وأحواض لجميع المواد المعصورة وصهريج أبعاده (25×7 _5,40×9م)، يفصله عن سور القصر ممر ضيق وفي وسطه جدار من الحجر تعلوه عدة ثقوب وميزاب في زاويته الشمالية الغربية. نفسه: ص107.

(7) الريحاوي: مرجع سابق، ص75.

(8) يوسف: مرجع سابق، ص45

(9) ياغي: مرجع سابق، ص108.

الخارجي،[1] له بابان الأول من جهة الشرق والآخر من الغرب،[2] وتتوزع في أجزاء البستان شبكة من الأقنية الأقنية التي تؤمن الري للمزروعات.[3]

المنشآت المائية: ويأتي على رأسها **قناة المياه** وهي عبارة عن قناة حجرية، تمتد من نبع الكوم الواقع شمال غربي القصر، ويبلغ طولها 30كم وعمقها من الداخل أربعة مداميك ومن الخارج مدماكان، وجدرانها مدعمة بأحجار طولية من الخارج، وهي مبطنه من الداخل بالجص لمنع تسرب المياة منها،[4] وكانت مياه هذه القناة القناة تستخدم في تزويد القصر بمياه الشرب والاستحمام وغيره، بالإضافة لاستخدامها في ري زروع البساتين المحيطة بالقصر، كما أنها تدير الطاحونة الموجودة في الجهة الشمالية عند مدخل البستان.[5]وأيضا من منشآت المياه بالقصر**خزان للمياه** وهو يتوسط باحة القصر الكبير، وتبلغ أبعاده(5,4×9 _24×7م)، بني من الحجر المنحوت، وفي وسطه جدار حجري في أعلاه عُدة ثقوب، قيل أن وظيفتها تثبيت سقف الخزان المصنوع من الخشب.[6]

قصر الحير الغربي:

واسمه الأصلي قصر الزيتونة، وأما اسم الحير فهي تسمية حديثة استعيرت من معنى السور الذي كان يحده،[7] يقع القصر في وسط بادية الشام إلى الجنوب الشرقي من دمشق على بعد 60كم جنوب تدمر،[8] عند ملتقى طريقين مهمين أحدهما يوصل بين دمشق وتدمر ماراً بالقريتين، والآخر يربط بين الجوف وحمص وهو طريق قديم توجد على جوانبه عيون ماء دائمة،[9] ويعود تاريخ بناء هذا القصر إلى خلافة هشام بن عبدالملك 110هـ/729م، وهو منسوب إليه حيث وجدت بعض النصوص المكتوبة في بعض أقسام القصر

---

[1] كريزويل: مرجع سابق، ص164.

[2] جودالله: مرجع سابق، ص611.

[3] الريحاوي: مرجع سابق، ص76.

[4] نفسه: ص77.

[5] جودالله: مرجع سابق، ص611.

[6] غرابار، أولينغ: قصر الحير الشرقي، مجلة الحوليات الأثرية السورية، تعريب: خالد الأسعد، دمشق، مج 15، ج2، ص129.

[7] الحمصي: مرجع سابق، ص102.

[8] علي: مرجع سابق، ص346.

[9] الطراونة، مروى محمد كريم: الرسوم الزيتية في قصر الحائر الغربي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة مؤته، كلية العلوم العلوم الاجتماعية، 2015م، ص11.

التي تؤكد ذلك، أحدها مكتوب بالخط الكوفي على ساكف أحد أبواب الخان المجاور للقصر،[1] وآخر مكتوب مكتوب على جزء من حجر رخامي حفظ في جناح قصر الحير بمتحف دمشق،[2] وقيل إن الغاية من بناء هذا القصر هي الصيد والاصطياف وتحضير البدو للاستفادة منهم وإمدادهم بما يحتاجونه.[3]

الوصف المعماري للقصر: وكان مخطط[4] القصر مربع الشكل وطول ضلعه 70م تقريباً، بني جزء منه على على أنقاض دير غساني[5] قديم، وترتكز أقسام القصر على الجدار الخارجي وهي موزعة حول الساحة الداخلية، وبناؤه من الحجر إلى ارتفاع مترين وأما من الأعلى فقد أكمل بالآجر واللبن والخش وغشيت جدرانه بالملاط وزينت بالدهان الملون،[6] وجداره الخارجي مدعم بأبراج أسطوانية ماعدا الزاوية الغربية الشمالية، وفي منتصف كل ضلع من أضلاعه يوجد أنصاف أبراج أسطوانية ماعدا الجهة الشرقية، حيث يوجد المدخل الرئيس للقصر ويحيط به برجان نصف دائريين مزخرفان.[7]

المدخل: وهو المنفذ الوحيد للقصر، ويقع في منتصف الضلع الشرقي من السور بين برجين نصف دائريين، أمامه باحة مبلطة بالحجر أرضيتها مرتفعة عن الأرض تحول دون مياه الأمطار إلى القصر في أوقات السيول والفيضانات،[8] ويلي الباب دهليز أو ممر عريض محمول على قنطرتين مستندتين على دعامتين جانبيتين، وعلى طرف الدهليز مصاطب ذات أرائك مخصصة لجلوس الخدم و الحراس.[9]

---

[1] نصه: " بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بصنعة هذا العمل عبدالله هشام أمير المؤمنين أوجب أوجب أجر على يد ثابت بن ثابت في رجب 109هـ". شريقي: مرجع سابق، ص362.

[2] نصه: " من هشام أمير المؤمنين إلى الوليد أبي العباس أحمد الله إليك". الحمصي: مرجع سابق، ص102.

[3] خماش: مرجع سابق، ص50.

[4] ملحق رقم (8)، ص237.

[5] الغساسنة هم عرب سكنوا جنوب بلاد الشام، وأسسوا لهم دولة في تلك المنطقة منذ القرن الثالث الميلادي، وقد اعتنقوا النصرانية وكانوا حلفاء للأمبراطورية البيزنطية، وقد ابقيت دولتهم حتى الفتح الإسلامي للشام. النعيمات، سلامة: علاقة إمارة الغساسنة بالدولة البيزنطية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد4، مج 6، 2014م، ص38.

[6] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعالم الآثرية في البلاد العر بية، ج2، الشركة المصرية للطباعة، القاهرة، 1972م، ص310.

[7] Sulumberger: P223.

[8] شلومبرجيه: مرجع سابق، ص420.

[9] خماش: مرجع سابق، ص53.

الباحة: وهي القسم الذي يلي مدخل القصر، مربعة الشكل متقنة التبليط منخفضة عن أرضية غرف القصر، محاطة بأروقة محمولة على أعمدةٍ من الحجر غير المنحوت والمكسو بالجص،[1]وتيجانها أيضاً من الجص المنحوت على الطراز الأيواني[2]، ويبلغ عدد الأعمدة 32 عموداً يضاف إليها أربع دعامات مربعة قائمة في زوايا الرواق، ويتوسط الباحة بركة ماء صغيرة، تصلها المياه عبر قناةٍ تتفرع من سد خربقة.[3]

مبنى القصر: ويتكون من طابقين، حيث يبلغ ارتفاعه حوالي 15م، يحتوي على عدد من الغرف والقاعات مرتبة ضمن نظام معين، وهي مقسمة على ستة بيوت أي وحدات سكنية، اثنتان في كل من الجهتين الشرقية والغربية، وواحدة في كل من الجهتين الشمالية والشرقية، في كل وحدةٍ ثمان إلى ثلاث عشرة غرفة، وتتصل بكل وحدة أربع غرف صغيرة متقابلة اثنتان من كل طرف،[4] وكل بيت من هذه البيوت يحتوي على قاعة محمولة على أقواس مبينة من الحجر، وتتصل بحجرات في كل جانب من جوانبها،[5] وتضاء هذه الغرف بكوات عالية مستطيلة الشكل مثقوبة في الجدار، أما القاعة الكبري فكانت تضاء من الرواق بواسطة نافذه مخرمة تسمح بدخول أشعة الشمس،[6] وكانت غرفة الطابق الثاني مطابقة لنظائرها في الطابق الأول من حيث الشكل والترتيب.[7]

مرافق القصر: أولها: **الخان** وهو يقع في المنطقة الغربية على بعد 10كم من القصر،[8] بجوار بركة ماءٍ خارج القصر،[9] وهو مربع الشكل تقريباً وأبعاده 55,70م من جهة الشرق و 55,90م من جهة الغرب،

---

[1] عبدالحق: مرجع سابق، ص16.

[2] هو أحد الطرز المعمارية اليونانية، وقد شاع استخدامه في الجزء الغربي لآسيا الصغرى، وهو يتألف من قاعدة مكونة من3 من3 دوائر حجرية وعمود له تاج على شكل حلزوني مكون من أربعة لفائف، ويتميز هذا الطراز بالطول والرشاقة والجمال. زكي، شرين محمود: أنماط الأعمدة عبر العصور المختلفة، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 2013م، ص12.

[3] جودالله: مرجع سابق، ص613.

[4] الحسني، جعفر: قصر الحير، مجلة المجمع العلمي العربي، مج16، ج1941،8م، ص222.

[5] Stern: Henri.1946, “Notes Sur L’anrcbitecture Des Chateaux omeyyades” Art Islamica. Vals.11_12 The Smithsonian Ingtitution and Departmet of the History of Art University of Michgan.P 97.

[6] الحمصي: مرجع سابق، ص104.

[7] عبدالحق: مرجع سابق، ص16.

[8] شلومبرجيه: مرجع سابق، ص17.

[9] خماش: مرجع سابق، ص52.

و45,10م من الشمال و 55,10م الجنوب، وزواياه ليست قائمة،[1]وهو يتكون من ساحة في الوسط محاطة محاطة برواق محمول بأعمدة خشبية ترتكز بدورها على قواعد حجرية، ويلي الرواق أربع أجنحةٍ تتوزع على الجهات الأربعة، ويتألف كل جناح من قاعةٍ طويلة لها بابان، باستثناء الجناح الشرقي الذي يحتوي على ست غرف صغيرة الحجم، وعلى واجهة الخان يوجد نقش يدل على تاريخ بناء الخان وهو يعود إلى خلافة هشام بن عبدالملك الأموي.[2]

البستان: وأبعاده 442م×1050م، وهو محاط بسورٍ بني أساسه من الحجر الجصي المنحوت، أما أجزاؤه العليا فقد بنيت من الآجر المحروق، وتتخلل السور دعائم نصف دائرية،[3] وتصله المياه بواسطة قناةٍ تتفرع عن القناة الرئيسة الممتدة من سد خربقة، ثم تتفرع إلى أربع قنوات صغيرة داخل البستان، ويتم الدخول إلى البستان من خلال مدخلين رئيسين الأول في الجهة الشمالية، والثاني في الجهة الشمالية الشرقية.[4]

المنشآت المائية "سد خربقة": والخربقة هي الأرض الصلبة، وهو سد تخزيني يمتلئ بمياه الأمطار والسيول، شيده الروم في عهد ازدهار تدمر إبان القرون الميلادية الثلاثة الأوائل، بوادي خربقة جنوب غرب القصر ب16,5كم، وقد تم ترميمه في القرن السادس الميلادي،[5] ثم اعتنى به الأمويون أثناء فترة خلافتهم إبان القرن الثامن الميلادي، فبلغت أبعاده 1500م×800م، وارتفاعه حوالي 4م، وتصل قدرته التخزينية إلى 8 ملايين متراً مكعباً، وله ثلاث فتحاتٍ تخرج منها ثلاث أقنيةٍ إحداها حجرية والأخريتان فخاريتان، تصب جميعها في بحيرة أمام السد، تخرج منها قناة رئيسة تحت الأرض تتفرع منها قناة صغيرة تتجه نحو القصر والحمام،[6] أما القناة الرئيسية فتنتهي إلى بركة مربعة طول طلعها 60م وعمقها 3,65م، ويخرج منها أنبوبان أنبوبان يصبان في خزان كبير، ثم تتابع المياه مسيرها في القناة الرئيسة تحت الأرض بعد البركة وتنتهي إلى البستان، وتتفرع منها قناة صغيرة تمر على الطاحونة الموجودة عند مدخل البستان لتديرها.[7]

---

[1] Creswell; K.A.C. Early Muslim Architecure.2^{nd} ed. Vols.1_2. New york; Hacker Art Books. 1979. Part2. P 506.

[2] خماش: مرجع سابق، ص57.

[3] نفسه: ص52

[4] جودالله: مرجع سابق، ص612.

[5] نفسه: ص615.

[6] خماش: مرجع سابق، ص50.

[7] جودالله: مرجع سابق، ص615.

قصر "خربة" المفجر:

ويقع في بادية الأردن، على بعد ثلاثة أميال شمال أريحا بالقرب من البحر الميت،[1]ويرجع الأثريون تاريخ بناء القصر إلى أيام خلافة هشام بن عبدالملك الأموي (125/105هـ _743/724م) وإليه ينسبونه، حيث تم العثور على لوح رخامي[2] صغير عليه نص ورد فيه اسم الخليفة هشام، كما عثر على تمثال له ويده اليمنى مبتورة، بالإضافة إلى آية قرآنية منقوشة بالخط الكوفي على عمودٍ ضخم بفناء القصر،[3] وقد ظل القصر مأهولاً حتى دُمر بتأثر زلزال أصابه في عام 747م،وبقى المكان مهجوراً منذ ذلك الوقت، فعُرف بخربة المفجر.[4]

الوصف المعماري للقصر:هو على هيئة مربع وطول ضلعه64,5م، ومخططه أشبه بالقلاع الرومانية، وهو بلاط ملكي واسع يشتمل على مسجد وحمام وفناء، يحيط به سور ضخم يمتد حوالي كيلو مترين باتجاه نهر الأردن، وهو مدعم بأبراج موزعة على أركانه الأربعة تستعمل في الحراسة والمراقبة،[5] وقد جرت المياة إليه عبر قنوات حجرية من عين نويعمة بسفح جبل القرنطل الغربي تبعد عن القصر ب6 أو 8كم، ويتألف القصر من قسمين خارجي وهو للرجال ويتكون من طابقين، وداخلي من طابق واحد وهو للنساء،[6] ويشتمل القصر على مدخل رئيس وساحات وغرف محيطة بالساحات وقاعة للرقص، ومخدع داخلي للخليفة على شكلٍ نصف دائري، مرصوف بالفسيفساء على أشكال رسومات نباتية وحيوانية ملونة، وكان بناؤه من الحجارة الرملية والبلاط والرخام،[7] أما مدخله يقع في الجزء الشرقي من السور، وتوجد فسحة أمامية معمدة تمتد حتى حتى الحدود الشمالية للحمام، وقد تركت مساحة الفناء عرية تتوسطها بركة مربعة ذات زخارف، تعلوها قبة عظيمة ذات ثمانية أضلاع فوق أربعة أقواس ضخمة، وينتهي مدخل القصر إلى دهليز بالفناء الداخلي للقصر المحاط بالغرف في طابقين، حيث تشكل الغرف في الجهة الغربية مجموعة متكاملة وتمثل المقر

---

[1] عاشور وآخرون: مرجع سابق، ص504.

[2] وقد كتب عليه:" لعبدالله هشام أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام عليك، فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد...". المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق، ج2، ص60.

[3] توفيق، مرعي: قصة مدينة أريحا " سلسلة المدن الفلسطينية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، د.ت، ص96.

[4] بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، مرجع سابق، ص161.

[5] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، مرجع سابق، ص126.

[6] توفيق: مرجع سابق، ص97.

[7] لانكسر، هارنج: آثار الأردن، تعريب: سليمان موسى، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، د.ت، ص158.

الملكي، أما القسم الجنوبي فقد جاء من خمس قاعات مستطيلة تمتد رأسياً من الشمال إلى الجنوب تفتح على الرواق الذي يشرف على صحن القصر، بالإضافة إلى قاعة مستطيلة الشكل تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل أفقي، يتوصل إليها عبر الرواق ذاته،[1] أما المسجد فهو يقع في الجهة الشرقية بين مبنى القصر والحمام، وهو مستطيل الشكل يتألف من صحن وظلة للقبلة تتكون من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة وثلاث بلاطات عمودية على هذا الجدار، ويتوصل إلى داخل المسجد عبر مدخلين في جداره الشمالي أحدهما على محور المحراب.[2]

ويتميز قصر المفجر بفن تزيينه المنحوت في الحجر والجص، وببلاطه ذي الصيغ الزخرفية المأخوذة من الطبيعة، والتي تحتوي على عناصر آدمية وحيوانية[3] بجانب الزخارف الهندسية، بالإضافة إلى الأرضيات الفسيفسائية الفخمة التي غطت بعض غرف القصر، بتصاميم هندسية مختلفة لاتقل عن واحد وثلاثين تصميماً مختلفاً من الفن اليوناني الروماني.[4]

قصير عمرة:

وقد أطلق عليه قصير تصغيراً له، حيث يعد بناء القصر صغيراً نسبياً مقارنة مع أبنية القصور الأموية الأخرى التي شيدت ببلاد الشام،[5] وهو يقع على حافة وادي البطم ببادية الأردن إلى الشرق من عمان، ويرجع تاريخ بناء القصر إلى عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك، ويرجح أنه قد تم مابين عامي 711_715م،[6] ويستند في ذلك على اللوحات التي وجدت على جدران القصير، أهمها لوحة تُعرف باسم أعداء الإسلام[7] تحمل صور ستة ملوك كانوا معاصرين لفترة خلافة الوليد بن عبدالملك (86/96هـ _705/715م).[8]

---

[1] بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، مرجع سابق، ص162.

[2] عبده: الأمويون وأثارهم العمارية، مرجع سابق، ص127.

[3] ملحق رقم (9)، ص237.

[4] بهنسي: الفن الإسلامي، مرجع سابق، ص228.

[5] زيادين: مرجع سابق، ص3.

[6] الرشدان، وائل: القصور الأموية في المملكة الأردنية الهاشمية، جامعة الملك سعود، الرياض، 2003م، ص60

[7] هي لوحة وجدت على الحائط الغربي من قاعة الاستقبال، وتضم صوراً لستة ملوك من أعداء الإسلام، مرتبين في صفين من اليسار إلى اليمين حسب الموقع الجغرافي لإمبراطورياتهم ودولهم من الغرب إلى الشرق، وجاءت صورهم على النحو الآتي: في الصف الأول قيصر الروم، خسرو ملك الفرس، أمبراطور الصين، وفي الصف الثاني، رودريك آخر ملوك القوط الغربيين في أسبانيا، النجاشي ملك الحبشة، وداهر ملك الهندوس وقيل بل كانت صورة لأحد ملوك الترك. كريزويل: مرجع سابق، ص127. ملحق رقم (10)، ص238.

[8] شريفي: مرجع سابق، ص356.

الوصف المعماري للقصير: ويتألف مبنى قصير عمرة من ثلاثة أقسام رئيسة، قاعة الاستقبال، الحمام، والمنشآت المائية،[1] وجميعها محاطة بسورٍ خارجي مربع الشكل محصن بأبراج مستديرة، ويصل طول أحد ضلاعة إلى 50متراً،[2]وقد استخدم في بناء القصر الحجر الكُلسي الأحمر الصلب المأخوذ من المحاجر الموجودة في التلال المجاورة،[3] وتأتي قاعة الاستقبال في مقدمة مبنى القصير وهي ذات شكلٍ مستطيل، أبعادها(7,5×8,5م)، مقسمة إلى ثلاث أروقة مفصولة بقناطر مغطاة بقبو نصف أسطواني،[4] وهو طراز تسقيف ساساني الأصل استحدثه العرب من بلاد فارس، لها عدة نوافذ عالية مستطيلة الشكل، تحت السقف مباشرة في الجدران الشمالي والجنوبي والشرقي، يدخل الضوء من خلالها إلى القاعة، أما الجدار الغربي فهو خالٍ تماماً من النوافذ تجنباً للرياح وخول الأمطار،[5]وفي الزاوية الشمالية الشرقية من القاعة توجد نافورة مياة مياة مربعة الشكل، أرضيتها وجدرانها الجانبية مغطاة بألواح من الرخام، وكذلك جدران القاعة فقد كُسيت بالرخام حتى ارتفاع مترٍ واحد،[6]وتوجد بمقابل مدخل القاعة وعند محوره الجنوبي حنية مجوفة مسقوفة بقبو برميلي تُعرف بمقصور العرش، وهي أقل ارتفاعاً من سقف أقبية قاعة الاستقبال، وقد خُصصت القاعة لاستقبال ضيوف الخليفة، ومن هنا جاءت تسميتها بقاعة الاستقبال،[7]وهي تحتوي على صورة للخليفة هشام بن عبدالملك رُسمت على جدار الحنية المقابلة للبوابة الرئيسة،[8]وفي جانبي القاعة توجد غرفتان صغيرتان للقيلولة، ولكل منهما مسقط مستطيل الشكل أبعاده (2,82×3,83م)، وقد سُقفت كل منهما بقبةٍ نصف أسطوانية، يدخل الضوء إليهما بواسطة فتحات عالية تطل على ساحة الاستقبال في الجهة الشمالية منها، ثلاث فتحات في الغرفة الشمالية وأربع في الغرفة الغربية، وقد رصفت أرضية الغُرف بالفسيفساء الحجرية الملونة ذات الزخارف الهندسية والنباتية.[9]

---

[1] هيلات، محمد محمود: أساليب تصوير الكائنات الحية في قصير عمرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك/ كلية الفنون الجميلة، 2013م، ص15.

[2] بهنسي: القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، مرجع سابق، ص107.

[3] كريزول: مرجع سابق، ص117.

[4] كونل، أرنست: الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر ، بيروت، 1966م، ص23.

[5] الرشدان: مرجع سابق،: ص60_61.

[6] سامح:مرجع سابق، ص32.

[7] زيادين: مرجع سابق، ص5.

[8] علام، نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ص42.

[9] دويكات، جمانة: دراسة نظام التسقيف في العمارة الأموية في الأردن، جامعة اليرموك، إربد، 2001م، ص54.

المرافق المائية: وهي على مسافة خمسة أمتار من غرف حمام القصر، وتتألف من بئر حفرة بالجهة الشمالية من القصر، وهي بئر دائرية الشكل ويبلغ عمقها 25متراً، شيدت من الحجارة المشذبة،[1]وإلى الشرق الشرق منها يوجد خزان يوفر الماء لاحتياجات القصر والحمام، مقام على قاعدةٍ مربعةٍ ترتفع عن سطح الأرض بحوالي (1,80م)، بحيث تسمح بانسياب المياة عبر ثلاث أقنيةٍ فخارية أسطونية الشكل،الأولى تصل إلى نافورة في قاعة الاستقبال وأما الثانية فتتجه نحو الحمام وتصب في خزان صغير أقيم فوق الموقد في الممر الذي يلي الغرفة الساخنة، والثالثة تصب في حوض ماء في الجانب الشرقي للقصر اتخذ كسبيل ليسقي المارة والداوب،[2]وبمحاذاة البئر من الناحية الغربية توجد الناعورة أو الساقية وهي عبارة عن بناءٍ دائري الشكل قليل العمق يبلغ قطره (5,8 متر)، ويحوى في داخله بقايا عمودين خشبيين متتاليين إلى الشمال والجنوب حول محورٍ

تقوم بتدويرهما دابةٌ لتساعد في رفع المياه من البئر إلى الخزان المجارو،[3] ولتصريف المياه توجد تحت الأرضية مجار تنقل المياه إلى خارج المبنى من الزاوية الشمالية الشرقية من الأحواض.[4]

الزخارف والرسومات بقصير عمرة: تعتبر الرسوم الجدارية في قصير عمرة من أقدم الرسوم المائية في الإسلام، وهي من أهم مجموعات الفريسكو التي عثر عليها في العمائرالمدنية الإسلامية، وقد تميزت رسومات القصير بكثافتها وتنوعها فهي تغطي معظم الواجهات الداخلية به، حيث تم تنفيذها بعد إكساء الجدران بطبقةٍ من الجص ومن ثم رُسمت الرسومات بالألوان المائية المتنوعة،[5]ومما يلفت نظر الداخل من الباب الرئيسي المؤدي إلى القصير لوحة رسمت إلى اليمين على زواية العقد، تمثل صورة إمراة متكئة على وسادة من جانب واحد فقط، وكأنها في حالة تفكير أو مشاهدة للطرف الثاني،[6] وكذلك بالرواق الغربي لقاعة الاستقبال حيث تغطي الرسومات الجدار الغربي بكامله، ويقسمها إفريز أفقيا إلى قسمين، رسم في القسم العلوي يحتوي على مشاهد لعملية صيد الحمر الوحشية وغيرها من الرسوم، أما القسم السفلي فيحتوي على ثلاث لوحات ذات رسومات مختلفة، أهمهااللوحة التي اشتهرت باسم أعداء الإسلام وهي تمثل ستة أشخاص ذوي ملابس فاخرة

---

[1] زيادين: مرجع سابق، ص4.

[2] أبوعود، حسن: القصور الأموية " المنهجية التصميمية والمرجعية التاريخية في قصور البادية الأردنية"،الجامعة الأردنية، عمان، 1988م، ص32.

[3] الرشدان: مرجع سابق، ص63.

[4] البخيت: مرجع سابق، ص143.

[5] كزيرويل: مرجع سابق، ص123.

[6] الراشدان: مرجع سابق، ص64.

مرسومين في صفين ثلاثة في الصف الأول وثلاثة في الصف الثاني،[1] من أهم اللوحات التي وجدت في قصير عمرة اللوحة التي تمثل الخليفة على عرشه وعلى رأسه هالة وفوقه مظلة يحملها عمودان حلزونيان وحوله شخصان[2].

قصر المشتى: وهو قصر صحراوي بُني بأرض البلقاء بالأردن على بعد عشرين ميلاً جنوب شرقي مدينة عمان،[3] وقد اختلف الأثريون والمؤرخون في تاريخ بناء القصر وهويته، فذهب فريق منهم إلى أنه من آثار الملوك اللخميين في الحيرة إبان القرن الرابع الميلادي، وقال آخرون بأنه من عمائر الغساسنة التي تعود إلى القرن السادس الميلادي، كما نسبه البعض إلى كسرى الثاني ملك الفرس عندما حكم تلك المنطقة بين عامي (610- 623م)،[4] والرأي الأرجح عندهم أن هذا القصر يعود إلى العصر الأموي،[5] ومما يدعم هذا الرأي الرأي وجود مسجد ومحراب في بناء القصر وهذا مما نسبه إلى الإسلام، وكذلك الشبه بين زخارف واجهة القصر وزخارف قبة الصخرة، بالإضافة إلى استخدام الحجر والآجر معاً في عملية البناء والمزرج بين عناصر العمارة البيزنطية والفارسية وفي زخارف القصر، وهذا لم يتم استخدامه قبل العصر الأموي،[6] وبناءاً وبناءاً عليه فقد نسب بعضهم هذا القصر إلى الخليفة يزيد[7] الثاني (105/101هـ _724/720م)،[8] بينما بينما ينسبه البعض الآخر إلى الخليفة الوليد الثاني (126/125هـ _ 744/743م) وهو الرأي الأرجح.[9]

---

[1] سامح: مرجع سابق، ص40.

[2] ملحق رقم (11)، ص238.

[3] هاردنج: مرجع سابق، ص65.

[4] الحسن، زكي: فنون الإسلام، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص53.

[5] حيث عثر على لوحين من الآجر أثناء عملية التنقيب التي نفذتها دائرة الآثار العامة بالأردن عام 1965م، عليهما كتابة عربية بالخط الكوفي مكونة من خمسة أسطر، ورد فيها ذكر اسم رجل يدعى سلمان بن كيسان، وقيل أن القصر ينسب لأحد خلفاء بنو آمية أو لأحد عمالهم. الراشدان: مرجع سابق، ص105.

[6] كريزويل: مرجع سابق، ص195_196.

[7] وهو أبوخالد يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي، وأمة عاتكة بنت يزيد بن معاوية، ولد سنة إحدى وسبعين، وتوفى لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة هجرية. الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج5، ص150.

[8] ويستند هؤلاء على بعض المصادر التاريخية التي ورد فيها ذكر الخليفة يزيد الثاني وأنه قد شرع في بناء قصرٍ لجاريته حبابة التي شغفته حبا، وقيل أنها ماتت فجأءة فحزن عليها يزيد حزناً شديداً عليها ولم يعيش طويلاً بعدها ففارق الحياة قبل أن يتم بناء القصر. الأصفهاني، أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد المرواني الأموي القرشي: الأغاني، ج13، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ، ص185.

[9] يستند أصحاب هذا الرأي على بعض المصادر التاريخية التي ورد فيها أن الخليفة الوليد الثاني قد شرع في بناء مدينة في الصحراء سماها باسمه، وقد جمع لها العمال من جميع الجهات، وقد استخدم الحجر في بنائها، وكانت تجلب إليها المياه من

الوصف المعماري للقصر: وقد صُمم القصر على شكلٍ مربع ويبلغ طول ضلعه 144م، محاط بسور خارجي مبني من الأحجار الكلسية المشذبة، تكتنفه أبراج نصف دائرية تتوزع على مسافات متساوية على طول السور، وتبلغ المسافه بين كل برجين متتالين حوالي 19 م، وهي أبراج صلبة بإستثناء أربعة ابراج مفرغة استخدمت كدورات للمياة،[1] أما المدخل فهو يتوسط الجانب الشرقي من السور ويكتنفه برجان جاء تصميمهما على هيئة مضلع من خمسة أضلاع بلغ قطر كل منها 6.3 م، بينما الأبراج الركنية فيبلغ قطرها 7 م، أما الأبراج التي تقع في وسط السور فيبلغ قطرها 5م، وتبلغ سماكة السور 1.70 م،[2] ويتراوح ارتفاع المدماك الواحد ما بين 37 – 34 سم،[3] وبالرغم من أن البناء في معظم أرجاء القصر لم يكتمل، إلا أن مخطط هذا القصر من أكثر مخططات القصور الأموية تطوراً وجمالاً، حيث قسم البناء من الداخل إلى ثلاثة أقسام بواسطة جدارين يمتدان من الشمال إلى الجنوب بسماكة 1.40 م، أكبرها القسم الأوسط من حيث المساحة حيث يبلغ عرضه 57م،بينما يبلغ عرض كل من القسمين الآخرين 42 م،[4] أما القسم الأوسط فهو عبارة عن فناء مكشوف مربع الشكل ويبلغ طول ضلعه 75م، يحيط به جدار من الجانبين الشرقي والغربي،[5] ويتصل بالقسم الشمالي أي المجمع الملكي عبر فتحة في نهايته من الجهة الجنوبية، والقسم الملكي[6] وهو عبارة عن جناح خاص بالخليفة مكتمل البناء، مربع الشكل ويبلغ طول ضلعه 42م، ويتألف من قاعة مستطيلة مقسمة إلى ثلاث بلاطات على الطراز البازليكي[7]، وتتميز البلاطة الوسطى بأنها أكثر اتساعاً من البلاطتين الجانبيتين،[8] وتنتهي بقاعة العرش وهي عبارة مساحة مربعة محاطة بثلاث حنيات نصف دائرية وزعت بشكل هندسي بديع على الجهات الشمالية والشرقية والغربية بهيئة عقد ثلاثي وبلغت

مكان بعيد على مسافة 15 ميلاً منها، فأرهق العمال من قلة المياه ومات الكثير منهم، وقبل إتمام البناء ثار على الوليد رجل يدعى إبراهيم واستولى على الحكم، وأطلق العمال قبل تمام بناء القصر. كريزويل: مرجع سابق، ص194.

[1] نفسه: ص174.

[2] الحسن: مرجع سابق، ص49.

[3] أبوعود، حسن: القصور الأموية " المنهجية التصميمية والمرجعية التاريخية في قصور البادية الأردنية، الجامعة الأردنية، عمان، 1998م، ص37.

[4] سامح: مرجع سابق، ص43.

[5] هاردنج: مرجع سابق، 166.

[6] ملحق رقم (12)، ص239.

[7] هو من أشهر طُرز العمائر الرومانية، وهو عبارة عن بناء مشيد على مساحة مستطيلة، مقسم إلى ثلاثة أقسام بواسطة صفين من الأعمدة، يجتمع فيه الناس لعرض مشاكلهم على هيئة لتحكم بينهم. علام، نعمت: فنون الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ط3، دار المعارف، القاهرة 1983م، ص29.

[8] كريزويل: مرجع سابق، ص176_177.

سعة كل واحدٍ منها 5.25م، وعمق 3.8م، وعلى جانبيها تجويف صغير لوضع الأعمدة التي تحمل عقد الحنية، وقيل إن الحنية الموجودة في الجدار الشمالي كانت مخصصة لجلوس الخليفة، أما الأخريتان فقد خصصا لجلوس الحاشية،[1]وأما القسم الجنوبي فيشتمل على المدخل الرئيس للبناء وبهوٍ واسع وبعض الوحدات السكنية ومسجد القصر،[2]وتتألف هذه البيوت أو الوحدات السكنية من فناء مستطيل تفتح عليه أربع أربع غرف من الجانبين بأبواب ذات عقودٍ مدببة،[3]أما المدخل الرئيس والوحيد للقصر فهو يتوسط الضلع الشرقي للسور، وعرضه 3.46م، تليه مباشرة ردهة مستطيلة الشكل أبعادها (9.23×17.4م) وعلى جانبيها قواعد مستطيلة لرفع العقود الحاملة للسقف،[4]وتكتنفها مجموعة من الغرف المكونة من طابقين وهي ذات أحجام مختلفة، أقبيتها نصف برميلية مبنية من الآجر، ويبلغ ارتفاعها 7.75م، وكذلك الجدران فهي من الآجر المبني فوق أساس حجري وارتفاعها 5.52م،[5] وقيل إن هذه الغرف كانت تستخدم كسكن لحاشية الخليفة ومخازن للمؤن وحظائر للخيول،[6] أما الممر فينتهى إلى بهوٍ مستطيل الشكل أبعاده (20.7×17.4م).[7]

أما مسجد القصر فيقع بيمين المدخل، هو عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل أبعادها (38×13.40م) تمتد من الشمال إلى الجنوب،[8]وله مدخل واحد يقع في الثلث الأول من الجدار الغربي بعرض 1.30م، أما أما الجداران فقد بُنيت من الأحجار الجيرية المشذبة على وجهين ملئ مابينها بالحجارة الصغيرة والملاط، وتتراوح سماكتها مابين (1.40_1.70م) باستثناء الجدار الجنوبي فهو أكثر سمكاً لأنه يشكل جزءاً من واجهة القصر وسوره الخارجي،[9] ويقع المحراب في وسط الجدار الجنوبي للمسجد، وهو محرابٌ مجوف بعرض 1.6م، وعمقه متر واحد، بني من الحجارة الجيرية المشذبة، يتقدمه عمودان لتدعيمه، وأرضيته ترتفع

---

[1] علام: مرجع سابق، ص29.

[2] دويكات: مرجع سابق، ص65.

[3] الألفي، أبوصالح: الفن الإسلامي، ط2، دار المعارف، بيروت،1967م، ص154.

[4] حسني نويصر : مرجع سابق، ص93.

[5] الرشدان: مرجع سابق، ص111.

[6] كريزويل: مرجع سابق، ص174.

[7] هادي، بلقيس محسن: تاريخ الفن العربي الإسلامي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1990م، ص66.

[8] الرشدان: مرجع سابق، ص111.

[9] شدود، رمزي شعلان محمد: دراسة تاريخية أثرية وفنية لعمارة القصور الأموية في بلاد الشام مع مثيلاتها الأموية في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البعث/ كلية الآداب والعلوم الأنسانية/ قسم التاريخ، 2017م، ص152.

عن أرضية المسجد بمدماكٍ واحد من الحجر، وكانت أرضية المسجد غير مبلطة لعل السبب في ذلك هو عدم اكتمال بناء المسجد.[1]

أما الزخارف في القصر فلعل الواجهة الرئيسة الجنوبية من أهم أجزاء القصر لما تحفل به من زخارف محفورة على الحجر الجيري بشكلٍ غائر يشبه أسلوب التفريغ، وتمتد هذه الزخارف لأكثر من 40م، ويصل ارتفاعها حتى 5م تقريباً،[2] وهي عبارة شريط مزخرف في الوسط يصل ارتفاعه إلى 3م، ويرتكز على قاعدةٍ يبلغ ارتفاعها حوالي 1.28م، يعلوه إطار بارتفاع 90سم،[3] وتتركز الزخرفة الأساسية في الشريط الأوسط وهي عبارة عن إفريز منكسر في شكل مثلثات كبيرة متساوية الساقين ومتوالية بلغ عددها حوالي 20 مثلثاً نصفها يرتكز على قاعدته ونصفها الآخر يقوم بشكلٍ مقلوب على أحد زواياه،[4] وتبلغ أبعاد كل منها 2.85م، من حيث الارتفاع و 3.5م ومن حيث القاعدة، وتمتاز بأضلاعها البارزة العريضة،[5] وفي داخل كل مثلث وردة سداسية البتلات محفورة وسطه، وفي أسفلها وأعلاها موضوعات زخرفية متنوعة،[6] أما زخاف الواجهة بصفةٍ بصفةٍ عامة فهي تنقسم إلى قسمين، الأيمن وتزينه تصاوير نباتية فقط، أما الأيسر فتغلب عليه الصور الآدمية والحيوانية التي يظهر من خلالها تأثير فنون الزخارف البيزنطية والفارسية والقبطية والهلنستية على طراز الزخارف الإسلامية في بداياته إبان العصر الأموي، وظل مستمراً يتطور حتى القرن الخامس الهجري، وقد انتقل من المشرق إلى المغرب والأندلس وهو ما يظهر في قصور الأمويين بالأندلس.[7]

قصر الطوبة

يعتبر من أكبر القصور الأموية ببادية الأردن بعد قصر الحير الشرقي وقصر المفجر، وهو يقع في أقصى جنوب منطقة البلقاء على الجانب الشرقي لوادي غّداف، على بعد ستين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من مدينة عمان،[8] وقيل إنه سمي بالطوبة نسبةً لاستخدام مادة الطوب والحجر في بنائه وخلوه من الآجر تماماً، كما

---

[1] درادكة، فتحي: القصور والمساجد الأموية في الأردن، جامعة اليرموك، إربد، 2001م، ص111.

[2] الطرشان، نزار نصار محمد: الجمالية الفنية في تصميم واجهة قصر المشتى، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية/عمان، مج 41، العدد الأول، 2014م، ص223.

[3] الألفي: مرجع سابق، ص156.

[4] محلق رقم (13)، ص240.

[5] الرشدان: مرجع سابق، ص108.

[6] بهنسي: القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، مرجع سابق، ص111.

[7] عاشور وأخرون: مرجع سابق، ص506.

[8] المومني: سهير، قصر الطوبة، جامعة اليرموك، الأردن/ إربد، 2000م،ص19

أطلق عليه أيضا اسم طوبة الغّداف نسبةً لوادي الغّداف الذي بني عليه القصر،[1] وينسب القصر إلى الخليفة الأموي الوليد الثاني،[2] ويرجح في تاريخ بنائه أنه قد تزامن مع بناء قصر المشتى عام 125هـ/ 743م، حيث تكثر أوجه الشبه بينهما من حيث التخطيط الداخلي والخارجي والمواد المستخدمة في البناء والزخرفة بالإضافة إلى عدم اكتمال البناء في كليهما.[3]

الوصف المعماري: يشغل القصر مساحة مستطيلة من الأرض، أبعاده (140.50م× 72.58م)، ويتألف القصر بشكل عام من قسمين شرقي وغربي، وهما عبارة عن بنائين مربعين متساويين متناظرين، وأبعاد كل واحد منها (73×73م) تقريباً،[4] ويصل بينهما باب مفتوح في وسط الجدار المشترك بينهما،[5] ويحيط بهما سور خارجي تدعمه أبراج نصف وشبه دائرية وأخرى مربعة، منها سبعة أبراج نصف دائرية خمسة منها بالجدار الجنوبي وبرجان على كل من الجدارين الغربي والشرقي، ومنها أربعة أبراج شبه دائرية تتوزع على الزوايا الأربعة للسور،[6] أما الجدار الشمالي فهو يشتمل على مدخلي القصر الرئيسين، ويحد كل بوابة من الجانبين برج مربع، ويتوسط المساحة بين البوابتين برج نصف دائري يربط بين الكتلتين وهو أكبر حجماً من الأبراج من الأخرى.[7]

لم يكن بناء القصر مكتملاً، خاصةً القسم الشرقي حيث اقتصرت عملية البناء فيه على الأساسات فقط، بينما أكتمل بناء القسم الغربي والغرفتان المحيطتان بالبوابة وبعض الأجزاء الأخرى من عمائر القصر،[8] ولكل قسم من أقسام القصر مدخل خاص به، أما المدخل الرئيسللقصر فهو عبارة بوابة كبيرة فتحت بين برجين يبلغ عرضها حوالي 3.45م، ويتقدمهما ممران الأول بعرض 6.42م والثاني 6.25م، وبجانبها ممران جانبيان أقل عرضاً منها 2.11م، ويمتدان بطول 20م نحو الشمال،[9] وتؤدي كل هذه الممرات إلى ساحة مركزية كبيرة تتوسط البناء الغربي من القصر، مربعة الشكل ويبلغ طول ضلعها 30م تقريباً، وينفتح منها

---

[1] بهنسي: القصور الشامية، مرجع سابق، ص113.

[2] ذكر أن الوليد بن يزيد قد نزل بذلك المكان بعد أن بويع عمه هشام بالخلافة:(فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة، على ماءٍ يقال له الأغدف). الطبري: تاريخ الرسل والملوك، مصدر سابق، ج7، ص211.

[3] كريزويل: مرجع سابق، ص188.

[4] سامح كمال الدين: مرجع سابق، ص47.

[5] الرشدان: مرجع سابق، ص78.

[6] شافعي: مرجع سابق، ص186.

[7] أبوعود: مرجع ساق، ص41.

[8] لاش: مرجع سابق، ص14.

[9] نفسه: ص15.

بابان يؤديان إلى ساحتين منفصلتين في كلا الجانبين الشرقي والغربي،[1] أما البيوت أو الوحدات السكنية فهي وحدتان في شمال الساحة الرئيسة، ووحدتان في جنوبها، يفصل بينهما مدخل القصر الرئيس، وهي ذات طابع معماري متماثل تقريباً،[2] حيث تتألف كل وحدة سكنية من فناء أوسط مستطيل الشكل تفتح عليه أربع قاعات سكنية، وتقوم في الجناح الشمال غرف ذات عقود مرتفعة بنيت من اللبن، أما قواعد الأكتاف وعتبات الأبواب فهي من الحجارة المنحوتة، واستخدم للربط بين قطع الطوب مونة مكونة من الرماد والجير وقطع الحصى الصغيرة، وكُسيت الجدران البيوت من الداخل بطبقة من الملاط،[3] أما الأسقف والأقبية فكانت نصف أسطوانية مشيدة بالآجر والحجر، وبعضها شيد بواسطة عبوات على قوالب خشبية نصف بيضاوية، لها أرجل بارزة عن الجدار، وقد استلهم المسلمون هذه الأنماط التسقيفية من العمائر الساسانية التي قد شاع إستخدامها في العراق وماجاورها من البلدان.[4]

أما الزخارف بالقصر فقد حُصرت في عضائد الأبواب وإسكافاتها، والإسكافة هي عبارة عن مستطيل مقسم إلى ثلاثة أقسام، الأوسط منها عبارة عن إطار مليء بزخرفة اللآلي الساسانية المثقوبة، وبداخله شكل محور عن زهرةٍ ثمانية الفصوص، ويرتكز الإطار من الخارج على ثمانية أقواس نصف دائرية مزينة بزخرفة حراشف السمك وثمار الصنوبر.[5] أما القسمان الجانبان فهما متماثلان في الحجم والزخرفة، فكل منها عبارة عن مستطيل مزخرف بإطار من اللآلي الدائرية المثقوبة المزينة من الداخل بحراشف السمك وفروع نباتية مشكلة أربع دوائر حلزونية متتابعة بداخلها زهرة بصلية الشكل.[6]

وأما المنشآت المائية المحلقة بالقصر فهي عبارة عن عدة سدود وآبار أُنشئت لمد القصر بمياة الشرب وأعمال البناء والاستخدامات الأخرى، أما السدود فهما سدان: الأول على بعد مائة متر جنوب القصر، وهو مستطيل الشكل أبعاده (36×3م) وبارتفاع متر واحد، بُني بأحجار شبه دائرية ضخمة،[7] أما الثاني فهو

---

[1] المومني: مرجع سابق، ص21.

[2] أبوعود: مرجع سابق، ص41.

[3] الرشدان: ص89_90.

[4] لاش، أحمد: قصر الطوبة " شاهد حي على سقوط دولة بني أمية"، حولية دائرة الآثار العامة، الأردن/ عمان، مج 56، 2012م، ص17.

[5] شدود: مرجع سلبق، ص163.

[6] المومني: مرجع سابق، ص72.

[7] الرشدان: مرجع سابق، ص89_90.

شمال غرب القصر على مسافة 250م، مستطيل الشكل أبعاده (36.5×1.80م) بارتفاع 1.14م، بُني أيضاً بالأحجار الضخمة.[1]

أما الآبار فهي أربعة: الأولي على مسافة 2.5 كم شمال القصر، على الحافة اليسرى لوادي الغدف، عمقه 30م، بُني بالحجر حتى عمق 4.5م، وترفع المياه منه بواسطة ناعورة خشبية تقوم بتدويرها الدواب فوق ساحة مرصوفة بالحجارة، وتجمع المياه فوق حوض حجري مربع الشكل تقريباً أبعاده (5×4.5 م) بعمق مترٍ واحد، أما البئر الثانية فهي أيضاً على الحافة اليسرى من وادي الغدف، على مسافة 500م من القصر، عمقه أكثر من 30م، بُني بالحجر حتى عمق 3.6م، وإلى الجنوب منها يوجد حوض دائري الشكل قطره 6.2م، كان يستخدم لسقاية الحيوانات،[2] أما البئران الثالثة والرابعة فهما على حافة الوادي اليمنى، وهما مشابهان للبئرين الأولين من حيث الشكل والحجم والوظيفة.[3]

قصر خربة المنية: يقع على الشاطئ الشمال الغربي لبحيرة طبرية بفلسطين، على بعد أقل من ميل عن الطابغة[4]، وقيل أن كلمة المنية من أصل يوناني (MONE) وتعني المنزل، وينسب هذا القصر إلى الخليفة الخليفة الوليد بن عبدالملك، حيث عُثر على لوح من المرمر عند باب القصر كُتب بالخط الكوفي اسمه،[5] كما عُثر على دينارين ذهبيين، ضرب أحدهما سنة (98هـ/716م) أما الثاني ففي سنة (116هـ/735م) وكلاهما يعودان إلى العصر الأموي.[6]

الوصف المعماري للقصر: هو عبارة عن بناء مستطيل الشكل أبعاده (73×67م)، محاط بسور بُنى من الحجر الكلسي، مدعم بأبراج دائرية في زواياه الأربعة، وأخرى نصف دائرية في وسط السور، يبلغ قطر كل واحد منها حوالي 4م،[7] ماعدا الجدار الشرقي حيث يوجد المدخل الرئيس للقصر هو عبارة عن فتحة تتوسط

---

(1) لاش: مرجع سابق، ص17.

(2) المومني: مرجع سابق، ص74.

(3) لاش: مرجع سابق، ص24.

(4) بوخلف: مروان، من معالم الحضارة الإسلامية في فلسطين، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، المغرب/ سلا، 2001م، ص148.

(5) الطابغة هي قرية تقع على ساحل الشمالي الشرق لبحيرة طبرية، على بعد 13 ميلاً إلى الشمال من مدينة طبرية، تكثر بأراضيها الينابيع، وكانت تقوم في بقعتها قرية اسمها هيبتابيغون وهي كلمة يونانية تعني قرية الينابيع السبعة. شراب: محمد، معجم بلدان فلسطين، ط2، مطبعة الأهلية، الأردن/ عمان، 2000م، ص501

(6) شنايدر: الفونس، خربة المنية عند بحيرة الناصرة، الحوليات الأثرية السورية، تعريب: كامل عباد، مج2، 1952م، ص140.

(7) نصه: " بسم الله الرحمن الرحيم، ما أمر عبدالله الوليد أمير المؤمنين ... على يدي عبدالله بن ...". بهنسي: القصور الشامية، مرجع سابق، ص38.

تتوسط الجدار بعرض 5.16م، محاطة ببرجان ربع دائريان من الخارج ونصف دائريان من الداخل، وتعلو المدخل قبة مربعة مفتوحة من الأعلى مزخرفة بزخارف نباتية بديعة، ويلي المدخل ممر مستطيل الشكل أبعاده (11.5×7م) مبلط ببلاط حجري، وهو بمثابة دهليز يؤدي صحن القصر مباشرة،[1] أما الصحن فهو عبارة عن باحة مستطيلة الشكل، يحيط بها رواق مرتكز على أربعة عضائد ركنية وستة أعمدة في كل جانب، ويحتوي الجزء الأوسط من الضلع الجنوبي من الصحن على مجموعة من الغرف،[2] تتوسطها قاعة ضخمة مربعة الشكل أبعادها (20×20م) لها مدخل ثلاثي الأبواب كلها تفتح على الصحن، وقد قسمت القاعة بصفين من الأعمدة إلى ثلاثة أروقة، رواق عريض واثنان ضيقان بجانبه،[3] أما أرضيتها فهي مبلطة مبلطة بالمرمر الأبيض والملون، وبه كُسيت الجدران من الداخل حتى ارتفاع مترين ومافوق ذلك كُسي بالفسيفساء، أما سقفها فهو من القرميد المائل،[4]وإلى الشرق من هذه القاعة قاعة أخرى مستطيلة الشكل أبعادها (12×20م) مقسمة إلى رواقين متطابقين من حيث العمق والاتساع، يتوصل منها مسجد القصر،[5] أما القسم الشمالي من القصر فهو عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد أفقياً من الشرق إلى الغرب، تتألف من عدة غرف مختلفة الأحجام، فرشت أرضياتها بالفسيفساء الحجرية الملونة،[6] أما المسجد فيقع في الزاوية الجنوبية من القصر، وهو مستطيل الشكل أبعاده (13.10×19.42م)، يتوصل إليه عبر ثلاثة أبواب: بابان في الجدارين الغربي والشرقي، وباب آخر مفتوح في الساحة الداخلية،[7] وتتألف قاعة الصلاة من ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة، ترتكز على ثلاثة أعمدة في الوسط، ومن جهة أخرى على الجدارين الشرقي والغربي، وبه محراب يبلغ عرضه حوالي 1.62م، وعمقه 1.12م.[8]

---

[1] شنايدر: مرجع سابق، ص142.

[2] يوسف، شريف: المدخل لتاريخ العمارة الإسلامية وتطورها، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1980م، ص41.

[3] كريزويل: مرجع سابق، ص116_117.

[4] شنايدر: مرجع سابق، ص144.

[5] يوسف: مرجع سابق، ص41.

[6] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، ص58.

[7] الحسني، جعفر: قصور الأمويين في الديار الشامية، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج17، ج5، 1942م، ص223.

[8] كريزويل: مرجع سابق، ص117.

قصر أُسيس: يقع على سفح جبل أُسيس[1]، على بعد نحو 150كم جنوب شرق دمشق، بُنى على هضبة ذات صخور بركانية عليها نبع ماء شحيح يسيل في الشتاء فيرده عربان البادية في فصلي الشتاء والربيع،[2] وقد اختلف الأثريون في تاريخ بناء القصر فمنهم من نسبه إلى العمائر البيزنطية القديمة بالشام، ومنهم من نسبه إلى العمائر الإسلامية الأموية وهو الرأي الأرجح ويستندون في ذلك على وجود مسجدٍ به له محراب مجوف وهو طراز معماري أدخله الوليد بن عبدالملك لأول مره بالمسجد النبوي الشريف، ثم شاع استخدامهم بعد ذلك في المساجد الأموية،[3] كما وجدت كميات كبيرة من النقود المعدنية بأطرف الموقع ترجع إلى العصر الأموي، بالإضافة إلى نصوص[4] عربية كُتبت بالخط الكوفي تؤكد بدورها النسب الأموي للقصر.[5]
للقصر.[5]

الوصف المعماري: يتخذ مخطط القصر الشكل المربع تقريباً ويبلغ طول ضلعه 67.53م باستثناء الضلع الجنوبي فهو أقصر منها بحوالي متر،[6] وللقصر سور خارجي ضخم بُني بالحجارة البركانية غير المنحوته، مدعم بأبراج مستديرة الشكل موزعة على زواياه الأربعة وثلاثة أخرى نصف دائرية موزعة في منتصف أضلاعة الشرقي والغربي والجنوبي،[7] أما الجهة الشمالية فيتوسطها مدخل القصر الرئيس، وهو عبارة عن بوابة واسعة يكتنفها برجان يبلغ عرضهما 2.27م، ويعلو برج البوابة قوس مدبب، ويتصل المدخل بدهليز أمامي مقبب بالأحجار المنحوتة ويترواح طوله مابين (90.3×80.3م)، وينتهي بالفناء الرئيس للقصر،[8] وهو عبارة صحن مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 31م، مبلط بالحجارة، ومحاط أروقة ذات عضائد وأقواس بعمق (3.80م) ويلي الأروقة وحدات سكنية من طابقين، تتألف كل وحدة من قاعة رئيسة متصلة بأربع

---

(1) أُسيس بالضم ثم الفتح وياء ساكنه وسين أخرى تصغير أس، هو ماء شرقي دمشق. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص193.

(2) كلاوس، بريس: تقرير حفريات قصر جبل أسيس، مجلة الحوليات الآثرية السورية، تعريب: نورالدين حاطوم، مج13، 1963م، ص243.

(3) شدود: مرجع سابق، ص53.

(4) من أهم هذه النصوص: " اللهم، د محمد بن الوليد إلى أخيه إبراهيم، قلبه أمسى إلى ذلك مشتاق". ومحمد وإبراهيم هما أبناء الوليد بن عبدالملك. العش: محمد أبوالفرج، كتابات عربية غير منشورة وجدت في جبل أسيس، الحوليات الأثرية السورية، مج13، 1963م، ص278.

(5) نفسه: ص278_279.

(6) الحسني: مرجع سابق، ص223.

(7) الشوابكة: مرجع سابق، ص243.

(8) كلاوس: مرجع سابق، ص253.

غرف على جانبيها،[1] أما الزخارف فقد زُينت الجدران من الخارج بالجص ومن الداخل بزخارف نباتية ذات ألوان متعددة منها الأحمر والرمادي والأسود.[2]

أما مرافق القصر فهي تتمثل في الحمام والمسجد، ويقع المسجد على مسافة 70م إلى الغرب من مبنى القصر، وهو عبارة عن مساحة مربعة الشكل أبعاده (9.48×9.34م)، بُنيت جدرانه من أحجار البازلت،[3] وله مدخلان أحدهما في الجانب الشمالي والأخر في الجانب الشرقي، ويقسم بيت الصلاة من الداخل إلى بلاطتين موازيتين لجدار القبلة يرتكزان في الوسط على دعامة وفي الجانبين على بروزين في الجدارين الشرقي والغربي، وبه محراب مجوف وهو نوع من المحاريب التي شاع طرازها في خلافة الوليد بن عبدالملك.[4]

قصر الحرانة: يقع ببادية الأردن على مسافة 65كم جنوبي شرقي عمان، ويبعد عن قصر عمرة ب 21كم باتجاه الغرب،[5] وسُمي بالحرانة نسبة إلى أرض الحرة التي بُني عليها،[6] ويتميز القصر بموقعه الاستراتيجي الذي يشرف على ملتقى طرقٍ قادمة من جهات مختلفة، أهمها طريق وادي السرحان، ويرجع الأثريون تاريخ بناء القصر إلى زمن خلافة الوليد بن عبدالملك، مستندين في ذلك على كتابة كوفية مؤرخة بتاريخ (92هـ/711م)، كما عُثر على كتابة[7] أخرى تحمل التاريخ نفسه بأعلى البوابة الشمالية للقاعة الرئيسة الرئيسة الغربية.[8]

الوصف المعماري: يتميز قصر الحرانة بأنه القصر الوحيد في بادية الأردن الذي أنشئ لأغراض دفاعية، فقد بُني على شكل قلعة مربعة الجوانب مهيبة المنظر،[9] أبعاده (35.45×36.50م)، ويتألف من طابقين على ارتفاع 10م، محاط بأسوارٍ ضخمة تدعمها أبراج صماء شبه دائرية في الزوايا الرئيسة الأربعة، ويبلغ قطر كل واحد منها 2.20م، بالإضافة إلى أبراج نصف دائرية في الجهات الشرقية والغربية والشمالية بواقع برج

---

[1] بهنسي: القصور الشامية، ص44.

[2] كلاوس: مرجع سابق، ص253.

[3] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، ص89.

[4] Creswell: Ashort Account. PP121_122.

[5] أبوعود: مرجع سابق، ص28.

[6] بهنسى: القصور الشامية، مرجع سابق،ص50.

[7] هو نص كتب بالحبر الأسود مضمونة " اللهم أرحم عبدك عبدالملك بن عبيدالله وأغفر له ...، كتب عبدالملك بن عمر يوم الإثنين لثلث بقين من المحرم من سنة اثنين وتسعين...". الرشدان: مرجع سابق، ص23.

[8] درادكة: فتحي، مرجغ سابق، ص19.

[9] هاردنج: مرجع سابق، ص160.

في وسط كل ضلع، باستثناء الضلع الجنوبي فيتوسطه المدخل الرئيس للقصر،[1] وتتسم أسوار القصر بفتحات عالية موزعة بصورة منتظمة، يبدو عليها للوهلة الأولي أنها مخصصة لرمي السهام، لكنها في الحقيقة كانت تستخدم لأجل الإضاءة والتهوية فقط لاغير، ويبلغ عرض كل فتحة 30سم، وترتفع عن مستوى الأرض 1.30م بالطابق الأرضى و حوالي 1.50م في الطابق العلوي،[2] أما المدخل الرئيسي،[3] للقصر فهو عبارة عن فتحة بعرض 2.26م محاطة ببرجين ربع دائريين، تعلوها نافذة واسعة وصف من المحاريب المزخرفة بالجص،[4] ويؤدي المدخل إلى ممر مستطيل الشكل أبعاده (3.40×10.6م)، وتقوم على جانبيه غرف مستطيلة الشكل ذات عقود وأقواس خالية من النوافذ، قيل إنها كانت تستخدم كاسطبلات للخيول أو غرف للتخزين،[5] وينتهى الممر إلى صحن القصر وهو عبارة ساحة مركزية مكشوفة مربعة الشكل أبعادها (12.65×12.95م)، تتوسطها بركة مياه صغيرة وخزان لجمع مياه الأمطار وقناة تمتد عبر الممر لتصريف المياه الزائده إلى خارج القصر،[6] توجد على جانبي الصحن الجنوبي الغربي والشمالي سلسلتان من الدرج تؤديان إلى الطابق العلوي، وتحيط به ثمانية أعمدة تقوم عليها شرفة، ويتميز الطابق الأرضي من القصر بالبساطة وعدم الزخرفة، وهو يتألف من مجموعة من البيوت المرتبة على شكل وحدات سكنية مستقلة، تتكون كل واحدة منها من قاعة مركزية محاطة بغرفتين متجاورتين، وكذلك الطابق العلوي فهو مشابه للطابق الأرضي من حيث المساحة والتخطيط وتوزيع الغرف،[7] أما أسلوب التسقيف بالقصر فكان قائم على نظام الأقواس العرضية في القاعات المركزية، التي ترتكز على عدة كتل من الأعمدة، تتكون كل حزمة فيها من ثلاثة أعمدة متجاورة،[8] حيث تم ذلك بوضع قطع دقيقة من الحجر فوق بعضها البعض مع انحراف بسيط في زواية كل حجر فجاءت على شكلين عرضي وبيضاوي شبيه بما هو مجود في العمائر الساسانية،[9] أما الزخارف بالقصر فقد كانت محدودة جداً من حيث الكم والنوع وتتسم بالبساطة، حيث لم يتم العثور على أي

---

(1) دويكات: مرجع سابق، ص71.

(2) آيتنغهاوزن، ريتشارد وأخرون: الفن الإسلامي والعمارة، ترجمة: عبدالودود بن عامر العمراني، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، أبوظبي، 2012م، ص56.

(3) ملحق رقم (14)، ص240.

(4) الرشدان: مرجع سابق، ص22.

(5) عواد، نايفة: العمارة الأموية في فلسطين والأردن، الجامعة الأردنية، عمان، 1988م، ص258.

(6) أبوعود: مرجع سابق، ص29.

(7) الرشدان: مرجع سابق، ص22_23.

(8) هاردنج: مرجع سابق، ص162.

(9) التل، صفوان: الآثار العربية الإسلامية في الأردن، مطبوعات وزارة القافة والشباب، الأردن/عمان، ص57.

رسوم جدارية أو تماثيل حجرية أو لوحات فسيفسائية في الطابق الأرضي من القصر، وقد احتوى الطابق العلوي على القليل من الزخارف التي تتألف من أشكال وردية متعددة البتلات وهي معمولة من الجبس، بالإضافة إلى لوحات أخرى من الملاط المحفور،[1] أما جدران القصر من الخارج فقد اقتصرت زخارفها في شريط من مدماكين من الآجر يحيطان بواجهات القصر الأربعة، وضعت بشكلٍ مائل للتخفيف من الجمود والبساطة وقلة الزخارفة التي اتسم بها القصر من الداخل.[2]

قصر الحلابات: يقع على مسافة 25كم إلى الشمال من مدينة الزرقاء،[3] على مقربة من طريق تراجان التجاري الشهير،[4] بموضع مرتفع ينحدر بشكلٍ انسيابي نحو الجهة الشمالية والجنوبية الشرقية وبشكلٍ أكثر انحداراً باتجاه الغرب، وقد اختلف في تاريخ بناء القصر،[5] إلا أن معظم الآراء تشير إلى نسب القصر إلى العمائر الأموية، حيث عُثر على كتابة كوفية فوق باب إحدى حجرات الطابق العلوي وهي مؤرخة بسنة 91هـ/710م، أي أنه بُني في خلافة الوليد بن عبدالملك، أما التسمية فقيل إنه سمي بالحلابات نسبة إلى نساء كنا يحلبن الأغنام التي ترعى بجوار القصر، وقيل بل لقب اصطلح عليه أهل المنطقة المجاورة للقصر، وقيل نسبة لحلبة تتجمع فيها الخيل للسباق أو حلبة للمصارعة والملاكمة، وعلى الرغم من هذه الآراء المتباينة إلا أنه من الواضح أن هذه التسمية حديثة.[6]

---

[1] أبوعود: مرجع سابق، ص30.

[2] المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: مرجع سابق، ج2، ص54.

[3] الراشدان: مرجع سابق، ص27.

[4] هو أحد أقدم وأهم الطرق التجارية في منطقة الشرق الأوسط ، يبدأ من ضواحي القاهرة ويمتد على طول شبه جزيرة سيناء حتي العقبة، ثم ينعطف نحو الشمال إلى عمان ثم دمشق ثم نهر الفرات في سوريا، وقد أعيدت رصف هذا الطريق من بصرى الشام في حوران جنوب سوريا إلى إيلة بالعقبة، وكان ذلك عهد الأمبراطور تراجان (111_ 114م) أيام سيطرت الرومان على تلك المنطقة، فسمى الطريق على اسمه. بيشة، غازي: قصير ومسجد الحلابات في الأردن، المؤتمر التاسع للبلاد العربية الإسلامية، صنعاء، 1985م، ص80.

[5] قيل إن القصر قد بُني على ثلاثة مراحل، الأولى من قبل الرومان أو الأنباط وكان المبنى بمثابة برج للمراقبة والغاية منه تأمين طريق تراجان التجاري (111_ 117م)، والثانية عندما توسعت البناء وإحاطته بأسوار خارجية ذات أبراج مربعة قائمة على الزوايا، وتنسب هذه الترميمات إلى اللاتينين في الربع الأول من القرن الثالث الميلادي، أما المرحلة الأخيرة فهي في العصر الأموي حيث تمت إعادة بناء القصر بالحجارة الكلسية والبازلتية، وشيد بجواره مسجد وبعض المرافق الأخرى، وتم تزيين البناء بالزخارف الجصية والرسوم المائية. خريس، عناد: الزخارف الفسيفسائية والجصية في قصر الحلابات، جامعة اليرموك، الأردن/إربد، 1979م، ص411.

[6] الرشدان: مرجع سابق، ص26.

الوصف المعماري: مخطط القصر مربع الشكل أبعاده (44×44م) تقريباً، يحيط به سور مدعم بأبراج مربعة تتوزع على زواياه الأربعة، ويبلغ طول ضلع كل برج 5.70م، بُنيت من وجهين داخلي وخارجي وحشى مابينها بالحجارة الصغيرة والمونة المكونة من الرماد والجبص،[1] ويقع المدخل الرئيس للقصر في منتصف الجدار الشمالي الشرقي، وتبلغ سعته 1.25م، ويليه ممر مستطيل أبعاده (3.90×4.10م)،[2] ينتهي إلى صحن القصر وهو عبار عن فناء مكشوف غير منتظم الشكل على هيئة حرف (L) وقد رصفت أرضيته ببلاطات حجرية غير منتظمة، وتحيط به مجموعة من الغرف المختلفة الأحجام من جميع الجوانب، باستثناء الجهة الشمالية حيث توجد بها وحدة سكنية تتألف من غرفتين وممر مسقوف بعوارض حجرية وساحة مكشوفة،[3] وفي الجانب الجنوبي الغربي توجد وحدة سكنية أخرى تتألف من ثلاث غرف وقاعة كبرى مستطيلة الشكل لها ستة عقود نصف دائرية،[4] فرشت أرضيتها بمكعبات من الفسيفساء الملونة ذات العناصر الزخرفية.[5]

مرافق القصر ومحلقاته: المسجد هو عبارة مصلى صغير على مسافة 14م شرقي منبى القصر، مستطيل الشكل أبعاده من الداخل (11.77×10.77م)، بُنيت جدارنه من الحجارة الكلسية المشذبة، بسماكة 82سم، وهي على وجهين مُلئ الفراغ بينهما بالحصى والمونة،[6] وقد قسم المسجد من الداخل إلى ثلاثة أروقة بواسطة صفين من الأعمدة موازيتين لجدار القبلة، وبه محراب تعلوه فتحة دائرية يبلغ عرضه 1.2م، عليه إفريز زخرفي يصل إلى ارتفاع 2.1م وقد عمت به جدران المسجد من الداخل،[7] أما السقوف فكانت عبارة عن ثلاثة أقبية برميلية ترتكز على الجدارين الشمالي الغربي والجنوبي والشرقي، بالإضافة إلى العمودين الموازيين لجدار القبلة، وتم تغطية هذه الأقبية بمزيج من الحجارة البركانية الخفيفة والمونة المؤلفة من الملاط والحصى والجير، وللمسجد ثلاثة مداخل رئيسية الأول في منتصف الجدار الشمالي الغربي والثاني بالجدار الجنوبي والأخير بمنتصف الجدار الشمالي الشرقي.[8]

---

[1] طوقان: مرجع سابق، ص411.

[2] بيشة: مرجع سابق، ص80

[3] الرشدان: مرجع سابق، ص32.

[4] ملحق رقم (15)، ص240.

[5] بيشة: مرجع سابق، ص81.

[6] كريزويل: مرجع سابق، ص149.

[7] بيشة: مرجع سابق، ص87.

[8] الرشدان: مرجع سابق، ص45_46.

أما الملاحق وأهمها الفناء الزراعي الذي يقع بسهل منبسط تحيط به الوديان من الشرق والغرب والجنوب الغربي، على بعد 400م إلى الشمال من القصر، وهو عبارة عن مساحة زراعية على شكل مثلث غير منتظم الأضلاع أبعاده 270م من الشمال إلى الجنوب و220م من الشرق إلى الغرب،[1] محاط بسور غير منتظم بُني بالحجار الغشية بارتفاع ثلاثة مداميك بُنيت على وجهين وملئ مابينهما بقطع من الأحجار الصغيرة والطمي، وقسم الفناء من الداخل إلى أحواض مستطيلة بواسطة جدارين يمتدان من الشرق إلى الغرب، بُنيت بالأحجار الكلسية المشذبة على وجهين وملئ مابينهما أيضا بالحصى والطمي،[2] ويتم تزويد الفناء بالمياه من وادي قريب عبر قنوات تمتد على مسافة 20م، ويتم الدخول إلى الفناء عن طريق مدخل وحيد في الجهة الجنوبية من السور.[3] أما البرك والخزانات فقد عُثر على تسعة صهاريج بموقع القصر، اثنان منها داخل القصر وسبعة بجواره، وهي منحوتة على الصخر والجزء العلوي منها مبني بالحجارة،[4] وقد كُسيت جدرانها من الداخل بطبقة من الملاط الرمادي وتم تسقيفها بواسطة ألواح حجرية وذلك لمنع رشح وتبخر المياه، ويتم تغذية هذه الصهاريج بواسطة قنوات تجمع إليها المياه من المناطق العالية والمنحدرات،[5] بالإضافة إلى بعض البرك والأحواض الترابية أنشئت على شكل حدوة حصان عند فوهات الخزانات لتجميع مياه الأمطار وترسيب الأتربة منها، والتحكم في جريان المياة وتوزيعها، منها بركة وجدت على مسافة 330م جنوب شرقي القصر، وهي مربعة الشكل تقريباً أبعادها (82×80م) وعمقها 3م، محاطة بجدار من الحجر الجيري، وتقدر سعتها بخمسة عشر ألف متر مكعب من المياه.[6]

قصر قسطل: وقَسْطل بالفتح ثم السكون وطاء مفتوحة ولام، في اللغة هو الغبار الساطع، وعند أهل الشام هو موضع الذي تقترف منه المياه، وفي لغة أهل المغرب هو البلوط الذي يؤكل، وقسطل هو موضع بالبلقاء من أرض الشام،[7] ويقع القصر ببادية الأردن على مسافة 23كم إلى الجنوب من عمان، و8كم إلى الغرب من قصر المشتى،[8]وقيل أن كلمة من أصل لاتيني (Castellum) وتعنى الحصن، وقد اختلف

---

[1] الرشدان: مرجع سابق، ص36.

[2] بيشة: مرجع سابق، ص89.

[3] الرشدان: مرجع سابق، ص37.

[4] نفسه: ص37_38.

[5] طوقان: مرجع سابق، ص441.

[6] الرشدان: مرجع سابق، ص38.

[7] ابن منظور: مصدر سابق، ج11، ص557.

[8] خوري، رامي: القصور الصحراوية " دليل موجز للآثار"، ترجمة: غازي بيشة، الكتبي ناشرون/ مطابع الرأي، الأردن/عمان، الأردن/عمان، 1988م، ص6.

الآثريون في تحديد تاريخ بناء القصر، فمنهم من نسبه إلى العمائر التي بُنيت في فترة حكم الروم وملوك الغساسنة، والرأي الأرجح عند الكثير منهم ينسب القصر إلى العمائر الأموية،[1] وقد ورد ذكر قسطل في العديد من مصادر التاريخ الإسلامي مرتبطاً بخلفاء بني أمية،[2] كما ورد ذكره أيضاً على لسان كبار شعراء العصر الأموي، منه ما أورده جرير في رثائه للوليد بن عبدالملك:

ياعينُ جودي بدمعٍ هاجه الذكر *** فما لدمعك بعد اليوم مُدخر

قد شفني روعة العباس من فزع*** لما أتاه بدير القسطل الخبر [3]

الوصف المعماري للقصر: هو مربع الشكل ويبلغ طول ضلعه 68م، أحيط بسور حجري مدعم بأبراج دائرية في زواياه الأربعة، ونصف دائرية تتوزع على مسافاتٍ متساوية بمعدل ثلاثة أبراج في ناحية من السور،[4] ويتوسط البرج الذي يقع في الناحية الشمالية المدخل الرئيس للقصر، ويليه ممر مستطيل أبعاده (8×3م) على جانبيه غرفتان صغيرتان، ويؤدي الممر إلى ساحة مربعة الشكل مكشوفة يبلغ طول طلعها 24م، تكتنفها أروقة محمولة على أعمدة رخامية أسطوانية الشكل،[5] وهي محاطة بوحدات سكنية تتألف كل وحدة من قاعة مركزية مربعة طول ضلعها 6.30م محاطة بغرفتين صغرتين سقفت بقباب صغيرة، وكذلك القاعة المركزية سقفت بقبة كبيرة تستند على اسطوانة طولية تتخلها ثمانية نوافذ وتحيط بها ثلاث حنيات من جميع الجهات عدا الجهة الغربية، وتنتهي كل منها بنصف قبة من الأعلى، وتفتح كل منها على غرفة صغيرة يبدو أنها كانت مخصصة للإستراحه.[6] وتدل فخامة الزخارف من رسومات جصية وحجرية والأرضيات المرصعة المرصعة بالفسيفساء على مدى أهمية هذا القصر والعناية التي حظى بها من قبل مؤسسيه، حيث تعددت الموضوعات الزخرفية الوجود بأطراف القصر فمنها الزخارف النباتية والهندسية بمختلف أشكالها فمنها

---

[1] الراشدان: مرجع سابق، ص91.

[2] قد ورد على لسان ابن كثير في ذكره لخبر مقتل الوليد بن يزيد في أحداث سنة 126هـ/744م ونصه:" وكان العباس بالقسطل ويزيد بالبادية" وفي أحداث 127هـ/745م قال:" وكان مروان بدير أيوب، فبايع لابنيه عبدالله وعبيدالله، وكذلك جمع بنى أمية واستقام له الشام ماخلا تدمر، فسار إليها ونزل القسطل...". ابن كثير: الكامل، ج4، ص338_302.

[3] جرير، ابن عطيه بن حزيفة الكلبي: ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، ط3، ج1، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص641.

[4] درادكة: فتحي، مرجع سابق، ص24.

[5] الرشدان: مرجع سابق، ص93.

[6] دويكات: مرجع سابق، ص78.

المربعة والمعينة والدائرية، وهي شبيهة بمثيلاتها من زخارف القصور الأموية الأخرى خصوصاً الزخاف التي وجدت بقصر خربة المفجر.[1]

مرافق القصر وملحقاته: منها المسجد وقد بُني بشكلٍ مستقل أما القصر من الجهة الشمالية، بهيئة مستطيلة أبعاده(12×18م)، واستخدمت في الأحجار الكلسية المكعبة في بناء الجدارن،[2] ويتألف المسجد من قاعةٍ واسعة ذات مسقطٍ مستطيل الشكل (16.60×5.35م) يتخللها صف من الأعمدة، بالإضافة إلى بيت الصلاة وأبعاده (5×16م) وهو يفتح على الساحة الداخلية بواسطة ثلاثة عقود كبيرة، ويبلغ عرض العقد الأوسط منها 5.7م، بينما جاء الأخريان بعرض 3م فقط،[3] ويتوسط الجدار الجنوبي المحراب وهو من نوع المحاريب المجوفة بعرض 1.40م وعمق 1.15م وارتفاع 1.74م، يعلوه عقد مدبب،[4] أما السقف فكان من الخشب ثم ثم استبدل بقبو برميلي، ويشتمل المسجد على مدخلين أحدهما في الجهة الغربية والآخر بالجهة الشرقية،[5] وفي الزاوية الغربية من الجدار تقوم مئذنة المسجد الأسطوانية على قاعدة حجرية مستطيلة تتألف من ثلاثة مداميك بارتفاع 1.35م، ويبلغ قطر المئذنة 5م وارتفاعها 3.27م، يعلوها كورنيش، ويتم الدخول إليها عبر فتحة ضيقة سعتها 60سم، تؤدي إلى ممر بنفس عرضها أقيم درجات ترتقى إلى الأعلى بشكلٍ حلزوني.[6] ومن المرافق التي ألحقت بالقصر أيضاً الحمام وقد بُني وفق الطراز الشائع في تشيد الحمامات إبان العصر الأموي، وهو يتألف من أربع غرف رئيسة، الأولي منها عند المدخل وهي غرفة خلع الملابس، وتليها الغرفة الباردة ثم الدافئة والساخنة وإلى الشمال منها غرفة الموقد.[7] أما المنشآت المائية فقد أنشئ أكثر من سبعين صهريجاً وحول القصر لتجميع وتخزين مياه الأمطار والاستفادة منها في سد حاجة القصر وتوابعه من

---

[1] الطرشان، نزار علي: المدارس الأساسية للفسيفساء الإسلامية في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، 1989م، ص97.

[2] دراكة: فتحي، مرجع سابق، ص33_34.

[3] الرشدان: مرجع سابق، ص97.

[4] العجلوني، عيشة: المحاريب الأموية في الأردن، رسالة غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن/ إربد، 1992م، ص58_59. ص58_59.

[5] دويكات: مرجع سابق، ص78.

[6] الرشدان: مرجع سابق، ص94.

[7] بيشة: مرجع سابق، ص4_5.

المياه،[1] بالإضافة إلى وجود سد ضخم في الجهة الشرقية من القصر، أبعاده (4.30×400م) يتسع لما يقارب 2مليون متر مكعب من المياه.[2]

قصر عين السل: وهو من أصغر القصور الأموية ببادية الأردن من حيث المساحة الإجمالية، يقع في وسط واحة الأزرق على مسافة 20كم إلى الشمال الشرقي من مدينة عمان، ويقوم مبنى القصر في وسط منطقة زراعية وله ارتباط وثيق بالمنتجات الزراعية، وقد اختلف في تاريخ بنائه وقيل إنه من العمائر الرومانية القديمة، وقد تم تجديد بنائه واستخدامه في العصر الأموي.[3]

الوصف المعماري: هو بناء مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 17م تقريباً، محاط بسور من الأحجار البازلتيه، يتوسطه فناء مكشوف تكتنفه سبع غرف تفتح جميعها على هذا الفناء باستثناء غرفةٍ واحده في الزاوية الجنوبية الشرقية من مبنى القصر، فهي تفتح على الممر الرئيس المؤدي للفناء المركزي،[4] ويحتوي القصر على بئرين الأولي بوسط الفناء والثانية على مسافة 15م من الضلع الجنوبي للقصر،[5] كما يوجد بالقصر حمام صغير بالإضافة إلى معصرة للزيوت وهي مرتبطة بمنتجات المنطقة الزراعية المجاورة للقصر، وتتألف من غرفتين يقعن في الجهة الشمالية من أسوار القصر، والمعصرة نفسها عبارة عن حوض دائري شيد بالأحجار البازلتية، مدعم بعمود أسطواني قصير كمحور رئيس تدور حوله عجلة بازلتية ثقيلة لهرس الزيتون واستخراج الزيت، وقد حفرت أقنية دائرية ضيقة فوق سطح غرفة المعصرة المنحدر لتسهيل عملية انتقال الزيت وصبه في جرار فخارية مخصصة لمجمعه.[6]

قصر الموقر[7]: يقع ببادية الأردن على مسافة 30كم إلى الشمال الشرقي من مدينة عمان، على هضبة ترتفع بمقدار 919م عن سطح الأرض،[8] ويتميز القصر بموقعه الاستراتيجي الذي يطل على بادية الشام ومنطقة الحرات من جهتي الشمال والشرق، ومناطق السهول الزراعية من جهة الغرب، وكان القصر بمثابة

---

[1] خوري: مرجع سابق، ص8.

[2] الرشدان: مرجع سابق، ص94.

[3] ذياب: مرجع سابق، ص70_71.

[4] الرشدان: مرجع سابق، ص84.

[5] ذياب: مرجع سابق، ص29.

[6] الرشدان: مرجع سابق، ص84_85.

[7] المُوقر بضم أوله وفتح ثانية وتشديد القاف وفتحها، اسم موضع بنواحي البلقاء من ناحية دمشق، وكان يزيد بن عبدالملك ينزله، ولفظ الموقر جاء من التوقير والتعظيم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص226.

[8] وهيب، محمد: الموسم الثاني للتنقيبات الآثرية في الموقر تقرير أولي، حولية دائرة الآثار العامة، مج37، 1993م، ص7.

استراحة للقوافل التجارية المارة بتلك المنطقة،[1] وقد نُسب القصر في بداية الأمر إلى العمائر الرومانية، ولكن بعد عمليات التنقيب الأثرية المتتابعة بالموقع أكدت النتائج نسب القصر إلى العمائر الأموية، وذلك بعد أن عُثر على نص نقش بالخط الكوفي على أحد تاج الأعمد التي وجدت بأطراف البركة الكبيرة شرقي القصر،[2] علاوة على ماورد من ذكر للقصر على ألسنة شعراء العصر الأموي منها قول كُثير عزة في مدحه ليزيد بن عبدالملك:

سقى الله حياً بالموقر دارهم*** إلى قسطل البلقاء ذات المحارب[3]

الوصف المعماري للقصر: وهو مستطيل الشكل أبعاده (38×65م)، ويتألف من قسمين غربي وشرقي، محاط بسور بُني على وجهين من الحجارة المشذبة، وملئ مابينهما بالحصى المثبتة بالملاط وتبلغ سماكته 1.15م، تدعمه أربعة أبراج اثنان دائريان والآخران مربعا الشكل،[4] وبجانب القصر بركة ماءٍ ضخمة شبه مستطيلة أبعادها (34×31م)، يكتنفها سور حجري ملصق به درج ينزل بواسطة إلى أسفل البركة، أما أقسام القصر فيغلب على القسم الغربي الطابع الفني، حيث زين بالزخارف الجصية الملونة، وغُطيت أرضيته بمكعبات الفسيفساء الملونة وغير الملونة،[5] أما القسم الشرقي فهو قائم على عشرة عقود أقيمت لتسوية سطح الأرض الذي يميل باتجاه الشرق، وترتكز العقود على أعمدة ذات تيجان مزخرفة بأشكال نباتية وهندسية مختلفة، وكُسيت أرضيته بألواح حجرية ذات أحجام متباينة.[6]

قصر عنجر " عين جر":

وهو يقع بالأراضي اللبنانية في منتصف الطريق بين بيروت ودمشق، وينسب الأثريون هذا القصر إلى العصر الأموي، وتحديداً عهد الخليفة عبدالملك أو ابنه الوليد، ويدعمون رأيهم ببعض الكتابات السريانية التي ورد فيها أن الوليد بن عبدالملك بنى مدينة بتلك المنطقة وسمها عنجر (عين جر/ Ingero).[7]

---

[1] درادكة: فتحي، مرجع سابق، ص27.

[2] نصه:" بسم الله الرحمن الرحيم، أمر ببنيان هذه البركةعبدالله يزيد أمير المؤمنين أصلحه الله وحفظه ومدله في العسر واليسر واليسر وأتم عليه نعمته وكرامته في الدنيا والآخر، بُنيت على يدي عبدالله بن سليم". بهنسى: القصور الشامية، ص61.

[3] كُثير عزة، كثير بن عبدالرحمن بن الأسود: ديوان كُثير عزة، جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971م، ص366.

[4] وهيب: نرجع سابق، ص7_8.

[5] الرشدان: مرجع سابق، ص116.

[6] وهيب: مرجع سابق، ص9.

[7] بهنسي: الشام لحمات آثارية، ص149.

الوصف المعماري: ويتألف الموقع بصفةٍ عامة من ساحة كبيرة شبه مستطيلة أبعادها (310×375م)، محاطة بسورٍ حجري تدعمه أبراج شبه دائرية في زواياه الأربعة، وأخرى نصف دائرية موزعة على الجداران في النواحي الأربعة ويبلغ عددها 36 برجاً، ويشتمل السور على أربعة مداخل بواقع مدخل في كل ضلع، ويحاط كل مدخلٍ منها ببرجين مصمتين ويبلغ عرض كل بوابة 3.8م.[1] أما مبنى القصر فهو مربع الشكل تقريباً أبعاده (66.5×67.5م)، ويتألف من قسمين متشابهين بُنيت بالحجر المنحوت، له مدخلان مزخرفان متقابلان يتوسطان الضلعين الشرقي والغربي، ويؤدي كل منهما إلى ممر مستطيل أبعاده (6.5×11م)،[2] ينتهي إلى صحن القصر وهو عبارة عن فناء مربع يبلغ طول ضلعه 32.5م، تكتنفه أروقة ذات أقواس مزخرفة من جهاته الأربعة، يتوصل من خلال هذا الأروقة إلى وحدتين معماريتين متماثلتين في الجانبين الشمالي والجنوبي، تتألف كل وحدة من فناء مستطيل وقاعة مركزية تكتنفها ثلاثة غرف متناسقة ومزخرفة بزخارف نباتية محورة.[3] أما مرافق القصر وأهمها المسجد وهو مستطيل الشكل أبعاده (30×47م) ويقع في الجهة الشرقية من القصر،[4]أما الحمام فهو في شمال القصر وهو مبنى يتألف من قاعة كبرى مربعة الشكل يستند سقفها على ثلاثة أروقة، يوصل من خلالها إلى غرفة الحمام الثلاث الباردة والدافئة والحارة وقد فرشت أرضياتها بالبلاط والفسيفساء.[5]

---

[1] عبده: الأمويون وآثارهم المعمارية، ص91.

[2] بهنسى: الشام لحمات أثارية، ص149.

[3] تدمري، عبدالسلام: لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، دار جروس برس، طرابلس/ لبنان، 1990م، ص193.

[4] بهنسي: الشام لمحات آثارية وفنية، ص149.

[5] البخيت: مرجع سابق، ص146.

الخاتمة

بدراسة مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي الذي يُعتبر نقطة الانطلاق الحقيقية لتأسيس فن وطراز العمارة الإسلامية، حيث كان مفهوم العمارة الإسلامية قبل العصر الأموي أي في العهد النبوي الشريف وعصر الخلافة الراشدة يقوم على أسس بدائية تتسم البساطة والميل إلى التقشف، ويتمثل ذلك في بناء المسجد النبوي وحجرات أمهات المؤمنين وبيوت الصحابة حينئذ، وهذه البيوت يغلب عليها الجانب الوظيفي، فهي معدة أساساً بغرض ستر أصحابها عن أعين الناس وحمايتهم من التقلبات الجوية، وقد أوردنا الكثير من النصوص القرآنية والأحاديثة النبوية التي تؤكد ذلك، وإن العمارة الإسلامية شأنها في ذلك شأن كل عمارة أخرى تأثرت بنظم العمارة في الدولة المجاورة لها لاسيما الساسانية والبيزنطية فاستفادت منها استفادة بالغة، وأخذت منها كل مايتوافق مع ضوابط الشرعية الإسلامية وطرحت مادون ذلك ، ولم يكتف المعماريون المسلمون بتبني تلك النماذج فقط، بل قاموا بتطويرها وأسلمتها حتى فارقت أصلها الأول وصارت إسلامية محضة لا يدرك أصلها وجذروها إلا أهل الاختصاص.

أما تشييد وبناء المدن في الإسلام فقد بدأ منذ خلافة الفاروق رضي الله عنه، وذلك لأسبابٍ عسكرية وإدارية استجدتها حركة الفتوح وتوسع رقعة الدولة الإسلامية آنذاك، فبنيت مدينتي الكوفة والبصرة بالعراق ذلك وفقاً لضوابط البناء والعمران التي فرضتها الشرعية الإسلامية والتي حرص الفاروق رضي الله عنه على مراعتها في بناء هذه المدن، ثم جاء الأمويون فطوروا من هذه المدن وعدلوا في خططها وشيدوا مدناً جديده وفقاً لما تستدعيه الحاجة من تزايد عدد السكان وإقبال الناس على الحياة المدنية وكذلك التطور الاقتصادي والأمني والسياسي والاجتماعي الذي تميزت به المدن آنذاك، حيث كانت هنالك صفات معينة ومراحل متتالية لابد من مراعاتها في بناء أي مدينة إبان العصر الأموي، أولها تحديد واختيار الموقع الذي يتناسب مع غرض بناء المدينة ويتم ذلك بعناية شديدة بواسطة خبراء مختصين في الشؤون البيئية والجغرافية والصحية، ثم بعد ذلك يجئ دور المعماريين حيث يتم تخطيط المدينة فيجعلون المسجد الجامع في أوسطها وبجواره دار الإمارة التي

تحيط بها المؤسسات الإدارية والدواوين، ثم تتابع الوحدات المعمارية الأخرى التي يأتي في مقدمتها السوق والشوارع والطرقات العامة، ثم خطط الأهالي وماتتخللها من سكك وأزقة، ودائماً ماتجعل الحمامات والقصور الخاصة في أطراف المدينة بيعداً عن الأسواق ومساكن العامة، أما قصور الخلفاء فقد تمركزت في البوادي خصوصاً بادية الشام بالأردن وأرض البلقاء، وذلك لتعلق خلفاء بني أمية بحياة البداوة وحبهم للحصراء والصيد، وكذلك الاحتجاب عن أُعين العامة حيث كثرت الفتن والاغتيالات والأمراض الوبائية في زمانهم، وقد تميزت قصورهم بالفخامة والجمال والحصانة، حيث أبدع المعماريون في زخرفتها وتزيينها باللوحات والرسومات النباتية والإنسانية والحيوانية، بالإضافة إلى الزخارف الجصية والأرضيات الفسيفسائية الملونة والغير الملونة، فشكلوا بذلك سمةً معماريةً خاصة بالعمائر الأموية عُرفت فيما بعد بطراز العمارة الأموية.

النتائج

استطاع الباحث من خلال هذا البحث أن يسلط الضوء على مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي، وقد توصل إلى بعض النتائج التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- وجود ضوابط شرعية للبناء والعمارة في الإسلام يجب مراعاتها قبل الشروع في بناء أي مرفق من المرافق الخاصة والعامة، فلا يكون البناء إلا بقدر الحاجة ولا يبالغ في تزينيه وزخرفته.
- تعددت أنواع المدن واختلفت باختلاف العوامل التي شُيدت لأجلها، فعمظم المدن التي بُنيت في العصر الأموي كانت لأغراض عسكرية أو إدارية، ثم تطورت ونمت فطغى عليها الطابع المدني أكثر من العسكري والإداري، فصارت مراكز حضارية يتهافت عليها الناس من صوبٍ وحدب، وهي ماتزال شاهداً على عراقة الحضارة الإسلامية منذ القرن الأول الهجري وحتى يومنا هذا.
- ساعد بناء المدن في تقوية شوكة الأمويين وذلك بتقريبهم أهل البادية إليهم وتمدينهم، وإضعاف نفوذ القبائل الأخرى المعادية لهم، وكسر شوكة الخارجين على الدولة من أهل البادية.
- اعتمد الأمويون في البناء على المواد المتوفرة في البيئة المحلية المحيطة بمواضع البناء، أهمها الأحجار الكلسية والجيرية والآجر، بالإضافة إلى استخدام الطوب والأحجار البيضاء والسوداء معاً بشكل متبادل في بناء الجدران وصنع العقود والمحاريب وذلك لغرض إنشائي وزخرفي في وقتٍ واحد.
- تميزت القصور الأموية بتنوع عناصرها الزخرفية وتغطيتها للفراغات، حيث استخدم الأمويون الكثير من الزخارف المعمارية التي كانت موجودة في بلاد الشام قبل الإسلام والتي تنحدر مصادرها من العمائر الساسانية والبيزنطية القديمة، منها الزخارف الجصية كالتي في قصر خربة المفجر، والفسيفسائية في قصر المشتى.
- تتشابه القصور الأموية من حيث الشكل العام بمساقطها المربعة أو المستطيلة والأسوار المدعمة بالأبراج الدائرية وشبه الدائرية والفناء الأوسط، بالأضافة إلى ملحقاتها المتشابهة أيضاً حيث احتوت أغلب القصور الأموية على مساجد وحمامات وبساتين ومنشآت مائية من برك وسدود وخزانات وصهاريج ونواعير.

التوصيات

ومن خلال تنقيبنا في هذا المجال أعني دراسة مظاهر العمارة المدنية في العصر الأموي الذي يعد من الجوانب المهمة جداً في التاريخ الحضاري الإسلامي، جدير بالباحثأن يوصى بالآتي:

- إجراء المزيد من الدارسات النظرية والميدانية التي تعمل على كشف الجوانب المغمورة من التراث الإسلامي الحضاري والمعماري المتعلق بالحقبة الأموية وغيرها من حقب التاريخ الإسلامي.
- إجراء مسح ميداني وحصر البحوث والرسائل الجامعية التي أُنجزت في هذا المجال بهدف تقويمها واستنباط موضوعات للدراسات المستقبيلة.
- على أجهزة الإعلام المرئي والمسموع تسليط الضوء على التراث الإسلامي العريق خصوصاً المعماري من خلال عرض وتقديم أفلام وثائقية وصور وخرائط توضح عظمة وفخامة فن العمارة الإسلامية في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي خصوصاً الشامية منها والأندلسية التي مازالت شاهداً حياً على عراقة وفخامة العمارة الإسلامية.
- تبني الدولة للباحثين وإتاحة الفرص لزيارة المدن والمواقع الأثرية القديمة التي كانت مهداً للحضارة الإسلامية والقيام بالبحث الميداني لتحقيق نتائج جديدة.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم والسنة النبوية

أولاً: المصادر

1. ابن أبى زرع، أبوالحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفأسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس، عصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
2. ابن أبي أصيبعة، أبوالعباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
3. ابن الأبار، أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعي: الحُلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
4. ابن الأثير، أبوالحسن عزالدين علي بن محمد بن محمد الجزري: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
5. ـــــــــــــــ، أسد الغابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
6. ابن الجوزي، أبوالفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبدالقادر ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
7. ـــــــــــــــ، صفة الصفوة، ط2، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
8. ابن الساعي، أبي طالب تاج الدين علي بن أنجب: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، المطبعة السريانية الكاثولوليكية، بغداد، 1934م.
9. ـــــــــــــــ، زبدة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، الاسكندرية، 1997م.

10. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت.
11. ابن العربي، القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله المعافري الإشبيلي المالكي: أحكام القرآن، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
12. ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي: شذرات الذهب من أخبار من دهب، تحقيق عبدالقادر ومحمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م.
13. إبن الفقية، أبى بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، عالم الكتب، بيروت، 1996م.
14. ابن القيم، أبوعبدالله محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هدى خير العباد، ط2، دار الفكر، بيروت.
15. ابن الملقن، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الأنصاري: البدر المنير في تريج الأحاديث والأثار الواقعة في شرح الكبير، تحقيق مصطفى أبو الغيط وآخرون، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، 2006م.
16. ابن المنجم، إسحاق بن الحسين: آكام المرجان في ذكر المدائن المشورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ.
17. ابن النابلسي، عبدالغني بن إسماعيل: الحقيقة والمجاز في رحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، 1986م.
18. ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.
19. ابن بطال، أبى الحسن علي بن خلف بن عبدالملك البكري القرطبي: شرح ابن بطال على صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
20. ابن تغري بردي، أبوالمحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، 1973م.
21. ابن تميم، محمود شهاب الدين بن تميم المقدسي: مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، 1993م.
22. ابن جبير، أبوالحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

23. ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي: طبقات الأطباء والحكماء، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

24. ابن حاتم، أبومحمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي: العلل لإبن إبى حاتم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1427هـ.

25. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي الدارامي: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط2،تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.

26. ابن حجر، أبوالفضل أحمد بن على العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1995م.

27. ابن حزم، أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

28. ابن حنبل، الإمام أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2001م.

29. ابن خلدون، أبوزيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الإشبيلي الحضرمي: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1988م.

30. ابن خياط، أبو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة: تاريخ ابن خياط، مطبعة الآداب، النجف، 1967م.

31. ابن دريد، أبى بكر محمد بن الحسن الأزدي: الإشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

32. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي: الإنتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، المكتب التجاري، بيروت، د.ت.

33. ابن سعد، أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي: الطبقات الكبري، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

34. ابن سيده، أبوالحسن علي بن إسماعيل المرسى: المحكم والمحيط المعظم، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب، بيروت، 2000م.

35. ابن شداد، أبوعبدالله عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ط3، دمشق، 1953م.

36. ابن صاحب الصلاة، أبومحمد عبدالملك بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الباجي: المن بالإمامة لإبن صاحب الصلاة " تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عصر الموحدين"، ط3، تحقيق: عبدالهادي التازي، دار المغرب الاسلامي، بيروت،1987م.
37. ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله المصري: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.
38. ابن عذري، أبوعبدالله محمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
39. ابن عساكر، أبى القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبدالله الشافعي: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: أبى سعيد عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م.
40. ــــــــــــــــــ، التاريخ الكبير، تحقيق: عبدالقادر بدران، مطبعة روضة الشام، دمشق، 1330هـ.
41. ابن غانم، أحمد بن غانم بن سالم بن مهنا النفراوي الأزهري المالكي: الفواكة الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1995م.
42. ابن فارس، أبوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
43. إبن قتيبة الدينوري، أبومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: المعارف، ط2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.
44. ــــــــــــــــــ، الإمامة والسياسة، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
45. ــــــــــــــــــ، الشعر والشعراء، صححه: أبوفراس السيد محمد بدرالدين النعساني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1369هـ.
46. ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد الدمشقي الحنبلي: المُغنى، ط2، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي وآخرون، دار عالم الكتب، بيروت، 1992م.
47. ابن قليج، مغلطاي بن قليج بن عبدالله البكجري المصري الحكري الحنفي: إكمال التهذيب الكمال في أسماء الدجال، تحقيق: أبوعبدالرحمن عادل محمد وآخرون، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م.

48. ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م.
49. ابن مسكوية، أبى علي أحمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
50. ابن مفلح، أبوعبد الله شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي: الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب، بيروت، 1999م.
51. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي المصري: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1987م.
52. ـــــــــــــــــ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1984م.
53. أبوداؤود، سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبى داؤود، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، دمشق،2009م.
54. أبويوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري: الخراج، تحقيق: طه عبدالرءوف وسعد حسن، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.
55. أبي الفدا، الملك المؤيد عمادالدين بن الأفضل بن المظفر بن المنصور: التبر المسبوك في تواريخ الملوك، تحقيق: محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1995م.
56. الإداريسي، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحسني: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م.
57. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004م.
58. الأصفهاني، أبوالفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، الأغاني: دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ.
59. الإمام البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل العجفى: صحيح البخاري، دار ابن كثير للنشر، دمشق، 2002م.
60. ـــــــــــــــــ، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1989م.

61. الإمام الترمذي، أبى عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك: سنن الترمذي، ط2، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، 2015م.
62. الإمام النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي: صحيح النسائي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، 1419هـ.
63. الإمام مسلم، أبوالحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح الإمام مسلم، دار طبية، الرياض، 2006م.
64. الأندلسي، أبوحيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان: البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 2010م.
65. بحشل، أسهل بن سهل بن حبيب الرزاز الواسطي: تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت، 1968م.
66. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق بن شمائل القطيعي الحنبلي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.
67. البغدادي، عبدالقادر بن عمر بن بايزيد بن أحمد: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة،1997م.
68. البغوي، أبومحمد الحسين محي السنة بن مسعود بن محمد بن الفراء: معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوي "، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ.
69. البكري، أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي: المغرب في بلاد إفريقية والمغرب، مكتبه المثنى، بغداد، د.ت.
70. ـــــــــــــــ، المسالك والممالك، تحقيق: أديان فان ليوفن و أندري فيري، الدار العربية للكتاب،القاهرة، 1992م.
71. البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر بن داود: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م.
72. ـــــــــــــــ، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م.
73. الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك: السنن، ط2، تحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1975م.
74. جرير، بن عطيه بن حزيفة الكلبي: ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، ط3، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

75. الجواليقي، أبومنصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، 1990م.
76. الجوهري، أبونصر إسماعيل بن حماد الفارابي: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت،1987م.
77. الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خير الأقطار: ط2، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.
78. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: تفسير الخازن، ط2، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
79. الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت: المتفق والمفترق، دار القادري، بيروت، 1997م.
80. الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، 1960م.
81. الذهبي، أبوعبدالله شمس الدين أحمد بن عثمان بن قايماز: سير أعلام النبلاء، ط3، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
82. ـــــــــــــــــ، ميزان الإعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1963م.
83. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972م.
84. الزبيدي، أبوالفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الكويت، 1965م.
85. الزركلي، خيرالدين محمود بن محمد بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، دمشق، 2002م.
86. الزمخشري، أبوالقاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد: الجبال والأمكنة والمياة، تحقيق أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة، للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.
87. السمعاني، أبي سعد قوام الدين عبدالكريم بن أبى بكر محمد بن أبى المظفر المنصور التميمي: الحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيره ناجي سال، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد 1975م.

88. السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العملية، بيروت، 1419هـ.

89. السيوطي، أبوالفضل أبى بكر جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر: الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، 2011م.

90. السيوطي، سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ.

91. الشيرازي، أبوإسحاق إبراهيم بن علي: طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد، بيروت،1970م.

92. الطبري، أبوجعفر محمد بن جريربن يزيد ين غالب الآملي: تاريخ الرسل والملوك، ط2، تحقيق أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

93. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن " تفسير الطبري"، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.

94. العليمي، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العمري: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يوسف، مكتبة دنديس، الأردن_ عمان، 1999م.

95. العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله القرشي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1423هـ.

96. العينى، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

97. الفراهيدي، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، القاهرة، 2008م.

98. الفيروزأبادي، أبوطاهر مجدالدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط8 ، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 2005م.

99. القرطبي، مكي بن أبي طالب القيسى: تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.

100. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

101. القفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

102. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت، 1980م.

103. ــــــــــــــــــــ: صبح الأعشى، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

104. القلقشندي، مآثر والأنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد خراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

105. كُثير عزة، كُثير بن عبدالرحمن بن الأسود، ديوان كُثير عزة: جمعه وشرحه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971م.

106. الكندي، أبى عمر محمد بن يوسف: تاريخ ولاة مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1987م.

107. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي: النكت والعيون " تفسير الماوردي"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.

108. ــــــــــــــــــــ، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد ، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

109. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.

110. المقدسي، أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 1991م.

111. المقريزي، أبوالعباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسني العبيدي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط و الآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

112. الناصري، أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956م.

113. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1392هـ.

114. ــــــــــــــــــــ، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

115. الهروي، أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

116. الهمداني، أبومحمد الحسن بن علي بن أحمد يعقوب بن الحائل: صفة جزيرة العرب، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990م.

117. الهيثمي، الحافظ نورالدين أبي بكر بن علي: موادر الظمأن إلى زوائد ابن حبان، ط6، تحقيق: حسين سليم الداراني وعبده علي الكوشك، دار الفيحاء، بيروت، 1992م.

118. الوزان، الحسن بن محمد الفأسي: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

119. اليافعي، عبدالله بن أسعد بن علي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، 1997م.

120. ياقوت الحموي، أبوشهاب الدين عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

121. ـــــــــــــــ، المشترك وضعاً المفترق صقعاً، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

122. اليعقوبي، أبي يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح: تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

123. ـــــــــــــــ، البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

ثانياً: المراجع العربية

1. أبداح، ميسون علي: المدينة الإسلامية نشأتها وآثرها في التطور الحضاري، دار اليازوري، الأردن_ عمان، 2012م.
2. إبراهيم، عبدالباقي: رحلة البحث عن الذات وأصول العمارة في الإسلام، 1999م.
3. ابن الخوجة، محمد: صفحات من تاريخ تونس، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
4. ابن الرامي، أبوعبدالله محمد بن إبراهيم اللخمي: الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق فريد بن سليمان، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999م.
5. ابن أيبك، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي: الوافي بالوفيات،دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
6. ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي الحنبلي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط7، ج6، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.

7. ابن رسته، أبوعلي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة: مطبعة بريل، هولندا _ ليدن، 1891م.
8. ابن عابدين، محمد أمين بن عبدالعزيز الدمشقي الحنفي: الدر المختار وحاشية ابن عابدين، ط2،ج5، دار الفكر، بيروت، 1992م.
9. ابن عاشور، محمد الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ج3،تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004م.
10. ابن كنان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي: المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ج1، تحقيق: حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق، 1992م.
11. ابن نقطة، أبوبكر معين الدين محمد بن عبدالغني بن أبي بكر بن شجاع: إكمال الإكمال، ج2، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ.
12. أبوخلف، مروان: من معالم الحضارة الإسلامية في فلسطين، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "إيسيسكو"، المغرب/ سلا، 2001م.
13. أبوعود، حسن: القصور الأموية " المنهجية التصميمية والمرجعية التاريخية في قصور البادية الأردنية"،الجامعة الأردنية، عمان، 1988م.
14. أبوليل، عبدالرزاق: قصة مدينة اللد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلسطين، د.ت.
15. أحمد، لبيد إبراهيم وآخرون: الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1992م.
16. أحمد، نهلة شهاب: المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2003م.
17. الأزدي، أبوزكريا يزيد بن إياس: تاريخ الموصل، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1967م.
18. الأسدي، خيرالدين: أحياء حلب وأسواقها، تحقيق: عبدالفتاح رواس قلعة جي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1984م.
19. الإشبيلي، أبو محمد عبدالحق بن عبدالرحمن الأزدي: الأحكام الوسطى، تحقيق حمدي السلفي وصبحي السامرائي، مكتبة الرشد، الرياض،1995م.
20. الأعظمي، علي ظريف: مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت.
21. الأعظمي، محمد ضياء الرحمن: المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى للحافظ البيهقي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2001م.

22. الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2000م.
23. الألفي، أبوصالح: الفن الإسلامي، ط2، دار المعارف، بيروت،1967م.
24. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،1415هـ.
25. الإمام، محمد فاروق أحمد: معابر الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، دار المأمون للنشر، الأردن . عمان، 2008م.
26. الباشا، حسن: القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1969م.
27. ـــــــــــــــــ، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة، القاهرة، 1990م.
28. بثينة، حسين: الدولة الأموية ومقوماتها الأيدلوجية والإجتماعية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، د.ت.
29. البخيت، محمد عدنان ومحمد يونس العبادي: بحوث في تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، مكتبة المهتدين الإسلامية، الأردن_عمان، 1990م.
30. البدري، أبوالبقاء عبدالله البدري: نزهة الأنام في محاسن الشام، دار الرائد العربي، بيروت، 1980م.
31. البراقي، السيد حسين بن السيد أحمد النجفي: تاريخ الكوفة،ط4، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، 1978م.
32. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد: دار العلم للملابين، بيروت،1992م.
33. بهنسي، عفيف: الشام لمحات آثارية وفنية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.
34. ـــــــــــــــــ، الفنون القديمة، دار الرائد اللبناني، بيروت، 1982م.
35. ـــــــــــــــــ، القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1986م.
36. ـــــــــــــــــ، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979م.
37. تدمري، عبدالسلام: لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، دار جروس برس، طرابلس/ لبنان، 1990م، ص193.

38. التريكي، محمد وخالد أبوزيد، المعمار والممارسة الإجنماعية، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، 1989م.
39. التل، صفوان: الآثار العربية الإسلامية في الأردن، مطبوعات وزارة القافة والشباب، الأردن/عمان، د.ت.
40. التهامي، أبوالحسن علي بن محمد، ديوان علي بن محمد التهامي: مكتبة المعارف، الرياض، 1982م.
41. توفيق، مرعي: قصة مدينة أريحا " سلسلة المدن الفلسطينية"، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم/ دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، د.ت.
42. التونجي، محمد: المعجم الذهبي، ط2، دار العلم للملايين، 1980م.
43. الثقفي، إبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكوفي: الغارات، ج1، أنجمن اثار ملى، تهران، 1975م.
44. جعيط، هشام: نشأة المدينة العربية الإسلامية " الكوفة"، ط3، دار الطليعة للطباعة وابنشر، بيروت، 2005م.
45. الجنابي، كاظم: تخطيط مدينة الكوفة "عن المصادر التاريخية والأثرية خاصة في العصر الأموي"، مطابع دار الجمهورية، بغداد، 1967م.
46. الجنحاني، الحبيب: القيروان عبر العصور إزدهار الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.
47. جود الله، فاطمة: سوريا نبع الحضارة "تاريخ وجغرافية أهم الآثارية في سورية"، دار الحصاد، دمشق، 1999م.
48. جودي، محمد حسين: العمارة العربية الإسلامية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2007م.
49. الجومرد، محمود: اللهجة الموصلية دارسة وصفية ومعجم مافيها من الكلمات الفصيحة، مركز البحوث الآثارية والحضارية، الموصل، 1988م.
50. الجوهري، يسري: جغرافية العالم الإسلامي، دار الجامعات المصرية، الأسكندرية، 1979م.
51. حجازي، محمد: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.
52. الحداد، عبدالله عبدالسلام: مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، 2003م.
53. الحداد، محمد حمزة إسماعيل: العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، دار المقتبس، بيروت، 2014م.

54. حسن، حسين الحاج: حضارة العرب في صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،1992م.
55. حسن، زكي محمد: فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.
56. حمد نويصر: حسني محمد، الآثار الإسلامية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1996م.
57. حمدان، أسامة وكالار وبنيلي: جسر من الفسيفساء عبر المتوسط، ستيديو ألفا، مدينة القدس، 2001م.
58. الحمداني، محمود شوقي: لمحات من تطور الري في العراق قديماً وحديثاً، مطبعة السعدون، بغداد، 1984م.
59. الحمصي، فائز: حلب القديمة، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1983م.
60. حمودة، عبدالحميد حسين: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م.
61. حمور، رفان محمد: مواسم العرب، دار الكتب العالمية،بيروت، 1971م.
62. الخالدي، أحمد أرشيد: المدن والآثار الإسلامية في العالم، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن _ عمان، 2009م.
63. الخربوطلي، علي حسني: الحضارة العربية الإسلامية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1960م.
64. ــــــــــــــــ، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي السياسي الإجتماعي الإقتصادي، دار المعارف، القاهرة، 1959م.
65. خريس، عناد: الزخارف الفسيفسائية والجصية في قصر الحلابات، جامعة اليرموك، الأردن/إربد، 1979م.
66. خضر، عبدالحليم عبدالرحمن: الإسلام والمسلمين في إفريقيا الشمالية، عالم المعرفة، جدة، 1986م.
67. الخطيب، حامد: قصة مدينة الرملة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فلسطين، د.ت.
68. خماش، نجدة: خلافة بني أمية في الميزان، دار طلاس، دمشق، 2002م.
69. ــــــــــــــــ، دارسات في الآثارالإسلامية، مطبعة رياض، دمشق، 1981م.
70. خوري، رامي: القصور الصحراوية " دليل موجز للآثار"، ترجمة: غازي بيشة، الكتبي ناشرون/ مطابع الرأي، الأردن/عمان، 1988م.

71. الخولي، علي مفتاح عبدالسلام: تخطيط المدن الإسلامية في العصر الراشدي "13هـ - 40هـ/ 634م - 661م"، دار زهران للنشر، الأردن_ عمان، 2011م.
72. الخيرو، رمزية عبدالوهاب: إدارة العراق في صدر الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1978م.
73. الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، دار الهدي، كفر قرع _ فلسطين، 1991م.
74. دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج2، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010م.
75. درادكه، صالح موسى: دارسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام، وزارة الثقافة، عمان، 2011م.
76. درادكه: فتحي، القصور والمساجد الأموية في الأردن، جامعة اليرموك، الأردن/ إربد، 2000م.
77. الدقيقي، تقي الدين المصري: اتفاق المباني وافتراق المعاني، تحقيق عبدالرؤوف جبر، دار غمار، الأردن، 1985م.
78. الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبري، دار البشائر، دمشق، 2005م.
79. الدوري، عبدالعزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، 1948م.
80. دويكات، جمانة: دراسة نظام التسقيف في العمارة الأموية في الأردن، جامعة اليرموك، إربد، 2001م.
81. الديوه جي، سعيد: الموجز في الطب الإسلامي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1989م.
82. ـــــــــــــــــــــــ، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العراقي، بغداد، 1982م.
83. الراوي، ثابت إسماعيل: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسة والإدارية والإجتماعية، مكتبة النهضة، بغداد، 1965م.
84. الرشدان، وائل منير: القصور الأموية في المملكة الأردنية الهاشمية، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1430هـ/ 2009م.
85. الرفاعي، أنور: تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، ط2، دار الفكر، دمشق، 1977م.
86. الريحاوي، عبدالقادر: العمارة العربية الإسلامية وخصائصها وآثارها في سورية، دار البشائر للطباعة والنشر، 1999م.

87. ـــــــــــــــــــــــــــــ، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني،ج1، وزارة الثقافة، دمشق، 2000م.
88. الزبيدي، محمد حسين: الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، المطبعة العالمية، القاهرة، 1970م.
89. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر: أعلام الساجد بأحكام المساجد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
90. زعرور، إبراهيم وعلي أحمد، تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1995م.
91. زغلول، سعيد عبدالحميد: تاريخ المغرب العربي "تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية"، دار المعارف، الأسكندرية، 1993م.
92. زكي، شرين محمود: أنماط الأعمدة عبر العصور المختلفة، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، 2013م.
93. زيادة، نقولا: الأعمال الكاملة مدن عربية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2003م.
94. زيادين، فوزي: قصير عمرة الأموي، دائر الآثار العامة، عمان، 1977م.
95. زيتون، محمد محمد: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار للنشر، القاهرة، 1988م.
96. زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، ط2، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 1958م.
97. الزيلعي، أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف الحنفي: نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق محمد عوامة، مؤسسة الريان للطاباعة والنشر، بيروت، 1997م.
98. سالم، السيد عبدالعزيز: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية،1986م.
99. ـــــــــــــــــــــــــــــ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، 1999م، 163.
100. سامح، كمال الدين: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
101. السامرائي، خليل وثائر حامد محمد: المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عهد النبوة، الموصل، 1984م.

102. السامرائي، كمال: مختصر تاريخ الطب، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1984م.
103. السحني، عبدالحي بن فخرالدين بن عبدالعلي الطالبي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، 1999م.
104. السراج، أحمد: العمارة الإسلامية خصائص وآثار، مطبعة الطالب الجامعي، غزة، 2015م.
105. سرور، محمد جمال الدين: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965م.
106. السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي: غذاء الألباب وشرح منظومة الآداب، ج2، تحقيق محمد عبدالعزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، 1996م.
107. سلام، حورية عبده: إقليم الموصل في العصر الأموي دارسة حضارية، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م.
108. سلامة، زهران: الحفر على المعادن، دار طابا للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.
109. سلمان، عيسى وآخرون: العمارات العربية الإسلامية في العراق، دار الرشيد، بغداد، 1982م.
110. السيوطي، علي بن عبدالله: الحاوي للفتاوي، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة المصرية، القاهرة، 1990م.
111. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسي اللخمي: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، المطبعة المصرية، القاهرة، 2000م.
112. شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
113. الشامي، صالح أحمد: الفن الإسلامي، دار العلم، دمشق، 1990م.
114. شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين: ط2، مطبعة الأهلية، الأردن/ عمان، 2000م.
115. الشربيني، محمد بن محمد الخطيب: مغنى المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
116. شريقي، زكريا: الفن العربي الإسلامي الجذور والمؤشرات، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013م.
117. الشوكاني، محمد بن علي بن عبدالله اليمني: نيل الأوطار شرح مستقر الأخبار، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، 1993م.

118. الصائغ، القس سليمان صائغ الموصلي: تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، 1923م.

119. ضاهر، عبدالوهاب مصطفى: عمارة المجتمعات والمباني الطبية " البيمارستانات" في الإسلام، مركز دراسات العمارة الإسلامية العالمي _ موسوعة العمارة في الإسلام، المجلد العاشر، د.ت.

120. الطايش، علي: العمارة في مصر الإسلامية، مكتبة الصفا والمروة، الأسكندرية، 1996م.

121. الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد، دار ابن تيمية، القاهرة، 1983م.

122. طرواة، حجازي حسن علي: مظاهر الإهتمام بالحج والحرمين الشريفين في العصر الأموي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002م.

123. طه، عبدالواحد ذنون: العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1985م.

124. طوقان، فواز: الحائر بحث في القصور الأموية، وزارة الثقافة والشباب، الأردن/ عمان، 1979م.

125. عاشور، سعيد عبدالفتاح وأخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.

126. عبدالحافظ، عبدالله عطية: الآثار والفنون الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2005م.

127. عبدالرؤوف، عصام: الحواضر الإسلامية الكبري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976م.

128. عبدالمحسن، ثريا محمود وآخرون: الجانب العمراني لمدينة واسط وسبل التحصينات الدفاعية فيها " دراسة تاريخية في جذور بناء أقدم مدينة مدورة في العراق بعد الإسلام"، الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، القاهرة، 2006م.

129. عبدالمنعم، ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1998م.

130. عبدالوهاب، حسن حسني: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1965م.

131. عبده، عبدالله كامل موسى: الأمويون وآثارهم المعمارية في الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وإفريقيا، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2003م.

132. ـــــــــــــــــ، المسلمون آثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين، دار الافاق العربية، القاهرة، 2004م.

133. عبيد، طه خضر: الحضارة العربية الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.

134. عثمان، محمد عبدالستار: المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988م.

135. عثمان، نجوي: مساجد القيروان، دار عكرمة، دمشق، 2000م.

136. العربي، إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1974م.

137. عزب، خالد: الفسطاط " النشأة _ الإزدهار _ الإنحسار"، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1998م.

138. ـــــــــــــــــ، فقه العمارة الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة، 1999م،ص25.

139. عطوان، حسين: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام، دارالجيل، بيروت، 1987م.

140. العفاني، سيد بن حسين: فرسان النهار من الصحابة الأخيار، مكتبة الكيان، الرياض، 1426هـ.

141. عكاشة، ثروت: التصوير الإسلامي الديني والعربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1977م.

142. علام، نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1990م.

143. علي، أحمد إسماعيل: دراسات في جغرافية المدن، ط4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.

144. ـــــــــــ، تاريخ بلاد الشام منذ ماقبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي " دراسة سياسية _ اجتماعية _ اقتصادية _ فكرية وعسكرية "، مطبعة جوهرة الشام، دمشق، 1994م.

145. علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار الساقي،بيروت،2001م.

146. علي، سيد أمير: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1938م.

147. العلي، صالح أحمد وآخرون: المدينة والحياة المدنية،مكتبة بغداد للنشر، بغداد، 1988م.

148. العلي، صالح أحمد: الإدارة في العهود الإسلامية الأولي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2001م.

149. ـــــــــــــــــــ، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام " دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم"،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2003م.

150. ـــــــــــــ، امتداد العرب في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.

151. ـــــــــــــ، خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1986م.

152. عمر، عبيد الفضل: الطب عبر القرون، دار الشواف، الرياض، 1989م.

153. عمر، أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

154. العمرو، علي عبدالرحمن: هشام بن عبدالملك والدولة الأموية، ط2، مصورات عبدالرحمن الجندي، 1992م.

155. العميد، طاهر مصطفى: تخطيط المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1986م.

156. عواد، نايفة: العمارة الأموية في فلسطين والأردن، الجامعة الأردنية، عمان، 1988م.

157. عوض، محمد مؤنس: في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار العالم العربي، القاهرة، 2011م.

158. عيسى بك، أحمد: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2011م.

159. العيني، أبو محمد بدر الدين محمود بن محمد: عمد القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث، بيروت، 1980م.

160. غالب، عبدالرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، 1988م.

161. الغزالي، محمد: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ط6، دار الشروق، القاهرة ، 2007م.

162. غنيمة، يوسف رزق الله: مدن العراق، مطبعة العراق، بغداد، 1928م.

163. الغنيمي، عبدالفتاح مقلد: الإسلام و المسلمون في جمهوريات آسيا الوسطى، دار الأمين، القاهرة، 1996م.

164. فارس، محمد كامل: الجامع الأموي الكبير بحلب تاريخه ومعالمه والآثرية، دار القلم العربي، حلب، 1995م.

165. فتحي، حسن: العمارة والبيئة، دار المعارف، القاهرة، 1977م.

166. فرنسيس، بشير يوسف: موسوعة المدن والمواقع في العراق، E_Kutubltd، لندن، 2017م.
167. فروخ، عمر: تاريخ الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، 1970م.
168. فكري، أحمد: مسجد القيروان، دار العالم الإسلامي، القاهرة، 2009م.
169. فيصل، شكري: المجتمات الإسلامية في القرن الأول الهجري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1952م.
170. الفيصل، نادية محسن عزيز: مدينة الرقة، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م.
171. قسطالي، نعمان أفندي: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، 1982م.
172. القصيري، اعتماد يوسف: أضواء على التراث الحضاري المعماري الإسلامي في العراق، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرابط، 2008م.
173. قطب، محمد: منهج الفن الإسلامي، ط6، دار الشروق، القاهرة، 1983م.
174. القيسي، أبى طالب مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيرواني القرطبي: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيرة وأحكامة وجمل من فنون علومة،ج8، جامعة الشارقة، 2008م.
175. القيسي، عاطف عباس حمودي: ثقيف ودورها في التاريخ العربي الإسلامي حتى أواخر العصر الأموي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
176. الكبيسي، عبدالمجيد محمد صالح: عصر هشام بن عبدالملك " 105_ 125هـ/742_743م"، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد 1975م.
177. كحالة، عمر: الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972م.
178. الكعبي، عبدالحكيم، موسوعة التريخ الإسلامي " عصر الخلفاء الراشدين"، دار أسامة للنشر، الأردن_ عمان، 2009م.
179. لقبال، موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
180. الماتريدي، أبومنصور محمد بن محمد بن محمود: تفسير الماتريدي، دار الكتب العالمية، بيروت، 2005م.
181. المالكي، قبيلة فارس: تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن/ عمان، 2011م.

182. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط،، دار الدعوة، القاهرة، 2004م.
183. مجموعة كُتاب وباحثين: فن العمارة الإسلامية إتجاهات وتأثيرات، وكالة الصحافة العربية ناشرون، القاهرة، 2020م.
184. محاسنة، محمد حسين: تاريخ دمشق خلال الحكم الفاطمي، نشر الأوائل، دمشق، 2001م.
185. محمد، غازي رجب: العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، جامعة بغداد، بغداد، 1989م.
186. محمود، محمود عرفة: العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، مكتبة عين شمس للدراسات والبحوث، القاهرة، 1965م.
187. محمود، يوسف: الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ط2، دار الأوائل للطابعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.
188. مخلص، عبدالله: مئذنة الجامع الأبيض في الرملة، المطبعة الأدبية، بيروت، د.ت.
189. المرصفي، سيد بن علي: رغبة الآمل من كتاب الكامل، مكتبة طالب العلم، دمشق، 1435هـ، ص134.
190. المزي، أبوالحجاج جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال،تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
191. المصطفوي، حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم،مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، طهران، 1393هـ.
192. مصطفى، شاكر: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، دار طلاس للدارسات والنشر والترجمة، دمشق، 1988م.
193. المعاضيدي، عبدالقادر سلمان: واسط في العصر العباسي " 324هـ _ 656هـ/ 953م _ 1356م"، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2006م.
194. ـــــــــــــــــــ، واسط في العصر الأموي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986م.
195. المغربي، علي بن موسى بن سعيد: كتاب الجغرافيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م.
196. المناوي، محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين الحدادي: فيض القدير وشرح الجامع الصغير ،المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت.
197. المنذري، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ.

198. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعالم الآثرية في البلاد العر بية، الشركة المصرية للطباعة، القاهرة، 1972م.
199. الموسوي، مصطفى عباس: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
200. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.
201. مؤلف مجهول: حدود العالم من المشرق والمغرب، ترجمة عن الفارسية وحققه يوسف الهادى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002م.
202. المومني، سعد: العمارة الأموية في مدينة عمان في ضوء التنقيبات الآثرية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، 2004م.
203. المومني، سهير: قصر الطوبة، جامعة اليرموك، الأردن/ إربد، 2000م.
204. ناجي، عبدالجبار: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت،2001م.
205. نافع، محمد مبروك: عصر ماقبل الإسلام، ط2، مؤسسة هنداوي للنشر،القاهرة، 2017م.
206. نخبة من أساتذة التاريخ: المدينة والحياة المدنية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1988م.
207. النصولي، أنيس زكريا: الدولة الأموية في الشام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.
208. نطفجي، حسام: فن العمارة العربية الاسلامية وآثارها في حلب، المكتبة الجامعية، حلب، 2012م.
209. نويصر، حسني محمد: الآثار الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1997م.
210. هادي، بلقيس محسن: تاريخ الفن العربي الإسلامي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1990م.
211. هارون، عبدالسلام محمد: نوادر المخطوطات، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1973م.
212. الهذلول، صالح بن علي: المدينة العربية الإسلامية أثرها التشريع في تكوين البيئة العمرانية، ط2، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، 1431هـ.
213. هلال، جودت ومحمد محمود صبح: قرطبة في التاريخ الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، 1986م.

214. وزيري، يحي: خواطر الشيخ الشعراوي حول عمران المجتمع الإسلامي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة 1990م.

215. ياغي، غزوان مصطفى: المعالم الأثرية للحضارة الإسلامية في سورية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة_ إيسيسكو، الرباط،2011م.

216. اليوزبكي، توفيق سلطان وأحمد قاسم الجمعة: دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جامعة الموصل، الموصل، 1995م.

217. يوسف، شريف: المدخل لتاريخ العمارة الإسلامية وتطورها، دار الجاحظ للنشر، بغداد، 1980م.

218. ـــــ، تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.

ثالثاً: المراجع المعربة

1. آيتنغهاوزن: ريتشارد وأخرون، الفن الإسلامي والعمارة، ترجمة: عبدالودود بن عامر العمراني، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2012م.

2. إيكوشار: ميشيل وكلود لوكور: حمامات دمشق، تعريب ممدوح الزركلي ونزيه الكواكبي، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1985م.

3. بابتي: عززيزة فوال، موسوعة أعلام العرب والمسلمين والعالميين،دار العالمية للكتب، بيروت، 2000م.

4. بدج: واليس، رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، دار الزمان، بغداد،1966م.

5. حتى: فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبدالكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

6. رايس: دافيد تالبوت، الفن الإسلامي، ترجمة منير الأصبحي، مطبعة جامعة دمشق، 1977م.

7. ريمون: أندرية، القاهرة تاريخ حاضرة، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1994م.

8. سهراب: عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمار، مطبعة أدولف هوكزهوزن، فينا، 1929م.

9. سوفاجيه: جان، دمشق الشام، تعريب: فؤاد البستاني، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دار الوراق للنشر، دمشق، 1989م.

10. ف. بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر، مطبعة دار المعارف، بغداد، د.ت.

11. فلهاوزن: يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ط2، ترجمة محمد عبدالهادي أبوريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1968م.

12. كريزويل: ك، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة عبدالهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، 1984م.
13. كونل:أرنست، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر، بيروت، 1966م.
14. لانكسر: هارنج، آثار الأردن، تعريب: سليمان موسى، منشورات اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، عمان، د.ت.
15. لسترنج: كي، بلدان الخلافة الشرقية، ط2، ترجمة بشير قرانيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.
16. ماسينيون: لويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي الدين بن محمد المصعبي، بيت الورق، الرياض،2009م.
17. موريس: لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي، ترجمة عبدالرحمن حميده، دار الفكر، دمشق، 1979م.
18. مورينو: مانويل جوميث، الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة السيد عبدالعزيز سالم ولطفي عبدالبديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
19. وليم لاين: إدوارد، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم، ترجمة سهير دسوم، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1. Creswell; K.A.C. Early Muslim Architecure.2nd ed. Vols.1_2. New york; Hacker Art Books. 1979. Part2.
2. .Vibert Guigue, Claude & Bisheh, Ghazi. Les Pintures de Qusayr Amra, Un Bin Omeyyede la Badiya Jrodanienne,2007.
3. Charles Woth: Trade Routes of the RomanEmpire.
4. Creswell; K.A.C. Early Muslim Architecture, 2nd ed. Vals. 1. New york; Hacker Art Books.
5. Schlumberger:Daniel.1939.A.”Les Fouilles De QasrEl_HeirEl_Gharbi (1936_1938) Rapport Perliminair Syria20. Damasucus.
6. Stern: Henri.1946, “Notes Sur L’anrcbitecture Des Chateaux omeyyades” Art Islamica. Vals.11_12 The Smithsonian Ingtitution and Departmet of the History of Art University of Michgan.

خامساً: الرسائل الجامعية

1. الإبراهيم، يسري صالح الإبراهيم: مظاهرة القوة والضعف في العصر الأموي " 41 _ 132هـ / 662_750م"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2014م.

2. إسماعيل، محروق: العمارة الإسلامية في كتب رحالة المغرب الإسلامي " من القرن هـ حتى 10هـ / 13م حتى 16م"، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م.
3. البابا، مؤمن أنيس عبدالله: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية " 1_ 656هـ/ 622_ 1258م"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غزة _ كلية الآداب_ قسم التاريخ والآثار، 2009م.
4. بسنوسي، سيدي محمد الغوتي: الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية بالغرب العربي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2000م.
5. التميمي، أيمن سليمان خالد: السجون في العصر العباسي " 132هـ/334هـ _ 750م . 945م"، رسالة ماجستير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، 1997م.
6. جلال الدين، أبوبكر علي مصطفى: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية بالمدينة المنورة في العهد النبوي الشريف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الادآب_ جامعة النيلين، 2017م.
7. حسن، سعاد محمد: الحمامات في مصر الإسلامية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة_ كلية الآثار، 1983م
8. الحسيني، محمود حامد أحمد: التطور العمراني لعواصم مصر الاسلامية " الفسطاط _ العسكر _ القطائع" حتى نهاية العصر الفاطمي، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآثار، 1987م.
9. العزاوي، رغد جمال مناف: العمارة الأندلسية من القرن الثاني الهجري إلى القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد _ كلية ابن رشد للعلوم الإنسانية، 2013م.
10. شدود، رمزي شعلان محمد: دراسة تاريخية أثرية وفنية لعمارة القصور الأموية في بلاد الشام مع مثيلاتها الأموية في الأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البعث/ كلية الآداب والعلوم الأنسانية/ قسم التاريخ، 2017م.
11. الشناق، محمد صبحي نهار: أعراب بلاد الشام في عهد المماليك " 684هـ/ 923هـ_ 1250م/ 1517م"، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بيروت، 2000م.
12. الشهري، علي بن سعيد: الفراغ التقليدي للأسواق في المدن العربية القديمة وتأثير تطورهاعلى شكل المدينة المعاصرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، د.ت.
13. الطرشان، نزار علي: المدارس الأساسية للفسيفساء الإسلامية في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، 1989م.

14. طرشاوي، بلحاج: العمارة الإسلامية أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية من خلال بعض النماذج، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أبى بكر بلقايد/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2007م.
15. العجلوني، عيشة: المحاريب الأموية في الأردن، رسالة غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن/ إربد، 1992م.
16. العفنان، عبدالرحمن فريح: القبائل العربية في خراسان وبلاد ماوراء النهر في العصر الأموي، رسالة دكتواره، غير منشورة، جامعة أم القرى/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، 1413هـ، ص145
17. قويدري، فاطمة: القيروان وعلاقتها الفكرية بمصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولاي الطاهر، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2014م.
18. الطراونة، مروى محمد كريم: الرسوم الزيتية في قصر الحائر الغربي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة مؤته، كلية العلوم الإجتماعية، 2015م.
19. هيلات، محمد محمود: أساليب تصوير الكائنات الحية في قصير عمرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك/ كلية الفنون الجميلة، 2013م.
20. النعاس، وفاء: الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية 1900_1954م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013_2014م.

سادساً: المقالات والأوراق والمؤتمرات العلمية

1. ابن زغيبة، عزالدين: الفكر المقاصدي عند فقهاء القيروان إلى منتصف القرن الخامس الهجري، مجلة الثقافة والتراث، دبي، عدد 24، 1999م.
2. أبوالنصر، محمد عبدالعظيم: الفتح الإسلامي لإقليم الصغد، بحث مشور في حولية الدارسات الأسوية، الحولية الأولى، المعهد الأسيوي_ الزقازيف، 1997م.
3. أكبر، جميل عبدالقادر: أزمة الهوية العمرانية لدى المسلمين، مجلة المهندس الأردني، العدد 51، 1993م.
4. البلداوي، محمد ثابت: المفهوم الإسلامي للفضاء الداخلي السكني دارسة تحليلة لعينات من القصور الإسلامية، مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية، العدد2، مج 16، 2016.
5. بو عياد، العربي: العمران والبنيان عند المسلمين، مجلة الأمة، العدد 6، السنة 3، أكتوبر 1998م.

6. بيشة، غازي: قصير ومسجد الحلابات في الأردن، المؤتمر التاسع للبلاد العربية الإسلامية، صنعاء، 1985م.
7. حداد، نايف عادل يوسف: عمارة القصور الأموية في بادية الشام " دراسة تحليلة في الخصوصية"، مجلة الأمارات للبحوث الهندسية، مج 14، العدد1، 2009م.
8. الحسني، جعفر: قصر الحير، مجلة المجمع العلمي العربي، مج16، ج1941،8م.
9. ـــــــ، قصور الأمويين في الديار الشامية، مجلة المجمع العملي العربي بدمشق، مج17، ج5_6، 1942م.
10. ذياب، سالم: التنقيبات الآثرية في قصر عين السل، مجلة منجزات دائرة الآثار العامة، الأردن/ عمان، العدد3، 2003م.
11. رفعت، الجادرجي: التراث ضرورة، مجلة إتحاد المهندسيين العرب، العدد37، إصدار الأمانة العامة لإتحاد المهندسيين العرب، بغداد،1985م.
12. السامرائي، إيمان: مفهوم المدينة وتصنيفها عند اليعقوبي من خلال كتاب البلدان، مجلة الملوية للدراسات الآثارية والتاريخية، العدد الخامس، المجلد،2016م.
13. السعد، أحمد محمد: ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي، مؤته للبحوث والدراسات، مج19، العدد6، 2004م.
14. سلطان، طارق فتحي: النشاط العمراني في بلاد مارواء في النهرين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، مجلة التربية والعلم، المجلد 19، العدد 5، عام 2012م.
15. الشرع، رائد رزق: رسوم أصحاب الحرف في قصير عمرة، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج 3، العدد 1، 2009م.
16. شلومبرجيه، دانيال: حفريات قصر الحير الغربي، مجلة المشرق، العدد4، 1938م.
17. شنايدر، الفونس: خربة المنية عند بحيرة الناصرة، الحوليات الآثرية السورية، تعريب: كامل عباد، مج2، 1952م.
18. الشوابكة، رائد صالح خلف ومحمد إبراهيم موسى: العمارة المدنية في العصر الأموي "661_746هـ"، مجلة آداب النيلين، مج3، العدد2، 2018م.
19. صبري، ميادة عبدالملك محمد: تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية "مدينة دمشق القديمة نموذج حضري لقمة التعايش والتعامل في المنظور الإسلامي"، مجلة كلية التربية جامعة واسط، العدد11، 2012م.

20. الطرشان، نزار نصار محمد: الجمالية الفنية في تصميم واجهة قصر المشتى، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجامعة الأردنية/عمان، مج 41، العدد الأول، 2014م.
21. العابد، بديع: نشأة الفكر المعماري العربي الإسلامي وتطوره، مجلة المهندس الأردني، العدد 46، 1990م.
22. العبابجي، ميسون ذنون: الكامل في التاريخ لابن الأثير " ت 630هـ/ 1232م" مصدراً لدراسة خطط الموصل في العصر الأتابكي " 521هـ _660هـ/ 1127م _ 1261م"، مجلة اضاءات موصلية، العدد 76، تشرين الأول 2013م.
23. عبدالحق، عادل سليم: إعادة تشيد جناح قصر الحير الغربي في متحف دمشق، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج 1، ج1، 1951م.
24. عبدالعزيز، لعرج: العمران الإسلامي وعمارته السكنية، "قيم دينية ودلالات إجتماعية" حولية المؤرخ، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر العاصمة، عدد 4.3.
25. العش، محمد أبوالفرج: كتابات عربية غير منشورة وجدت في جبل أسيس، الحوليات الأثرية السورية، مج13، 1963م.
26. علي، ندى جواد محمد: نافذة على مدينة واسط في العصر الأموي والعباسي " دراسة في مورفولوجية المدينة"، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، 2014م.
27. عليلي، محمد: فلسفة العمران الإسلامي في العصر الوسيط، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج1، العدد 2، سبتمبر 2018م.
28. غرابار، أولينغ: قصر الحير الشرقي، مجلة الحوليات الأثرية السورية، تعريب: خالد الأسعد، دمشق، مج 15، ج2.
29. القدومي، عيسى: المسجد الأقصى الحقيقة والتاريخ، مركز بيت المقدس، الإصدار الثامن عشر، ط2، 1429هـ.
30. كلاوس، بريس: تقرير حفريات قصر جبل أسيس، مجلة الحوليات الآثرية السورية، تعريب: نورالدين حاطوم، مج13، 1963م.
31. لاش، أحمد: قصر الطوبة " شاهد حي على سقوط دولة بني آمية"، حولية دائرة الآثار العامة، الأردن/ عمان، مج 56، 2012م.
32. منيمنة، سارة حسين: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربي، العدد 49، السنة الرابعة، أكتوبر 1982م.

33. النعيمات، سلامة: علاقة إمارة الغساسنة بالدولة البيزنطية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد4، مج 6، 2014م.

34. نيكيتا، اليسيف: التخطيط المادي، مقالة من حلقة التدارس التى عقدت بمركز الشرق الأوسط التابع لكلية الدراسات الشرقية جامعة كمبرج، المملكة المتحدة، تحت عنوان "المدينة الإسلامية"،ترجمة أحمد تعلب، أشرف على النشر منظمة اليونسكو،1983م.

35. هادي، رعد صالح: أسواق العراق الإسلامية في العصر الأموي، مجلة دراسات تربوية، العدد الرابع والعشرون، تشرين الأول 2013م.

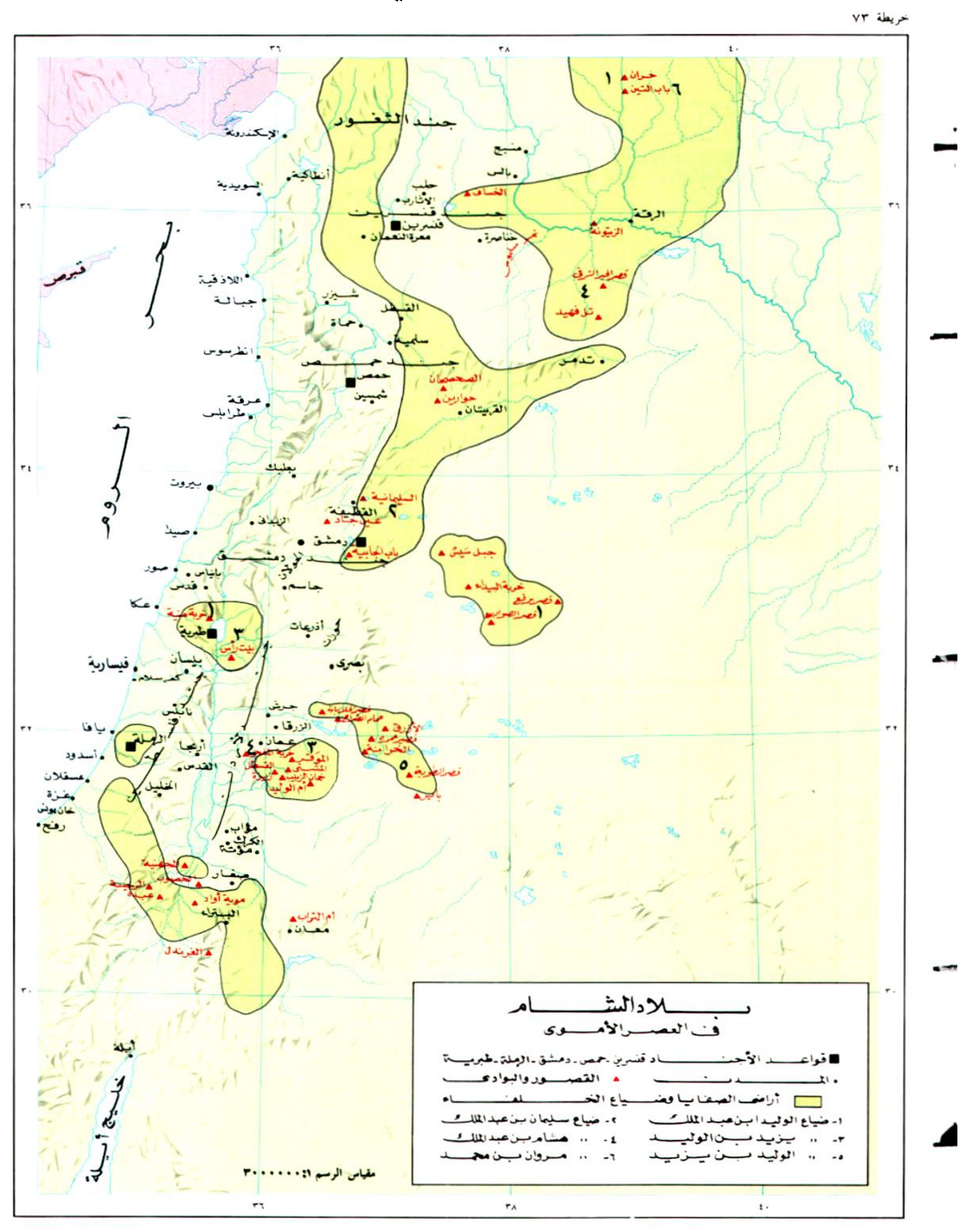
36. هاشم صائب محمد: مدينة الرملة في كتب الرحالة والبلدانيين المسلمين، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت_ كلية التربية للعلوم الإنسانية، فلسطين، د.ت.

37. الهواري، محمد علي: المصلحة أساس التنظيم العمراني في الإسلام، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مج 29، العدد 2، 2002م.

38. الوقاد، محاسن محمد علي: الطب في بلاد الشام زمن الخلافة الأموية، المؤتمر الدولي التاسع لتاريخ بلاد الشام بجامعة دمشق، 2009م.

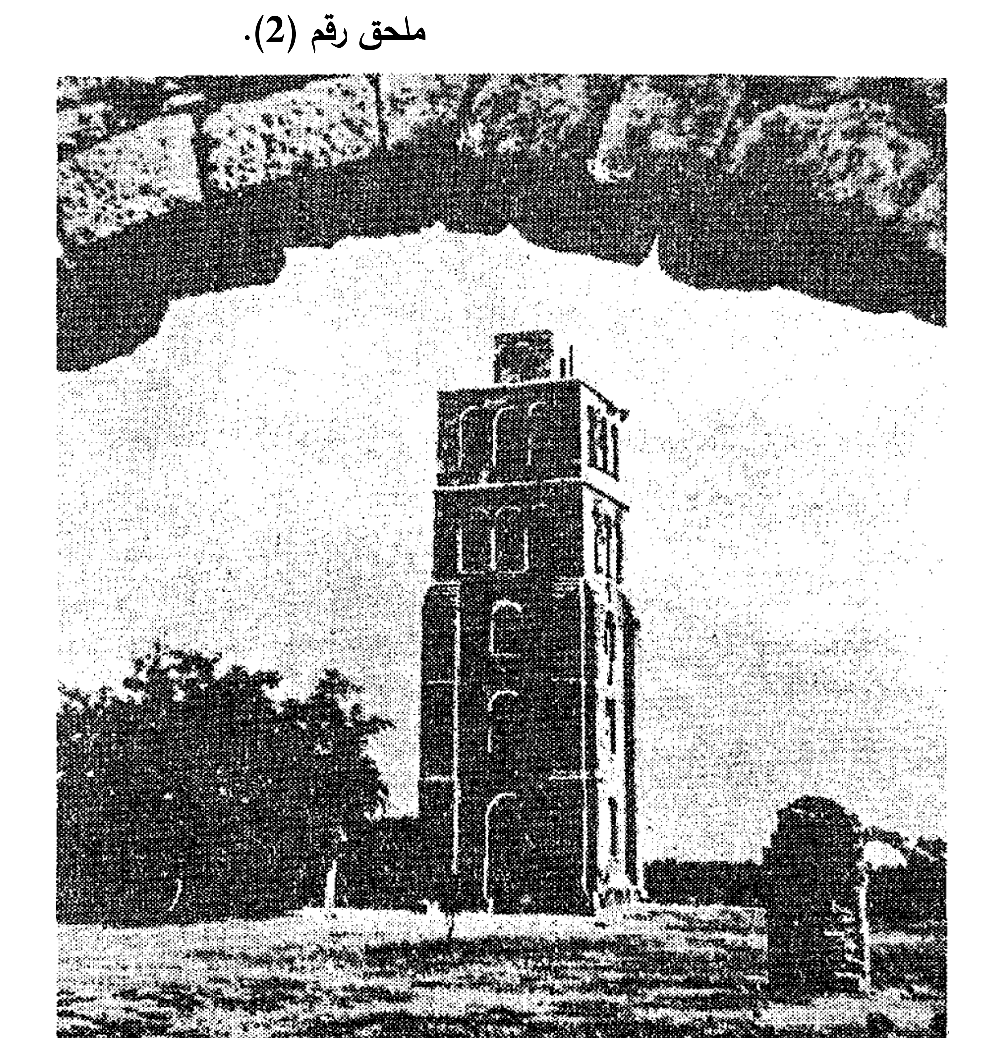
39. وهيب،محمد: الموسم الثاني للتنقيبات الآثرية في الموقر تقرير أولي، حولية دائرة الآثار العامة، مج37، 1993م.

ملحق رقم (1)، خريطة بلاد الشام في العصر الأموي.



مؤنس: حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص142

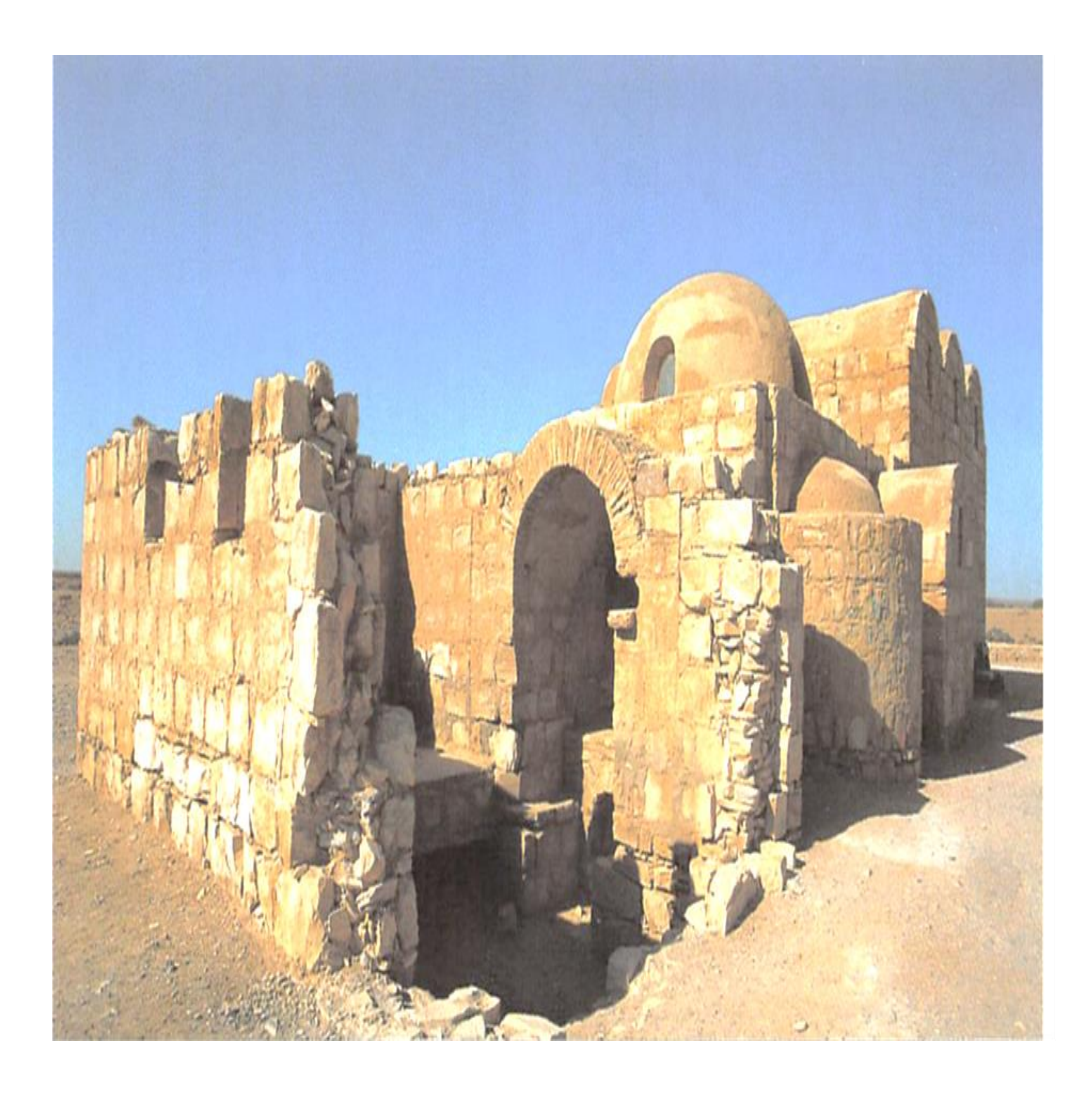
ملحق رقم (2).



مأذنة الجامع الأبيض في الرملة

الخطيب: حامد، قصة مدينة الرملة، مرجع سابق، ص82

ملحق رقم (3)، حمام عمرة.



الباشا: حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ج4، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1999م، ص321.

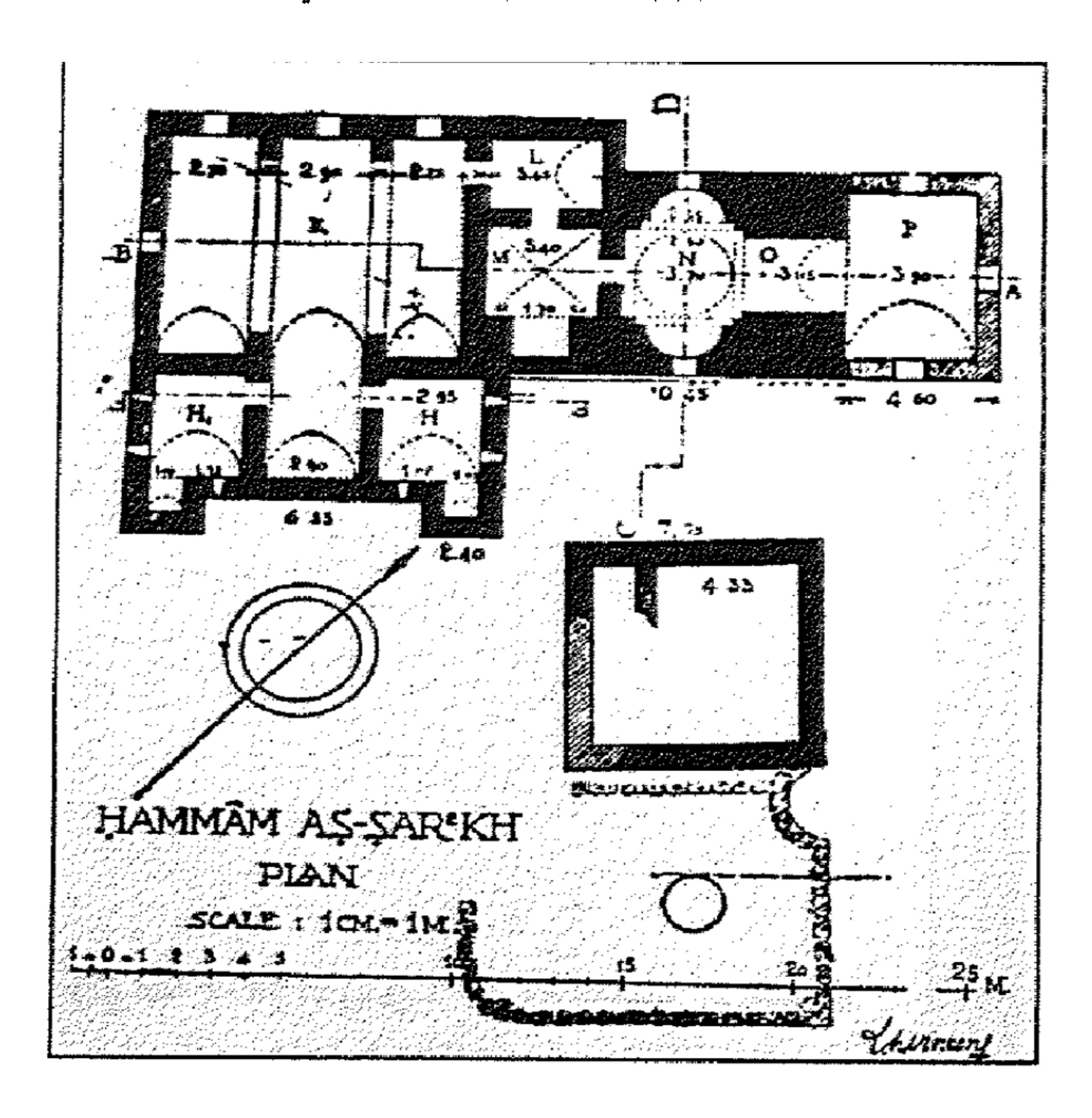
ملحق رقم (4)، مناظر لنساء على جدار غرف حمام قصرعمرة





الباشا: مرجع سابق، ج4، ص325.

ملحق رقم (5)، مخطط حمام قصر الحير الشرقي.



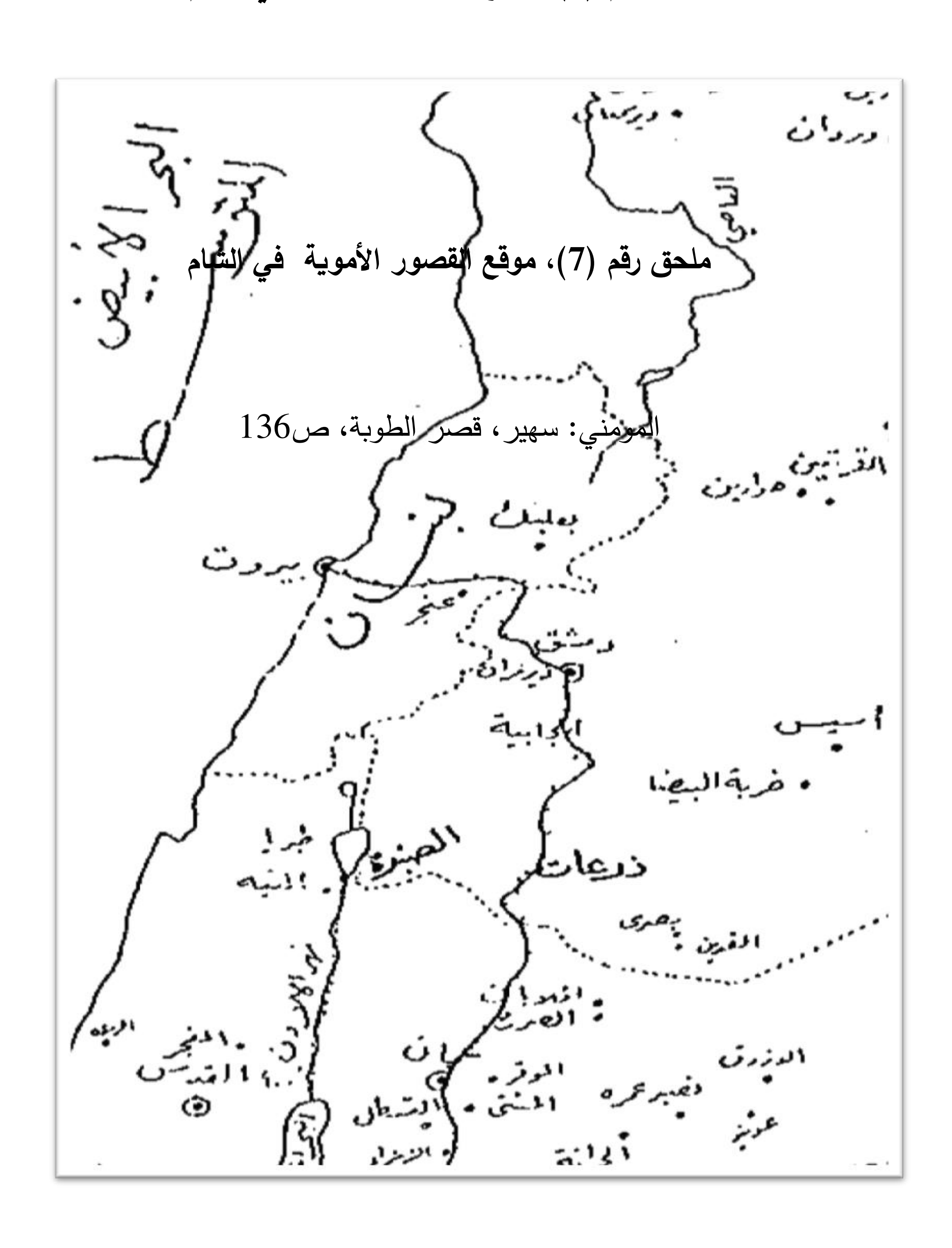
ألماغرو وآخرون: مارتين، قصر عمرة سُكنى وحمامات أموية في بادية الأردن، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1975م، ص191.

ملحق رقم (6)، لوحة أرضية في حمام قصر المفجر.



بهنسي: القصور الشامية وزخارفها في عهد الأمويين، ص100

ملحق رقم (7)، موقع القصور الأموية في الشام

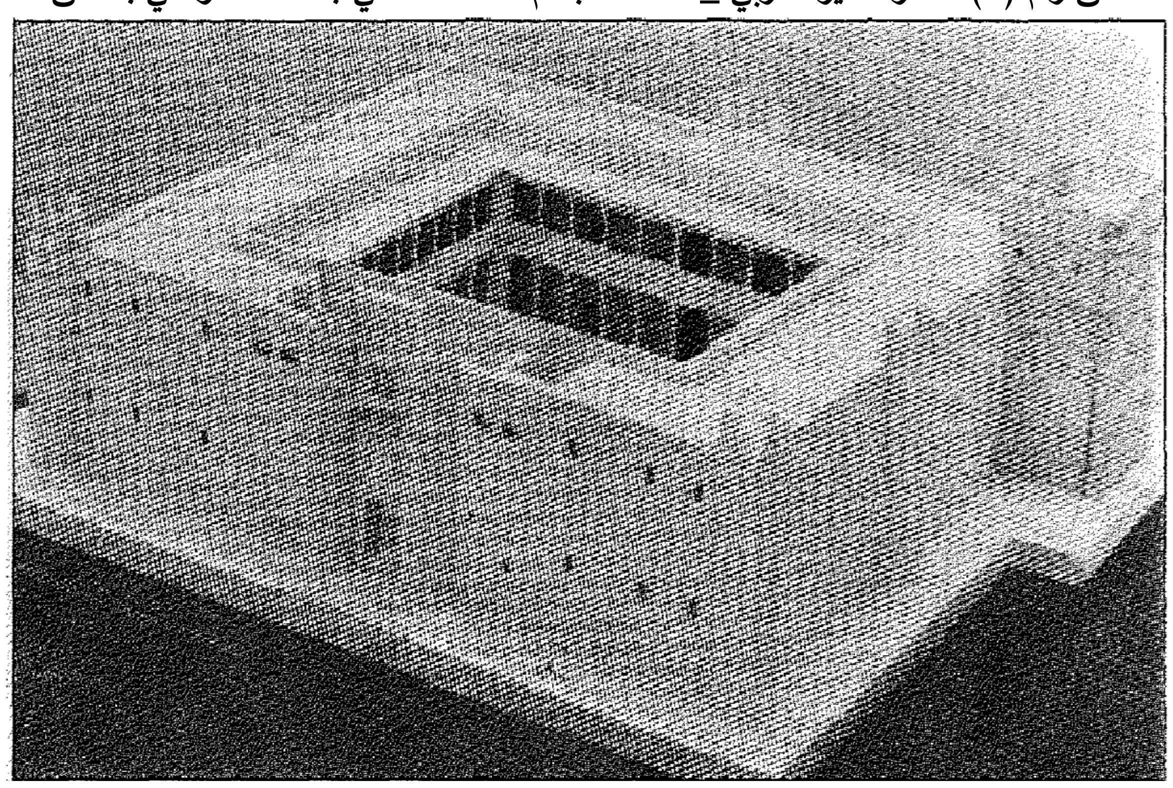


ملحق رقم (7)، موقع القصور الأموية في الشام

المومني: سهير، قصر الطوبة، ص136

المومني: سهير، قصر الطوبة، ص136

ملحق رقم (8)، قصر الحير الغربي _ مخطط مجسم لشكله الأصلي بالمتحف الوطني بدمشق.



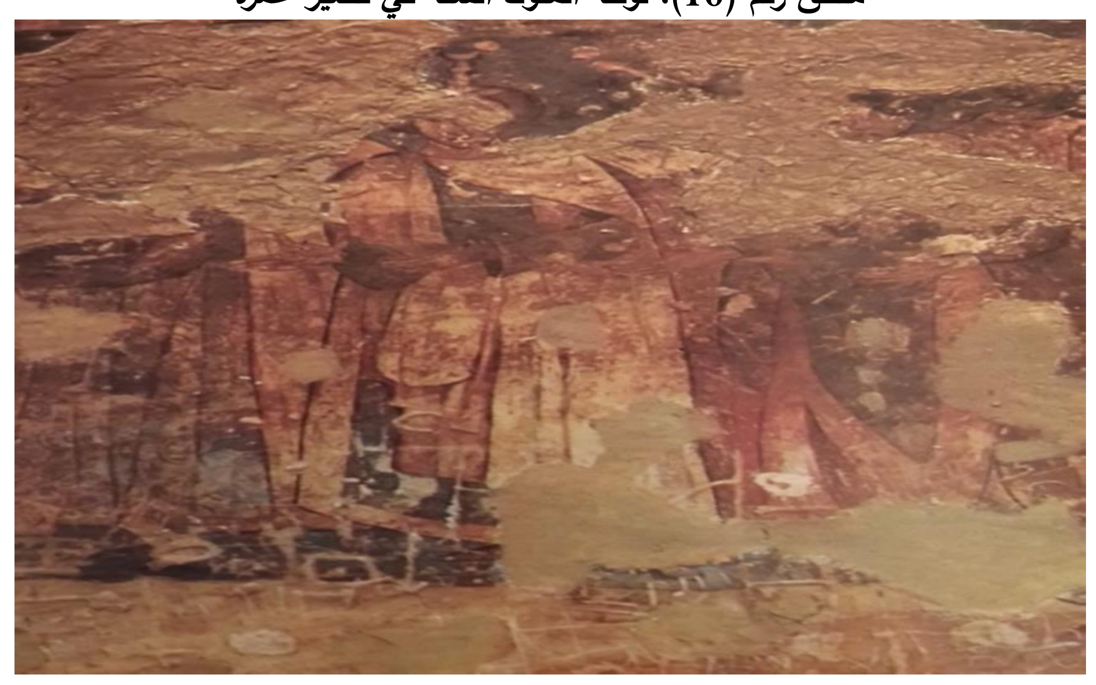
الباشا: مرجع سابق، ج4، ص329.

ملحق رقم(9)، لوحة المرأة النصفية في قصر الحير الغربي.



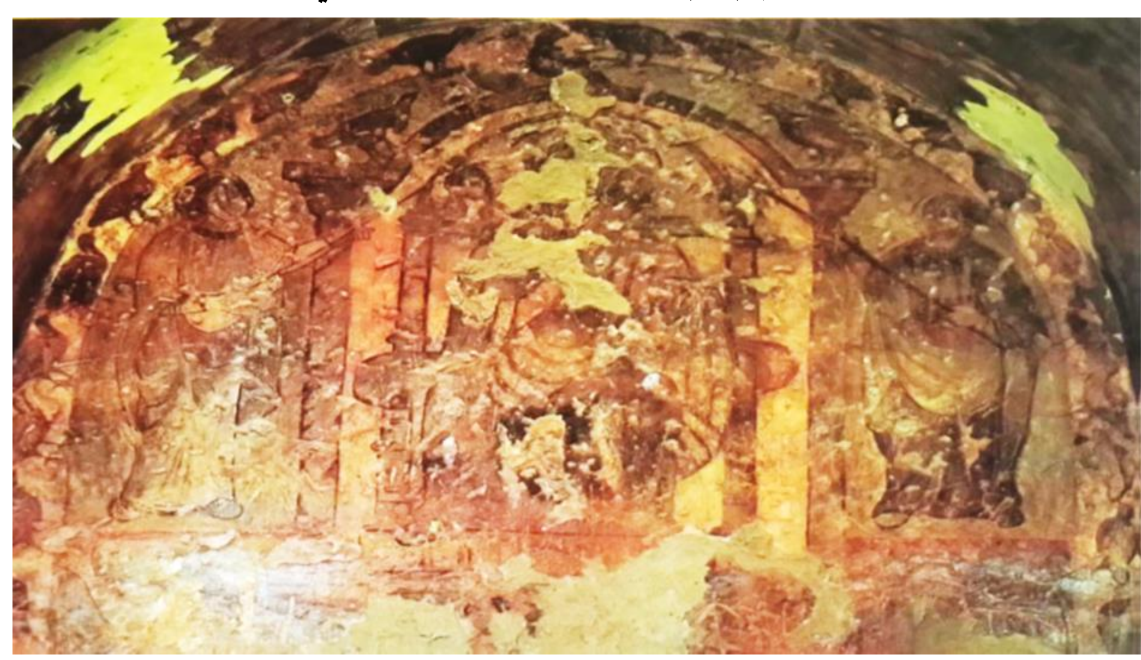
شدود: مرجع سابق، ص105.

ملحق رقم (10)، لوحة الملوك السته في قصير عمرة



ألماغرو وآخرون: 1975م، ص165.

ملحق رقم (11)، لوحة الخليفة على العرش في قصير عمرة.



نفسه، ص166

ملحق رقم (12)، القسم الشمالي من قصر المشتى.



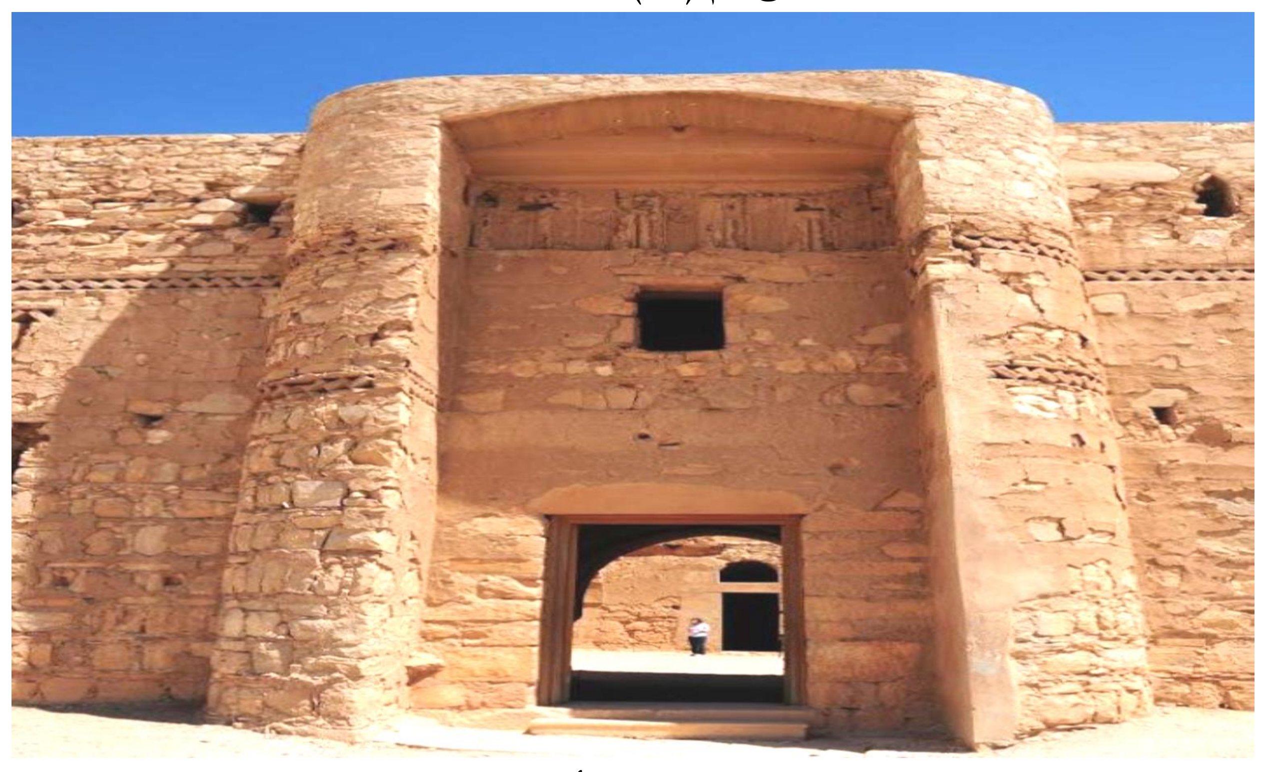
دويكات: دراسة نظام التسقيف في العمارة الأموية في الأردن، ص76.

ملحق رقم (13)، واجهة قصر المشى بالقسم الإسلامي في متحف برمون.



شدود: مرجع سابق، ص151.

ملحق رقم (14)، مدخل الخرانة.



هاردنج لانكستر: آثار الأردن، ص161.

ملحق رقم (15)، عقود قصر الحلابات.



بيشة: قصير ومسجد الحلابات في الأردن، ص81.